من المسرح العالمى

من الأعمال المختارة

برتولت برشت - ١

- طبول فى الليل
- حياة جاليليو

ترجمة وتقديم: د. عبد الرحمن بدوى

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب: ١٩٣

فى العدد القادم

غرفة المعيشة **تأليف : جراهام جرين**

جراهام جرين كاتب متدين متعصب كأشد ما يكون المتحول من دين الى دين عن ايمان واقتناع . وقد سخر مواهبه الروائية والمسرحية للتعبير عن نفسه دينيا . مثلما فعل ت. س. اليوت وغيره الذين تحولوا عن البروتستنتية الى الكاثوليكية . ويخطىء القارىء ان ظن أن جراهام جرين ينصب نفسه واعظا مبشرا بدينه الجديد فى رواياته أو مسرحياته . انه أبعد ما يكون عن الوعظ والتبشير . وانما هو يعرض بأسلوب فنى دقيق الصنعة لمواقف يؤدى اليها التدين ، يعرض نماذج للمتدينين : متدينة يجعلها جهلها أداة طيعة فى يد الغير ومتدينة متقيدة بحرفية العقيدة ولو جاء ذلك على حساب الاخلاقيات ، ومتدين متحرر الفكر لكنه عديم الحيلة والوسيلة . نماذج تعيش في ظل جميع الاديان . ويوحى المؤلف ضمنا بأن تدينها ناقص لانه لا يدخل فى حسابه الاعتبارات الانسانية .

فى هذه المسرحية تقف هذه النماذج الثلاثة حيال حفيدة لهم تعاني أزمة عاطفية معقدة ، فلا يسفر تدخلهم الديني فيها الا عن هلاك المسكينة .

وبعد أهو قصور المتدينين أم هى صعوبة الجمع بين الدنيا والدين ؟

هذه المسرحية تطرح هذا السؤال وتترك للقار[illegible] عليه .

من المسرح العالمي
اول يولية ١٩٧٥
شهرية

٧٠ / ١

من الأعمال المختارة

برتولت برشت - ١

- طبول في الليل
- حياة جاليليو

ترجمة وتقديم: د. عبد الرحمن بدوي

تصدر عن: وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة عامة
بقلم المترجم

برتولت برشت
حياته ومؤلفاته

برتولت برشت واسمه الكامل : اويجن برتولد فريدرش برشت ولد فى العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٩٨ فى مدينة أوجسبورج فى وسط ألمانيا . وكان أبوه برتولد برشت (ولد فى ١٨٦٩/١١/٦ فى آخرن Achern فى الغابة السوداء) قد انتقل الى هذه المدينة في سنة ١٨٩٣ ليعمل موظفا فى مصنع للورق . واستطاع بنشاطه ومهارته أن يترقى فى المصنع حتى وصل الى وظيفة مدير فى سنة ١٩١٤ . وكان هذا الاب كاثوليكيا ، بينما كانت أم صاحبنا مسيحية انجيلية . وعمد الابن على مذهب الأب أى مسيحيا انجيليا . وهذه الأم تنحدر من أصل أليمانى اشفابنى (من جنوب ألمانيا) لا من أصل باڤارى . وهكذا نشأ الابن فى أسرة بورجوازية ميسورة جدا .

والتحق بالمدرسة الابتدائية في أوجسبورج في سنة ١٩٠٤ ، ومنها انتقل الى المدرسة الثانوية فى أوجسبورج بعد أربع سنوات (سنة ١٩٠٨) ، ومنها حصل على شهادة البكالوريا فى سنة ١٩١٧ . والتحق بجامعة منشن (ميونخ) لدراسة الادب والطب . وكان والده يود له أن يسلك سبيلا مثل تلك التى سيسلكها أخوه الوحيد (ولد سنة ١٩٠٠) فلتر WALTER ، الذى أصبح أستاذا لصناعة الورق في كلية الهندسة في درمشتات .

ولكن النوازع الأدبية كانت مبكرة الظهور عند صاحبنا برتولت ، فلم يشأ أن يسلك الطريق اللاحب لابن منأسرة بورجوازية ثرية ، بلجذبته الحياة البوهيمية الحرة التى يحياها الأدباء والفنانون . وبدأت تظهر هذه البوادر الأدبية والفنية منذ نعومة أظفاره : فقد كان مولعا فى صباه الأول بمسرح العرائس ،وكان وهو فىالثانوية يكتب في مجلة التلاميذ . كذلك كان لصداقته مع مصور المناظر المسرحية (فيما بعد) رودلف كسبر نيهر R. C. Neher الذى أصبح فيما بعد من أكبر معاوني برشت فى تصوير مناظر مسرحياته ، أثر كبير ، وقد بدأت هذه الصداقة فى سنة ١٩١٣/ ١٩١٤ .

وأخطر من هذا كله انه بدأ يكتب فى الصحافة . وكان أول ما نشر له في ١٩١٤/٨/١٧ في جريدة « آخر أنباء اوجسبورج » ، وكانت كتاباته فى ذلك الوقت وطنية بالغة الحماسة تمجد الجيش الالمانى وتحثه على الانتصار لتكوين مجد المانيا . وهكذا كان برشت وطنيا غيورا وداعية الى المجد الألمانى .

ولم تتغير هذه النزعة الا ابتداء من سنة ١٩١٦ . وقد ظهر ذلك فى موضوع انشائى كتبه فى المدرسة وكان عن هذه العبارة اللاتينية المشهورة :

Dulce et decorom est pro patria mori

(ما أجمل واعذب أن يموت المرء فى سبيل الوطن) . ولكن الطالب كشف فى موضوعه الذى كتبه — عن نزعته الى السلام وكراهيته للحرب ، فاتهمته ادارة المدرسة « بالانهزامية » وكاد يفصل منها .

انتقل برشت اذن الى منشن للدراسة فى جامعتها ، فبدأ في الفصل الدراسى الشتوى ١٩١٧/١٩١٨ ، ولكنه ما لبث أن انقطع عن حضور المحاضرات ، لأنه فى خريف سنة ١٩١٨ جند للعمل في مستشفى الاحتياطى فى اوجسبورج ممرضا في قسم الأمراض الجنسية .

ولقد بالغ برشت كثيرا — فيما بعد — فى أثر هذه التجربة فى نفسه ، وادعى أنها هى التي أوحت اليه بكراهية الحروب وبالنزعة الى السلام ، لأنها كانت تجربة هينة لم تستمر طويلا . ومن المحتمل أن يكون قد انضم آنذاك الى الحزب الاشتراكى — الديمقراطى المستقل (راجع وصفنا للاوضاع السياسية في المانيا عند نهاية الحرب ، وذلك فى مقدمتنا لمسرحية : « طبول فى الليل » . وقد أكد هو نفسه أنه انتسب الى مجلس الجنود فى اوجسبورج ، الذى لم يعش طويلا .)

وأخفقت الثورة التى قام بها الاسبارتاكيون (راجع مقدمة : « طبول فى الليل » على النحو الذى سنبينه تفصيلا) . واستأنف برشت دراسته فى جامعة منشن ، بأن سجل نفسه أولا في كلية الآداب (قسم الأدب الألمانى) ثم بعد ذلك التحق بكلية الطب من جديد . كذلك كان يحضر بعض محاضرات فى العلوم الطبيعية وفى اللاهوت .

وكان فى تلك الفترة متأثرا بجيورج بوشنر Bûchner وفيديكند Wedekind وخصوصا هذا الاخير ، وقد كان شاعرا وممثلا ومغنيا للبلادات Balladen ولما مات فيديكند فى ربيع سنة ١٩١٨ كتب عنه برشت رثاء عميقا متحمسا فى جريدة « آخر أنباء اوجسبورج » .

وفى سنة ١٩١٩ نشر برشت أول مجموعة شعرية بعنوان : Klampfenfibel

ومن جو الهزيمة والجنود العائدين ، واليأس المخيم على المانيا بعد الهزيمة ، ومن روح الثورة الاجتماعية التى أضرم نارها اليهود والاسبارتاكيون ، استلهم برشت أولى مسرحياته : « بعل » كما ستعرف فيما بعد ، تحت تأثير مشاهدته

لمسرحية هانز يوست بعنوان « المتوحد » ، ثم خصوصا مسرحيته التالية ، « طبول فى الليل » ، التى تتبع من الاحداث الدامية التى جرت فى ألمانيا قبيل الهدنة وفى الشهور الثلاثة التى تلتها .

وتعرف الى الكاتب فويشتفانجر Feuchtwanger حوالى نهاية سنة ١٩١٨ وبداية سنة ١٩١٩ في منشن ، وسرعان ما تصادقا ، واستمرت صداقتهما حتى النهاية . وكانا يعملان أحيانا كثيرة معا ، وكلاهما يلهم الاخر . كذلك تعرف الى الممثلة بلاندين ابنجر Ebinger ، ومع المخرج اريش انجل Engel ، والشاعر الغنائى يوهانس ر . بشر Becher . وبهذا اندمج فى الجو الادبى الفنى آنذاك فى مدينة منشن غداة الحرب العالمية الأولى ، ولهذا انصرف عن دراسة الطب والدراسة الجامعية بعامة ، حتى ترك الجامعة نهائيا في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢١ دون أن يحصل على شهادة ، لا فى الأدب ولا في الطب .

وتوفيت أمه فى أول مايو سنة ١٩٢٠ فبدأت روابطه مع أهله وبلده تنحل شيئا فشيئا . واستقر به المقام فى منشن .

ولكن لم يكد المقام يستقر به فيها حتى حاول الاتصال ببرلين ، فسافر اليها في سنة ١٩٢٠ عدة مرات للاتصال بالناشرين . وفي بيت اوتو زارك Otto Zarek المحرر فى « جريدة برلين اليومية » Berliner Tageblatt عرف المؤلف المسرحى التعبيرى أرنولت برونن (أو برونر) فكانت علاقة وثيقة جعلت الأوساط الادبية تتحدث عنهما على أنهما « الأولاد الأشقياء » فى الأدب الجديد. وكان ما يجمع بينهما هو ولع كليهما بالاستفزاز والتمرد على الأفكار البورجوازية . غير أن صداقتهما لم تستمر طويلا .

وقبل أوتو فالكنبرج تمثيل مسرحية « طبول فى الليل » . فعرضت لأول مرة في ١٩٢٢/٩/٢٩ فى مسرح Munchner Kammerspiel فى منشن . فنجحت نجاحا هائلا وأسست شهرة برشت ، حتى قال هربرت ايرنج Ihering : « ان الشاعر الذى فى الرابعة والعشرين برت برشت قد غير الوجه الشعرى لألمانيا بين عشية وضحاها » . ومنح برشت جائزة كلايست Kleist . ولكن الناقد الفرد كر Kerr (وهو الاسم المستعار لـ أ . كمپنر A. Kempner) حمل على برشت وشبّت بينهما خصومة عنيفة استمرت طوال عشرين سنة بعد ذلك .

وكان برشت يشتغل فى مسرحية ثالثةهى : « فى أدغال المدن » Im Dickicht der Staedte وقد استوحى فيها « ملاوة فى الجحيم » للشاعر الفرنسى الرمزى الشهير أرتير رانبو Rimbaud ، وفيها يصور حالة الاعتزال التام التى فيها يعيش سكان المدن ومثلت في مسرح الرزيد نتس Residenz المشهور حتى اليوم فى منشن وذلك فى مايو سنة ١٩٢٣ . كذلك مثلت مسرحية

« بعل » فى ٢٣/١٢/٨ لاول مرة فى « المسرح القديم » فى ليبتسك ، فأثارت فضيحة وضجة عظيمة .

ونقل برشت مقره نهائيا الى برلين فى خريف سنة ١٩٢٤ . وهنا تعرف الى الشخصيات الأدبية والفنية المرموقة آنذاك فى برلين : منهم جون هارتفيلد وفيلند هرتسفلده Hertzfelde وجيورج جروس Gross والشاعر كلابوند Klabund وزوجته الممثلة كارولا نيهر Carola Neher ، والملاكم المحترف باول سمسون – كيرنر Samson-Kôrner الذى بدأ برشت فى كتابة ترجمة حياته ولكنه لم يواصلها بعد الفصل الثالث . كذلك عرف جيورج كايزر Kaiser والفرد ديبلن ، وهما مشهوران فى سماء الأدب الألمانى . وأهم من هذا كله أنه صار ، هو وكارل اتسكماير ، من المؤلفين المسرحيين لمسرح ماكس راينهرت الشهير .

وطوال سنة ١٩٢٥ ظل يعمل فى مسرحيته التى كان قد بدأها في منشن ، وأعنى بها الكوميديا « الانسان هو الانسان » Mann ist Mann ، التى مثلت لأول مرة فى ١٩٢٦/٩/٢٦ فى مسرح Landestheater فى درمشتات ، وموضوعها هو دور الفرد في المجتمع الحديث ، وفيها يبين المؤلف أن أى فرد يمكن أن يستبدل به غيره !

وفى هذه الفترة تأثر كل التأثر بمذهب السلوكية Behaviourism فى علم النفس الذى دعا اليه واطسون Watson ، والذى يقصر الدراسة النفسية على دراسة السلوك الانسانى ، أى الأفعال الانسانية . ورغم ذلك لا نجد لهذا المذهب أثرا واضحا فى مسرحياته أو قصائده عن تلك الفترة .

على ان ثم شيئا خطيرا فى التطور الايديولوجى لبرشت جرى آنذاك ، أولا ، وهو دراسته المتعمقة للماركسية ، التى بدأها على أبعد تقدير في سنة ١٩٢٦ . فحضر الدروس المسائية والمحاضرات فى مدرسة العمال فى برلين ، ودرس نظريات النقد والمضاربات والمناورات فى البورصة . وفى هذا المجال كان أكبر من أثر عليه شخصين هما فرتس اشترنبرج Sternberg وكارل كورش Korsch ، وكانا ماركسيين متحمسين ، ولكنهما كانا معدودين من المبتدعة في نظر الشيوعيين . وتحت تأثير تلك المحاضرات والدروس وقراءاته الخاصة (التى بدأها فيما يبدو بكتاب « رأس المال » لماركس) تطور فكر برشت فى اتجاه الماركسية ببطء ولكن برسوخ حتى بلغ غايته بعد سنة ١٩٣٠ .

وابتداء من نهاية سنة ١٩٢٥ أخذ برشت ينشر مقالات نقدية عن وضع المسرح والدراما آنذاك . كذلك كتب مقالات عن شعراء وكتاب مشهورين سابقين ومعاصرين مثل : روبرت لويس استيفنسون ، وجورج برناردشو ، وتوماس مان ، والشاعر الغامض الكبير استيفن جيورجيه George أكبر الشعراء الألمان فى القرن

العشرين ، وجورج كايزر، وغيرهم . وكان بعضها اطراء ،والبعض الآخر لاذعا ناقدا ، مما أثار عليه ثائرة البعض خصوصا مقاله الساخر عن استيفن جيورجه ، وقد لقى ردا عنيفا من رودلف بورشرت Borchardt .

كذلك اتصل برشت بارفن بسكاتور Erwin Piscator ومسرحه السياسى الذى كان بسكاتور مديره ، وقد جرب بسكاتور تجارب جديدة فى المسرح والأفلام والاخراج ، وفى هذا المجال كان له تأثير كبير على برشت . وشعار « المسرح الملحمى » أو « الدراما الملحمية » انما يرجع الى بسكاتور ، أو هو على الأقل أول من جعله ينتشر ويشيع . وطبق أول ما طبق على مسرحية « الرايات » تأليف ألفونس باكيت Alfons Paquet سنة ١٩٢٤ . وساعد برشت على اعداد مسرحيات لمسرح بسكاتور . ومن هذه الأعمال وأهمها قيامه بمسرحة قصة ياروسلاف هاشك Jaroslav Haschek وعنوانها : «مغامرة الجندى الشجاع سفيك» ونص هذه المسرحة للقصة موجود فى أرشيف ـ برشت في برلين .

ولكن مكانة برشت بوصفه شاعرا لم‌ترسخ الا فى سنة ١٩٢٧حين أصدر ديوانه بعنوان Hauspostille ، وقد تحدثنا عنه فى كتابنا « فى الشعر الأوروبى المعاصر » (القاهرة سنة ١٩٦٥) فنحيل اليه . (١)

وفى نهاية سنة ١٩٢٧ طلق برشت زوجته الأولى ، وكان قبل ذلك قد تعرف الى الممثلة العظيمة هيلينه فيجل Helene Weigel ، التى ولدت في فينا فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٠ ، واشتغلت بالتمثيل فى برلين من سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٢٦ أولا فى « مسرح الدولة » Staatstheater ، وبعد ذلك فى « المسرح الالمانى » الذى يديره ماكس راينهرت Max Reinhart . ومثلت أول دور لها فى مسرحيات برشت في العرض الأول لمسرحية « بعل » وبعد ذلك مثلت دور الأرملة بجبك Begbick فى مسرحية « الانسان هو الانسان » ، ومن بعد ذلك فى العروض الرئيسية فى برلين سنة ١٩٣١ . وقد تزوجها برشت في العاشر من شهر ابريل سنة ١٩٢٨ وولد لهما ولد هو استيفن (ولد في ١٩٢٩/١١/٣) وهو اليوم فيلسوف وكاتب حر فى نيويورك ، ثم بنت ، واسمها ماريا برباره (ولدت فى ١٩٣٠/١٠/٢٨) وهى اليوم ممثلة فى فرقة « البرلينر انسامبل » فى برلين . وقد لعبت هيلانه فيجل الادوار الرئيسية للنساء فى مسرحيات برشت ، ولا يمكن أن ينسى دورها الرائع فى تمثيل الأم شجاعة فى مسرحية « الأم شجاعة وأولادها » .

---

(١) خير دراسة حتى الان عن شعر برشت هى كتاب : Klaus Schuhmann
Der Lyriker Bertolt Brecht. Berlin, Ruetten & Loening, Berlin, DDR, 1964.
وقد ظهر فى طبعة موسعة ومنقحة فى ميونيخ سنة ١٩٧١ عند الناشر Deutscher Taschenbuch Verlag في ٤١٨ صفحة .

وهى بدورها أثرت كثيرا فى زوجها حتى قيل ان برشت تصور كثيرا من الادوار النسائية الكبرى في مسرحياته تحت تأثيرها ولتتناسب معها ، وكانها كيفت من أجلها . وقد توفيت فى عام ١٩٧١ فى برلين .

وتعاون مع الموسيقى كورت فَيل (ولد سنة ١٩٠٠) لوضع موسيقى لمسرحياته. وأثمر هذا التعاون خصوصا فى « اوبرا القَروش الثلاثة » التي عرضت فى « مسرح رصيف بناة السفن » فى برلين في ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٨ ، كما ستعرف فى مقدمتنا لهذه المسرحية .

وتناول برشت فى سنة ١٩٢٩ موضوع « جيش الخلاص » فى مسرحية من مسرحياته الشهيرة وهى : « القديسة جان في المذابح » . وتناول موضوع تضحية الفرد فى سبيل مصلحة الجماعة فى مسرحيتين : « من يقول نعم » ، و« الاجرّاء » Die Massnahme وكتب موسيقى هذه الأخيرة هانز ايسلر Eisler تلميذ ارنولد شينبرج ، وكان ذلك أول تعاون بين برشت وبينه . ومسرحية « الاجرّاء » تُصَوِّر الانشقاق الرهيب بين المساعدة المباشرة للقريب ، والمساعدة النهائية للجميع ، مما يخفق فيه مهيج شيوعى شاب .

وفى هذه المسرحية يقر برشت لأول مرة علنا بايمانه بالنظرية الشيوعية ايمانا مطلقا . وقد شاع بين الناس أيضا أن برشت قد انضم الى الحزب الشيوعى عضوا رسميا فى هذا العام ، عام ١٩٢٩ . ولكن يظهر أن هذا الخبر غير صحيح . وبرشت في أثناء التحقيق معه فى واشنطن فى سنة ١٩٤٧ فى مسألة نشاطه الشيوعى أنكر انكارا تاما وبكل قوة أنه كان ذات يوم عضوا فى الحزب الشيوعى فى أى مكان !

وفى سنة ١٩٣٠ كتب مسرحية تعليمية أخرى هى « الاستثناء والقاعدة » ، وفيها يبين كيف أنه فى المجتمع ، العمل الشرير هو القاعدة ، وانه لو وجد عمل صالح في المجتمع فمن الضرورى ان يسىء الناس فهمه . ولكن هذه المسرحية لم تنشر آنذاك ، بل نشرت لأول مرة فى سنة ١٩٣٧ .

على أن مسرحية « القديسة جان فى المذابح » ،وان أتمَّها برشت فى سنة ١٩٣٠ فانها لم تعرض آنذاك على المسرح ، ولم تعرض لأول مرة الا بعد ذلك بثلاثين سنة فى ١٩٥٩/٤/٣٠ . في هامبورج ، أى بعد وفاة برشت بحوالى ثلاث سنوات . وذلك أن الدولة منعت عرضها ، وكان المقصود بها ان تعرض فى « اللاندس تياتر » فى درمشتات . ومنعت الشرطة فى يناير سنة ١٩٣٣ تمثيل مسرحية « الاجرّاء » .

ثم جاء هتلر الى منصب المستشار للريس الألمانى فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ فكان ذلك ايذانا لبرشت بأن الدنيا ستكون غير الدنيا ، وأن عليه أن يمسك بعصا التشريد والنفى.وكان حريق « الريشتاج » (مجلس النواب) الألمانى فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٣ آخر نذير لبرشت . فترك ألمانيا فى اليوم التالى هو وزوجته . ولحق بهما ولداهما بعد ذلك بقليل .

لقد أدرك برشت أنه صار مهددا في عمله ، ان لم يكن فى حياته . فقد كان يعلم أن اسمه كان على قائمة المطلوب سجنهم لما قام الانقلاب الفاشل فى سنة ١٩٢٣ واشترك فيه هتلر ، وكان من البارزين بين المطلوب القبض عليهم غداة نجاح الانقلاب .

ولما أفلت هكذا من المانيا قبل أن تقع له الواقعة ، اتجه القوم الى مؤلفاته فأحرقت كلها في ١٠ مايو سنة ١٩٣٣ فى الساحة القائمة أمام أوبرا برلين ، وبعد ذلك بخمس سنوات تكرر هذا التنديد بها . وفى ٨ يونيو سنة ١٩٣٥ سحبت من برشت الجنسية الألمانية . ويظهر أن النازية اخذت عليه منذ البداية تحقيره للجيش الألمانى في قطعته التى بعنوان « أسطورة الجندى القتيل » وقد كتبها في مطلع شبابه حوالى سنة ١٩٢٠ .

ترك برشت ألمانيا اذن هو وهيلانة فيجل ، وتوجه أولا الى پراج ، ثم مرَّ بفينَّا في طريقه الى زيورخ فى سويسرة ، وكان فيها في ذلك الوقت جماعة من المهاجرين الألمان ، على رأسهم : هيزش مان وأنَّا سيجرس ، وفنز بنيامين وايونهرد فرانك .

وكانت المرحلة الثانية في حياة المنفى هى اقامته فى جزيرة تورو Thuro فى الدانيمرك ، وكانت قد دعتهما الى هناك الكاتبة كارين ميكائيلس Michaelis صديقة هيلانة فيجل ، فوصل الى هناك فى نهاية يونيو أو أوائل يوليو سنة ١٩٣٣ . وفي باريس ، فى سنة ١٩٣٤ طبع ــ بالألمانية ــ ديوان شعره الثانى بعنوان « أغان ، وقصائد وكورسات » (مع ألحان هانز ايسلر) . كما نشر فى امستردام « قصة القروش الثلاثة » فى سنة ١٩٣٤ وفيها استخدام موسع جديد للمادة التى قدمها جون جيى John Gay في « أوبرا الشحاذ » .

وهنا فى الدانيمرك عاش عيشة العزلة متفرغا لعمله . فألف مسرحية « الرؤوس المستديرة والرؤوس المدببة » التى مثلت لأول مرة فى كوبنهاجن فى ١٩٣٦/١١/٤ ، ثم عرضها مسرحيا بعنوان: «الخوف والبؤس فى الريش التالت». وكلتا القطعتين هجوم مباشر على النازية . والواقع أن برشت اضطر أن يتخذ موقف المحارب للنازية علنا كلما استطاع الى ذلك سبيلا : في مؤتمرات الكُتَّاب الدولية وفى مسرحياته فى تلك الفترة ، ومقالاته ، وكان في تلك الأثناء أيضا يقوم بالرحلات الى باريس ولندن (ابريل / مايو سنة ١٩٣٥) . وهنا فى موسكو التقى بعالم المسرح الصيني ، وفيه وجد تحقيقا لما كان يهدف اليه من « المسرح الملحمي » .

وفي سنة ١٩٣٨ بدأت دار النشر Malik- Verlag نشر مجموع مؤلفات برشت بعنوان Gesammelte Werke في أربعة مجلدات . لكن لم يظهر منها غير المجلدين الاولين فقط .

وبدأت نذر الحرب العالمية الثانية تلمع فى الافق . فسافر الى السويد فى ١٩٣٩/٤/٢٣ . ومات أبوه فى ٢٠ مايو سنة ١٩٣٩ .

ولكن انتاجه في سنتي ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، كان غزيرا وممتازا ، فلقد بدا يضع التحرير الاول لمسرحية « حياة جاليليو » ، في سنة ١٩٣٨ . وفى سنة ١٩٣٩ بدأ في كتابة مسرحيتي « الأم شجاعة واولادها » و « محاكمة لوكلّوس » وأتمهما فى نفس العام ، عام ١٩٣٩ . وقد مثلت « الأم شجاعة » لأول مرة في ١٩ ابريل سنة ١٩٤١ في مسرح زيورخ . كما بدأ فى سنة ١٩٣٨ مسرحية «الانسان الطيب في ستسوان» ، واتمها في سنة ١٩٤١ ، في فنلندة ، وهنا فى فنلندة أيضا ، وكان قد وصل اليها شريدا طريدا فى١٧ ابريل سنة ١٩٤٠، كتبمسرحية«السيد بنتلا وخادمهماتي». واضطر الى مغادرة فنلنده في ١٥ مايو سنة ١٩٤١ . وسافر الى موسكو . ولم يقم فيها ، بل اخترق سيبريا ، وفي ١٣ يونيو سنة ١٩٤١ سافر على باخرة شحن سويدية من الساحل الشرقي لآسيا متجها الى امريكا ، وبعد رحلة فى المحيط الهادى دامت عدة أسابيع وصل الى ساحل كاليفورنيا عند ميناء سان بدرو فى ٢١ يوليو . فلجأ الى ضاحية من ضواحى لوس انجلس هى ضاحية سانتا مونيكا وأقام فيها مع أسرته. وهنا أقام أكثر من ست سنوات .

وفى كاليفورنيا لقى برشت صديقه القديم ومعاونه في الانتاج ليون فويشتفنجر Lion Feuchtwanger وفي خلال هذه السنوات الست اشتغل برشت فى كتابة مخططات أفلام من أجل السينما فى هوليود ، وساعده في ذلك لانج ، وديترلي، وكوتنر ، وبوزنر ، لكن لم ينفذ منها غير مخطط فلم واحد هو : « حتى جلادو المشانق يموتون » Hangmen also die ، وموضوعهُ هو مقتل هيدركس فى تشيكوسلوفاكيا ومقاومة الشعب التشيكوسلوفاكى ضد الغاصب .

وفى تلك الأثناء عرض مسرح زيورخ لأول مرة مسرحيتين لبرشت : في ٤ فبراير سنة ١٩٤٣ عرض مسرحية « الانسان الطيب » ، وفى ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٣ مسرحية « حياة جاليليو » .

وغادر برشت الولايات المتحدة الامريكية فى سنة ١٩٤٧ . واختلف الرأى فى أسباب تركه لتلك البلاد . والرأى الشائع هو أن الذى دفعه الى ذلك استدعاؤه أمام « لجنة النشاطات المضادة لامريكا» Committee on Un-American Activities ومقرها في واشنطن ـ وكان من بين أعضائها رتشرد نيكسون ، الرئيس السابق للولايات المتحدة ! وذلك للتحقيق معه فى صحة ما ينسب اليه من ميول شيوعية . وقد أعلن أمام اللجنة أنه لم يكن في يوم من الأيام عضوا فى أى حزب شيوعى ، وتبرأ من الانتساب الى الماركسية . وقد نشرت أقواله كما سجلت فى التحقيق أمام هذه اللجنة ، وسبق أن عرضنا نص معظمها (في مقدمة كتابنا : « مسرحيات برشت » الجزء الأول ، التصدير ، القاهرة سنة ١٩٦٥) . ولهذا برأته اللجنة من تهمة الشيوعية ! ولكنه فى اليوم التالى ركب الطائرة الى أوربا !

وكان هدفه الأول أن يذهب الى سويسره ، فوصل اليها فى ١٩٤٧/١١/٥ ، واقام في قرية هرليبرج Herrliberg بالقرب من زيورخ ، وهنا النقى بكسبر نيهر مصور الديكور المسرحى وصديقه القديم ، وبيتر سوركمب Peter Suhrkamp ناشره المعتمد حتى الآن (١)

وغادر سويسره الى تشيكوسلوفاكيا ومنها الى برلين فوصلها فى ١٩٤٨/١٠/٢٢ فأقام بقية حياته فيها . وكان أول أعماله اخراج مسرحيته الكبرى « الأم شجاعة » ، فعرضت فى ١١ يناير سنة ١٩٤٩ ، ومثلت فيها هيلانة فيجل دور الأم شجاعة فأبدعت فيه ايما ابداع ، وذلك فى « المسرح الألمانى » ببرلين الشرقية . ومن هذا العرض نشأت فرقة « البرلينر انسامبل » Berliner Ensemble ، التى تم تأسيسها رسميا فى سبتمبر سنة ١٩٤٩ ، وتولت رآستها زوجته هيلانة فيجل ، بينما اكتفى برشت بمركز « عضو في اللجنة الاستشارية للمسرح » . وظلت هذه الفرقة مدة طويلة ضيفة على « المسرح الألمانى » ، الى أن اتخذت مقرا لها « مسرح رصيف بناة السفن » ذا التقاليد الفنية العريقة . ومن سنة ١٩٤٩ تركز تمثيلها على روايات برشت .

وقامت حكومة ألمانيا الشرقية بتهيئة كل أسباب النجاح والتشجيع لهذه الفرقة ولمسرح برشت . وحظى برشت بكثير من ألوان التكريم : ففى سنة ١٩٥٠ عين عضوا فى أكاديمية الفنون ، وفي سنة ١٩٥٣ اختير رئيسا لمركز البن Pen (جمعية دولية للادب : للشعراء ، ومؤلفى المسرحيات ، والناشرين ، وكتاب المقالات وكتاب القصص ــ والحروف الثلاثة هى الحروف الاولى لهذه الكلمات بالانجليزية) . وفى ١٩٥١/١٠/٧ منحته الدولة فى ألمانيا الشرقية الجائزة القومية من الطبقة الاولى ، وفي ١٩٥٤/١٢/٢١ حصل على جائزة استالين الدولية للسلام ، ولهذه المناسبة سافر الى موسكو في مايو سنة ١٩٥٥ .

وفى وسط هذه الالوان من التكريم فاجأه الموت فى ١٤ اغسطس سنة ١٩٥٦ نتيجة نزيف فى عضلة القلب ، ودفن في مقبرة دوروتيا بالقرب من قبر فشته وهيجل .

---

(١) اعتمدنا في هذه الترجمة لمسرحيات برشت على طبعة سوركمب فى ثمانى مجلدات فرنكفورت ــ برلين Suhrkamp Verlag

فن المسرح عند برشت

أراد برشت أن يكون ثائرا على كل ما تواضع الناس عليه من أصول المسرح منذ قعد قواعده أرسطو طاليس فى كتابه « فن الشعر » (١) ونماها النقاد والفلاسفة الجماليون فى مختلف العصور حتى سنة ١٩٢٠ :

١ ـ ففي مقابل المسرح التقليدى أنشأ مادعاه باسم الملحمي episch ، وقد سماه بهذا الاسم لأنه أراد من المسرح أن يكون كماكان يروى فى بلاط الامراء اليونانيين والأمراء الجرمانيين وكأنه ملحمة يستمع اليها المستمع في تجرد بعيد عن الانفعال واع بأن ما يمثل أمامه هو مسرح وليس واقعا حقيقيا . وبرشت يطلب الى المشاهد ألا « يندمج » فى دور الممثل ، كما يطلب الى الممثل ألا « يندمج » فى الشخصية التي يمثلها ، وهذا تماما عكس ما كان يجرى عليه الأمر من قبل : من الحكم على براعة الممثل بالقدر الذى به « يندمج » فى الشخصية التي يمثلها،ومن الحكم على المستمع المشاهد بقدر ما ينسى نفسه ويستشعر أنهأمام واقع حي يحياه كأنه أمر مشاهد فى الطبيعة . ان برشت يريد من الممثل أن يكون بينه وبين الشخصية « مسافة » ، ويريد من المشاهد أن يكون بينه وبين ما يمثل « مسافة » .

٢ ـ وهذه « المسافة » هي ما نعته برشت بنعت « تأثير الاغراب »

Verfremdungseffekt (ويختصر عادة الى V-Effekt) ، ويقصد بهذا أن يكون الممثل « غريبا » (أو بعيدا ، أو على مبعدة ، أو على مسافة) من الشخصية ، وأن يكون المشاهد هو الآخر « غريبا » (او على مبعدة) من المسرحية . وفائدة هذا « الاغراب » أو الكون على مبعدة هي أن يقف كلاهما موقفانقديا موضوعيا من المسرحية

وعلينا الآن أن نفصل هذين المعنيين :

١ ـ المسرح الملحمي

ربما يكون من الخير ، من أجل فهم خصائص المسرح الملحمي فى مقابل المسرح الدرامي ، أن نقدم هذا الجدول الشهير الذى وضعه برتولت برشت لمسرحية « مهاجوني » Mahagonny وهي الأوبرا التي مثلت للمرة الاولى في سنة ١٩٣٠ .

---

(١) انظر ترجمتنا له فى كتابنا « ارسطو طاليس : فن الشعر » . القاهرة ، سنة ١٩٥٣ .

الشكل الدرامي للمسرح	الشكل الملحمي للمسرح
المنظر « يجسد » الفعل ، ويشرك الجمهور فى هذا الفعل ، ويستهلك نشاطه .	يروى الفعل ، ويجعل الجمهور مشاهدا ، لكنه يوقظ نشاطه ،
الشكل الدرامي يزود الجمهور بتجاوب	الشكل الملحمي يزود الجمهور بالمعلومات .
يجعله قابلا للعواطف .	يلزمه باتخاذ قرارات .
المتفرج يجد نفسه فى وسط الفعل .	المشاهد يشعر بأنهفى مقابل الفعل .
المسرح يؤثر بالايحاء	المسرح يؤثر بالحجج
المشاعر يحافظ عليها	المشاعر تدفع الى الفهم ....
يفترض في الانسان انه معروف	الانسان موضوع دراسة
الانسان ثابت	الانسان متغير وقابل للتغيير
الاستطلاع يتعلق بالحل	الاستطلاع يتعلق بالتطور والنمو
كل منظر متوقف على الآخر	كل منظر مستقل بنفسه وقائم برأسه
الأحداث تجرى على هيئة خط مستقيم	الأحداث تجرى على هيئة منحنيات
الطبيعة لا تقوم بطفرات	الطبيعة تقوم بطفرات
العالم كما هو	العالم كما يصير
ما يجب على الانسان أن يفعله	ما لا بد للانسان أن يفعله
غرائزه	دواعيه ودوافعه
الفكر يحدد الوجود	الوجود الاجتماعي يحدد الفكر

ومن هذا الجدول يتبين :

أ ـ أن المسرح الملحمي يدعو الى الفعل ، ويزود بالمعارف ، مستعينا بالحجج ، محللا العواطف الى معان عقلية .

ب ـ أنه يدرس الانسان فى أحواله ، ويجد أنه رهين بهذه الأحوال ، فيتغير اذا ما تغيرت ، وبعبارة أخرى يفترض أن الانسان ليس طبعا ثابتا ، بل هو كائن قابل للتغيير اذا ما غيرت ظروفه الاجتماعية أو البيئة . وواضح ما فى هذا من تأثر بمبدأ ماركس المشهور ، وهو أن المطلوب ليس فهم الانسان ، بل تغييره . وعلى هذا سنجد فى المسرحيات الملحمية أن أحوال البطل وتصرفاته تتغير بتغير ظروفه الاجتماعية وأحواله المعاشية وملابسات البيئة ، بينما نجده فى المسرحيات الدرامية ثابت الطباع ، وعن هذه الطباع الراسخة يصدر كل ما يبدو منه من أفعال وتصرفات . ولا تفسير لهذه الا بذلك الطبع الثابت . وهذه نقطة بالغة الأهمية في مسرح برشت .

جـ ـ وعن هذه الخاصية تستنبط الخاصية الثالثة ، وهي أن الأحداث ترسم خطا مستقيما في المسرحية الدرامية ، لان طبائع الشخصيات ثابتة ، بينما هذه الأحداثفى المسرحية الملحمية ترسم خطوطا منحنية تتعرج وتدور وتنكسر وفقا للظروف الاجتماعية التي يحيا فيها الأشخاص .

د ـ وكذلك تستنبط الخاصة الرابعة وهي أن المناظر ، لانعدام الاتصال الثابت يقوم كل واحد منها برأسه ، وليس مجرد حلقة فى سلسلة كما هي الحال في المسرح الدرامي . اذ أن كل منظر يعبر عن حالة برأسها وجدت فيها الشخصية وفقا لاحداثيات اجتماعية ترتبط بها . ان الطبيعة فى المسرح الدرامي لا تقوم بطفرات ، لأن ثم منطقا باطنا نابعا من طباع الشخصية ، أما في المسرح الملحمي فلا طبع ثابت ، وبالتالي ولا منطق باطن ، بل ثم انتقالات مفاجئة ، أعنى طفرات .

هـ ـ ولما كان الوضع الاجتماعي (الاقتصادى خصوصا) هو الحاسم فى احداث التغيرات ، فان هذا الوضع الاجتماعي هو الذى يحدد الوجود ، ويحدد الفكر ، وعلى العكس في المسرح الدرامى نجد الفكر هو الذى يحدد الوجود ، لان الفكر ـ فى نظره ـ هو الذى يغير الواقع الاجتماعى . وفى هذه الخاصية نرى التعارض المشهور بين دور الفكر عند هيجل (ويتمثل هنا في المسرح الدرامى) ، وبين دور الفكر عند ماركس (وهو الذى يمثله هنا المسرح الملحمى أو مسرح برشت) .

وهذا الفكر ، فى المسرح الملحمى ، فكر « علمى » ، بالمعنى المفهوم في الماركسية حين تتحدث عن الفكر العلمى والاشتراكية العلمية . ومن هنا كانت الاشخاص تصدر فى أفعالها عن دوافع ، أى أسباب موضوعية ، لا عن غرائز كما هى الحال فى اشخاص المسرح الدرامى .

و ـ وبسبب هذه الطفرات وذلك الاستقلال للمناظر كثيرا ما نجد مسرحيات برشت مؤلفة لا من فصول actes ومناظر scenes كما فى المسرح التقليدى أو غير البرشتى ، بل من لوحات Tafeln, tableaux : فمسرحية « ماها جونى » تتألف من عشرين لوحة .

ز ـ كذلك يقوم بدور الفصل بين الفصول والمناظر بعضها وبعض : الاغانى : ولها دور هائل في مسرحيات برشت ، يقرب بعض القرب من دور الكورس فىالمسرحيات اليونانية ، ولكنه يزيد عنه كثيرا .

ح ـ وهنا نجد برشت يثور ضد مذهب فاجنر فى دور الموسيقى فى الاوبرا والمسرحيات . ذلك ان فاجنر كان يهدف من وراء الموسيقى في الأوبرا والمسرحيات الى أن تكون عاملا فعالا فى احداث « السحر » الذى يريد أن يلفت فيه المشاهد وينومه تنويما مغناطيسيا . وقد وضع برشت جدولا موجزا في نفس المقدمة التى أضافها الى مسرحية أو أوبرا « ماهاجونى » Mahagonny بين فيه الفوراق بين مذهب فاجنر وبين أسلوب الاوبرا الملحمية . وهاك هو

فى مذهب فاجنر	فى الأوبرا الملحمية :
الموسيقى تنعش	الموسيقى تبلغ
الموسيقى تبرز ملامح النص	الموسيقى تفسر النص

وكلهم من الاشتراكيين : فمن الاشتراكيين أصحاب الأغلبية كان ابرت Ebert وشيدمان Scheidemann ، ومن المستقلين كان هازه Haase الذى اغتيل بعد ذلك ببضعةأشهر .ولم يدخل الحكومة الثورية الجديدةكارل ليبكنشت Karl-Liebknecht زعيم الحركة السرية التى أطلقت على نفسها اسم « جماعة اسبارتاكوس » (١) Spartakusbund فى سنة ١٩١٦ وأخذت تبث الدعاية لوقف الحرب . وقد أعلن مندوبو الشعب هؤلاء حق التصويت للألمان من الرجال والنساء الذين يتجاوزون العشرين ، وأن مدة العمل اليومى هي ثمانى ساعات ، وأعلنوا اشتراكيةالصناعات، وتشكيل مجالس عمال تشارك فى ادارة الأعمال والمصانع .

غير أن حالة من الفوضى الشاملة قد عمت أرجاء ألمانيا : فاندلعت الثورات وانهارت النظم ، ولم يتعد سلطان حكومة برلين برلين نفسها . وصارت المانيا ، على حد تعبير شيدمان نفسه ، مجرد « مستشفى مجانين » . وفي شرق ألمانيا وقعت المصادمات مع البولنديين ، وفي بوزنان وبروسيا الشرقية ثار البولنديون ضد السيطرة الألمانية ، ومنذ نهاية شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ أعلن ضم هذه المناطق الشاسعة الي جمهورية بولندة . وفى الغرب والجنوب ثار الناس على « سيطرة برلين » ، وصاحوا : « لنتحرر من برلين » ! Los von Berlin وظهرت حركات انفصالية فى مناطق الرين والالب .

وفى الغرب من ألمانيا عادت فلول الجيوش الألمانية من فرنسا وبلجيكا ، ولكنها بدأت في التمزق : فراح الجنود يتركون فرقهم دون انتظار أوامر التسريح الرسمى . وتشكلت في كل مكان « مجالس جنود » الى جانب « مجالس العمال » واستولوا على السلطات والمسئوليات . وفى برلين تشكلت « اللجنة التنفيذية للمجالس » وادعت أنها الحاكمة فى كل ألمانيا ، وتدخلت فى شئون الحكم دون أن يحسب أى حساب للحكومة في برلين . ودب الشقاق بين المجموعات الاشتراكية.

هنالك تحركت حكومة ابرت لتخمد هذا الاضطراب الشامل . فتفاهم ابرت Ebert سرا مع الجنرال جرينر Groener الذى خلف الجنرال لودندورف ، بقصد القضاء على الحركة الثورية . وفي هذا السبيل رأى دعوة الجمعية التأسيسية الوطنية لتحل محل مجالس العمال والجنود . واستعان فى هذا أيضا

---

(١) اسبارتاكوس Spartacus : زعيم الأرقاء الثائرين في ايطاليا . وقد جمع حوله فى سنة ٧٣ قبل الميلاد جماعة من المصارعين من كابوا ، وانضم اليه جيش حقيقى من العبيد المتمردين . وأصله من تراقيا ، وقد ولد حراً ، لكنه صار عبداً نتيجة لفراره من الفرقة التى كان يخدم فيها . وقد احتاج أمر اخماد هذه الثورة الى عدة سنوات . ولم تخمد الا بعد معارك طاحنة خاضتها الجيوش الرومانية بقيادة كراسوس ، وانتصرت نهائيا على هذه الثورة فى سنة ٧١ قبل الميلاد فى معركة قتل فيها اسبارتاكوس .

بالنقابات ، وكانت تضم الملايين من العمال . وهذه النقابات انضمت الى موقف المعتدلين ضد الثوريين المتطرفين ، وبدلا من الدعوة الى « صراع الطبقات » نادت ب « المشاركة فى العمل » ، بالتعاون بين الأجراء ورأس المال . ومنذ ١٥ نوفمبر نشأ تنظيم هائل ، اجتمع فيه ممثلو النقابات العمالية وأصحاب الأعمال ، وقد قصد منه الى استمرار النشاط الاقتصادى العادى .

لكن « جماعة اسبارتاكوس » بزعامة ليبكنشت ، وروزا لكسمبورج ، هذه المهيجة المثيرة للفتن ، عارضوا فى دعوة جمعية تأسيسية من شأنها أن تأتى بنظام بورجوازى معاد للثورة الاجتماعية . وطالبوا بالدكتاتورية الكاملة لطبقة الأجراء (البروليتاريا) وتشييد نظام من « مجالس العمال » على غرار نظام السوفييتات .

وأفلحت الاشتراكية الديمقراطية (أو الديمقراطية الاشتراكية) فى دعوتها الى انتخاب جمعية وطنية ، واجتمعت هذه في ١٩ يناير سنة ١٩١٩ . لكن كان الدم قد بدأ قبل ذلك يسيل بغزارة . ففى ٦ ديسمبر سنة ١٩١٨ قامت معركة فى برلين قتل فيها ستة عشر . وفى ٢٣ و ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٨ وقع الصدام بين الجيش الرسمى وبين البحارة الثائرين . غير أن الاشتراكيين المستقلين فزعوا من العنف الذى لجأت اليه الحكومة ، فانسحبوا من « مجلس مندوبى الشعب » ولم يبق فيه غير الاشتراكيين الديمقراطيين ، وعلى رأسهم نوسكه Noske وكان فى الأصل نجارا — الذى صار حاكما لبرلين . وقام نوسكه هذا باثارة حمية البقية الباقية من الجيش الألمانى القديم من أجل القضاء على حركة الاسبارتاكيين .

ثم كان « الاسبوع الأحمر » فى برلين من ٦ الى ١١ يناير سنة ١٩١٩ . وفيه انطلقت كل القوى الثورية المتطرفة وعلى رأسها الاسبارتاكيون والمستقلون الذين احتلوا مقار الصحف الكبرى (حى الصحافة كما يسمى في مسرحية برشت هذه). لكن تولت الحكومة بمعونة الجيش القضاء على هؤلاء الثوريين المتطرفين ، فسقط منهم المئات العديدة فى معارك فى الشوارع . ثم كان اغتيال ليبكنشت وصاحبته روزا لكسمبورج بعد ذلك ببضعة أيام هو النهاية لهذه الحركة الثورية . وهكذا وبعد شهور قليلة انزاح نهائيا خطر الشيوعية ، بعد أن كان لينين ، وقد انتصر فى ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ فى روسيا ، يمنى نفسه أوسع الأمانى من انتصار الشيوعية في ألمانيا ومن ثم يمتد بها الى سائر أوروبا(١)

---

(١) لمزيد من الاطلاع راجع عن هذه الفترة :

(a) M. Baumone et Marcel Berthelot : L'Allemagne. Lendemains de guerre et de révolution, Paris, 1922 ;
(b) Albert Rivaud : Le relévement de l'Allemagne 1918-1938 ; Paris, 1938.
(c) Hohfeld : Geschichte des deutschen Reiches, 1871-1926 ; Leipzig, 1926.
(d) M. Baumont : La Faillite de la paix, 1918-1939. Coll. Peuples et civilisations. PUF, 1951, Paris.

ـ ٢ ـ

وهذه الاحداث كلها تفترضها هذه المسرحية التى تصور جنديا عائدا من الحرب بعد أن انقطعت أخباره طوال أربع سنوات عن خطيبته « أنا » ، فيئست هى الأخرى ، وانعقدت أواصر العلاقة بينها وبين فتى يدعى فريدرش مورك ، كان عاملا ، واستطاع الاستفادة من ظروف الحرب حتى كون ثروة كبيرة . وعلى الرغم من أن « أنا » Anna لم تكن تحمل له أى حب ، فقد تطورت العلاقة بينهما الى حد أنها أثمرت جنينا فى أحشائها . وكان لابد من عقد الزواج . وتم الاتفاق على عقد الخطبة فى مساء يوم به تبدأ المسرحية . لكنه فى نفس الليلة ذاتها عاد اندرياس كراجلر ، الجندى الحبيب المفقود منذ أربع سنوات ، وحضر الى بيتها . وعلم أنها ستعقد خطبتها بعد قليل فى باربيكادلى ، فراح الى هناك . وهناك شاهدته أنا ، ودارت مناقشات حامية بين كراجلر وبينها وبين الخطيب الجديد مورك . وعلى الرغم من أن « أنا » مالت الى حبيبها القديم ، فقد رأت أن ثم ما يحول بينهما ، هو هذا الجنين الذى تحمله في بطنها من ذلك الشخص الآخر ، مورك . فيسقط فى يد كراجلر ، ويهيم على وجهه . وفى تلك الليلة ، ولابد أن ذلك كان فى « الأسبوع الأحمر » (٦ ـ ١١ يناير سنة ١٩١٩) ، كان الاسبارتاكيون يحتلون حى الصحافة . فلم يجد كراجلر مخرجا ، وهو اليائس البائس ، الا أن ينضم الى الثوار ـ فى أى صف ، لايخبرنا المؤلف . و « أنا » من ناحيتها لم تشأ الاستمرار في خطبة لا يهفو قلبها اليها ، فراحت تبحث عن كراجلر ، ويلتقيان أخيرا ، فيصرفه هذا اللقاء عن الاقبال على مغامرته الثورية ، لأنه لا يريد أن يكون مرة أخرى ألعوبة فى أيدى الآخرين ، وكفاه تجربته الأولى ألعوبة فى أيدى مثيرى الحروب « لقد جاء الآن دور السرير ، السرير الواسع الكبير الناصع البياض » كما قال داعيا « أنّا » الى الذهاب معه للعيش بسلام ، والمحافظة على سلسلة نسبة .

ـ ٣ ـ

والمسرحية اذن سياسية تتعلق بأحداث جارية ساخنة ، وقد ألفها فى أوجسبورج مسقط رأسه ، فى سنة ١٩١٩ ، وهو في الحاديه والعشرين . ومثلت لأول مرة فى منشن ، فى ٢٩ فبراير سنة ١٩٢٢ ، باخراج فالكنبرج O. Falkenberg ومثل أ . فابر E. Faber دور كراجلر .

وكان يريد أن يكون عنوانها « اسبارتاكوس » ، ولكنه عدل عن ذلك . والعنوان الجديد « طبول فى الليل » يدين به برشت لصديقه ليون فويشتفانجر Lion Feuchtwanger القصصي والمؤلف المسرحي الذى كان يكبره بأربع عشرة سنة ، وكان برشت قد تعرف اليه فى نهاية سنة ١٩١٨ وبداية سنة ١٩١٩ في منشن ، فتصادقا صداقة استمرت حتى النهاية ، وكثيرا ما كانا يعملان معا ، ويلهم كل منهما الآخر أو يستلهمه .

ولما أراد برشت أن ينقح المسرحية من أجل طبعتها النهائية بعد ظهورها بأربع وثلاثين سنة ، كتب يقول :

« مسرحية طبول فى الليل هي من بين مسرحياتي الأولى أشدها التباسا . فالتمرد ضد اصطلاح أدبي ملموم قد أدى ، فى هذه الحالة ، الى ادانة حركة اجتماعية كبيرة . لقد كان من شأن التسيير العادى ، أى الاصطلاحي ، للحكاية ، أن يجعل الجندى العائد من الحرب ، والذى انضم الى الثورة ، لان حبيبته خطبت الى شخص آخر ، اما ان يسترد حبيبته أو يتخلى عنها نهائيا ، وفي كلتا الحالتين يستمر منخرطا فى الثورة . وفى مسرحية **طبول الليل ، رغم ذلك** ، يسترد الجندى كراجلر حبيبته ، رغم أنه أهين ، ويدير ظهره للثورة ويتخلى عنها . ويبدو هذا أخسَّ الأوضاع الممكنة ، خصوصا وأنه يمكن ان يستدل منه على أن هوى مؤلف المسرحية هو مع هذا الحل .

« وهاأنذا أرى اليوم ، أن روح المناقضة عندى قد أفضت بي الى حدود اللامعقول ، واني لاكبت الرغبة فى أن أنعت هذه الروح بأنها الشباب ، لاني آمل أن تكون لاتزال لدىَّ حتى اليوم دون نقص .

« والتصورات الدرامية فى ذلك العهد ، بدعواتها العريضة « للانسان » ، وحلولها المصطنعة غير الواقعية ، كانت كريهة الى نفس طالب البيولوجيا الذى كنته آنذاك . وكانوا يبتكرون من الهواء مجموعة من الناس « الطيبين » غيرالمحتمل وجودهم ، ولا أثر لهم على كل حال ، لانها كانت تزعم ، بنوع من الادانة الاخلاقية، أنها قادرة على القضاء نهائيا على الحروب ، والحروب في الواقع ظواهر معقدة مغروزة بعمق فى النظام الاجتماعى .

« ولم تكن لدى عن الثورة الروسية غير معلومات غامضة جدا ... ويبدو أن معلوماتى لم تكن كافية كى تمكننى من فهم أهمية الثورة البروليتارية التى وقعت فى شتاء سنة ١٩١٨ ــ سنة ١٩١٩ (فى ألمانيا) : وانما كنت أرى فقط أن مشاركة فتاى « البطل » فى هذه الثورة لم يكن بالامر الجاد . والذين بدأوا الصراع كانوا من الاجراء (البروليتاريا) ، وهو استفاد منها . وهم ، من أجل الثورة ، لم يحتاجوا الى فقد أى شىء ، وهو كان يمكن تعويضه . وكانوا مستعدين لحل مشكلته بواسطة مشاكلهم ، ولكنه تخلى عن قضيتهم ... كل هذا كنت قد أدركته آنذاك ، لكنى لم أفلح في ابراز الثورة للمشاهد الا بعيون « بطلى » كراجلر ، ثم ان الثورة كانت مغامرة رومنتيكية ...

« ولم يكن من حقى (وأنا أعيد النظر فى المسرحية) أن أمس بالتغيير شخصية كراجلر ، الذى يجسد البورجوازى الصغير . وكان لابد أيضا من الاحتفاظ بالاطراد النسبى الذى ظفر به موقفه ... غير أنى قويت الجانب المعارض ، بأن أضفت الى صاحب الحانة جلوب ابن أخ ، كان عاملا شابا ثوريا سقط صريعا فى أثناء أيام نوفمبر . وهذا الشخص ، وان كان باهت الشخصية هنا ، هو بمثابة مقابل موازن للجندى كراجلر .

« وأرجو أن يتمكن القارىء أو المشاهد من أن يحوّل الى كراهية ماسيستشعره من عطف نحو بطل المسرحية ، دون أن يساعده على ذلك تأثير الاغراب » .

وقد اعتمدنا فى هذه الترجمة على هذه الرواية المنقحة للمسرحية ، كما أقرها برشت فى مارس سنة ١٩٥٤ حين أعدها للطبع لدى الناشر سور كامب Suhrkamp (في فرنكفورت) . على أن هذه الصورة المنقحة لا تختلف عن الصورة الأصلية التى ألفها برشت فى سنة ١٩١٩ الا فى بعض جمل قليلة فى الحوار الاخير ، هى تلك التى تشير الى ابن أخى جلوب . واذن فالتعديلات هينة جدا .

وقد حصل برشت على جائزة كليست عن هذه المسرحية .

* * *

شخصيات المسرحية

اندرياس كراجلر	Andreas Kragler
أنا باليكه	Anna Balicke
كارل باليكه : أبوها	Karl Balicke
أماليا باليكه : أمها	Amalie Balicke
فريدرش مورك : خطيبها	Friedrich Murk
بابوش : صحفى	Babusch
رجلان	
جلوب : تاجر خمور	Globb
مانكه : نادل فى بار بيكادلى	Manke
أخوه ويدعى : مانكه ـ حب ـ العنب	
رجل مخمور	
بولتروتر : بائع صحف ينادى عليها	Bulltrotter
أوجستا ، ماريا : مومسان	Augusta, Marie
لار : فلاح	Laar
عامل	
خادمة	
بائعة جرائد	

نفس الممثل يمثل دورى الأخوين مانكه

الكوميديا تجرى أحداثها خلال ليلة من ليالى شهر نوفمبر ، من الغروب حتى الفجر .

الفصل الأول

(افريقيــة)

في بيت آل باليكــه

(غرفة مظلمة . في النوافذ ستائر من التُّل . وقت الغروب)

باليكــه : (يحلق ذقنه امام النافذة) مضت أربع سنوات منذ أن اعتبر مفقودا . لن يعود الآن . لاندرى مايخبئه لنا المستقبل . الرجل يساوى الآن وزنه ذهبــا . وأنا منذ عامين كنت سأبارك ذلك . لكن عاطفتك اللعينة غلبتنى على أمرى . والآن عليّ أن أمشى على جثث .

السيدة باليكه : (أمام صورة فوتوغرافية لكراجلر بزىّ جنـدى المدفعية ، وهى معلقة على الحائط) : لقد كان رجلا طيبا ، لطيفا ، طفلا حقــا .

باليكــه : انه الآن يتحلل .

السيدة باليكه : آه لو عــاد !

باليكــه : لا أحد يعود من السماء .

السيدة باليكه : بحق كل القديسين في النعيم ، ستلقى بنتنا أ ّنّا بنفسها حينئذ في المســاء !

باليكــه : اذا كانت تقول هذا ، فهى اوزة ، وانا لم أشاهد حتى الآن أوزة في المســاء .

السيدة باليكه : إنى أراها في ذبـــول [1]

باليكـــه : ما عليها الا أن تكف عن التهام لدائن التوت والرنجة على طريقة بسمرك ! ان مورك Murk شـــاب ممتاز وعلينا ان نحمد الله راكعين على انـــه بعث الينا بـــه

السيدة بالكيه : انه يكسب اموالا ، هذا حق . لكنه لـــو قورن بالاخر ! عيونى تغرورق بالدموع !

باليكـــه : لو قورن بجثة ؟ أكرر لك : إما الآن ، أو أبـــدا . ماذا تنتظر هى . البابا ؟ ربما تنتظر زنجيا ؟ شبعت من هذه القصة .

السيدة باليكه : ولو عادت هذه الجثة التى تتحلل ، كما تقـــول ، لو عاد من الجنة أو من النار ؟
(اسمى كراجلر .) فمن ذا الذى سيقول له حينئذ انه ليس الا جثة ، وان خطيبته تنام في سريــــــر شخص آخـــر ؟

باليكـــه : أنا سأكلمه ، أنا ! والى أن يقع شئ من هذا القبيل اذهبى أنت وقولى لتلك البنيـــة : كفى هـــذا : وسنعزف مارش الزفاف وزفافها سيكون الىمورك لو قلت أنا لها هذا ، لأغرقتنا بالدموع . حسن ، الآن أشعلى النور ، من فضلك !

السيدة باليكه : أنا ذاهبة لاحضار المَشمّع . بدون نور أنت تجرح نفسك دائما .

باليكـــه : الجرح لايكلف شيئا ، أما النور ... (ينادى :) أنا !

---

(١) الترجمة الحرفية : تبدو لى كما لو انها تبصق في بحر

أزّا : (عند عتبة الباب) ماذا تريد يا أبتاه ؟

باليكه : أرجوك أن تصغى الى ما ستقوله لك أمك ، ولا تأخذى في النحيب في أجمل يوم في حياتك .

السيدة باليكه : اقتربى يا أزّا . أبوك يلاحظ عليك أنك شاحبة جدا ، كما لو كان لايغمض لك جفن طوال الليل .

أزّا : بلى ، أنا أنام .

السيدة باليكه : اسمعى ،الامر لا يمكن أن يستمر هكذا الى الابد . الآن هو لن يعود .

(تشعل شموعا)

باليكه : ها هى ذى بدأت تبدى عن عيون التمساح !

السيدة باليكه : كان أمرا فظيعا بالنسبة اليك ، ولقد كان رجلا طيبا ، لكنه الآن مات .

باليكه : دُفِن وتحلل .

السيدة باليكه : كارل ! ولديك الآن مورك ، وهو رجل مجتهد، سعيد الحظ .

باليكه : ماذا تريدين أكثر من هذا ؟

السيدة باليكه : اذن عليك ، في نظرى ، أن تقولى « نعم » أمام الله

باليكه : وخصوصا لانريد منك ان تمثلى أمامنا هزلية .

السيدة باليكه : عليك أن تتخذيه زوجا أمام الله .

باليكه : (غاضبا هائجا لانه لا يستطيع ان يلصق المشمع على صدغه) : بحق الشيطان ، هل تحسبين ان من الممكن اللعب بالكرة هكذا مع الفتيان ؟ قولى

« نعم » أو « لا » . أما أن ترفعي بصرك نحو السماء فهذا بلاهة .

أنّـــا : اى ، بابا !

باليكـــه : (متذمرا) هكذا ! والآن خذى في البكاء ، هيّا ، قد فتحت السدود ، سأضع حالا طوق النجاة .

السيدة باليكه : مورك هذا ألا تشعرين نحوه بأى حُبّ ؟

باليكـــه : هذا بكل بساطة يتنافى مع الاخلاق الحميدة .

السيدة باليكه : اسمع يـــا كارل ! قولى لى يا أنّا ، ألا تستشعرين ذرة من الحب لفريدرش هذا ؟

أنّـــا : بلى ! لكنكما تعلمان جيدا حقيقة الامر ، ثم انى أشعر بتقزز . . .

باليكـــه : أنا لا أعلم شيئا . وانى اكرر لك : الشاب تحـــلل وأكله الدود ، وهيكله العظمى انقسم الى قطـــع صغيرة ! ثلاث سنوات ! وليس ثم أى دليل على أنه حى ! وكل طاقم المدفعية الذى كان فيه قد طار ! في الهواء ! وتمزق إرْباً إرْباً ! مفقود ! وسيكوب عجيبا من يخبر أين ذهب ! كل هذا ناشئ عن خوفك اللعين من الاشباح . اتخذى اذن زوجا ، وهنالك لن تخشى من أى شبح ، ابّان الليل . (يذهب ناحية أنّـــا ، ويصيح بصوت مرتفع :) هيّا ، هل أنت فتـــاة شجاعة ، نعم أَو لا ؟ اقتربى قليلا .

(يسمع قـــرع)

أنّـــا : (مرتاعة) انه هـــو .

باليكـــه : احتجزيه في الخارج وهيئيه !

السيدة باليكه : (عند الباب ، وفي يدها سلة الغسيل) : أليـــس عندك شيءٌ للغسيل ؟

أنـّـــا : بلى . لا . لا ، أعتقد انه ليس عندى شيء .

السيدة باليكه : ولكن اليوم هو اليوم الثامن .

أنـّـــا : الثامن ، حقـــا ؟

السيدة باليكه : طبعا ، الثامـــن .

أنـّـــا : ثم ماذا ؟ وحين نكون في اليوم الثامن عشر ؟

باليكـــه : فيم تثرثران هكذا عند الباب ؟ تعالى هنا .

السيدة باليكه : فتـّشى عما اذا كان عندك شيءٌ للغسيل .

(تخـــرج)

باليكـــه : (يجلس ، يضع أنـّا على ركبتيه) : امرأة بـــدون رجل ، هذه اهانة في حق الله . هذا الفتى الـــذى أرسلوه الى الجبهة أنت في شوق اليه . ليكن . لكن هل أنت تتذكرين وجهه ؟ ليست لديك عنه أيـــة فكرة ، يا بنيّتي . موته جعل منه مانيكان احتفالات . ازداد جمالا طوال ثلاثة أعوام ، واذا لم يكن قد مات ، فسترين انه يختلف تماما عما تتخيلينه . على انه تحلل ، وأؤكد لك ان منظره كريه : لم يعـــد لعشيقك أنف . لكنك تفتقدينه . حسن ، اذن ، اتخذى رجلا آخر . الطبيعة تريد هذا ، أترين؟ ستشعرين ، حين تستيقظين في الصباح ، انك مثل

الارنب في حقـــل كرنب . وانت لا تـــزال لك أطراف سليمة وشهية ! وليس في هذا اهانة لله ، أؤكـــد لك .

أنّـــا : لكننى لا أستطيع أن أنساه ! أبدا ! أبدا ! أنت تريد أن تقنعنى ، لكنى لا أستطيع !

باليكـــه : خذى مورك ، وسينسيك الفتى الآخر .

أنّـــا : أنا أحبه ، وذات يوم لن أحب غيره ، أما الآن ، فانى لم أصل الى هذا الحد .

باليكـــه : أوه ، سيجعلك تغيرين فكرك ، بشرط أن يكون له عليك سلطان كامل . أتفهمينى ؟ وهذه الأمور خير حل لها هو الزواج . لا أستطيع ان أشرح لك هذا ، فأنت لا تزالين صغيرة .

(يدغدغها) اذن : اتفقنـــا ؟

أنّـــا : (تضحك مع شئ من التكلف) : لا أدرى هـــل فريدرش يريد .

باليكـــه : يا امرأتى ، تعـــالى .

السيدة باليكه : تفضل ، في الصالون . ادخل ، أرجوك ، ياسيد مـــورك .

باليكـــه : مساء الخير ، يامورك ! ماذا بك ؟ يبدو عليـــك كأنك جثة على المـــاء !

مـــورك : الآنسة أنّـــا .

باليكـــه : ماذا بك ؟ هل حدث لك حادث أليم ؟ كيف يكون

المرء شاحبا كل هذا الشحوب ، يا صاحبي؟ ربما كان السبب طلقات النار التى تسمع في الهـواء في السماء . (صمت) . يا أنّـــا ، اهتمى به .

(يخرج هو وز وجته بانطلاق)

أنّـــا : ماذا بك يافريدرش ؟ انت شاحب اللون جدا .

مـــورك : (مستنشقا) : أهذا الخمر من أجل الخطبـــة ؟ (صمت) . هل جاء أحد ؟ (يذهب ناحية أنّا) قولى لى ، هـــل جاء أحـــد ؟ لماذا صرت بيضاء كالغسيل ؟ من الذى أتى ؟

أنّـــا : لا أحد . لم يأت أحد . لكن ماذا بك أنت ؟

مـــورك : اذن لماذا كل هذه العجلة ؟ لا تروى لى حكايات . ان كان هذا يسرّه ! لكى لا أخطب في مثل هذا المحـــل .

مـــورك : العجوز . عين السيد تجعـــل المواشى تســـــمن ! (يتجول في الغرفة في قلق) . آ ه ، ثم ماذا ؟

أنّـــا : أنت تتصرف كما لو كان أبواى هما الحريصـــين عليها . والله يعلم أنهما غير حريصين عليها أبدا . هذا ، لا ! فاهم ؟

(تقرقع باظافرها)

مـــورك : قولى لى ، متى قمت بأول تناول ؟

أنّـــا : اريد فقط ، أن أقول انك تأخذ الامور بنوع من الاستخفاف .

مــورك : آه ، صحيح ! الآخر ؟

أنّــا : أنا لم أتكلم عن الآخر .

مــورك : لا ، لكنه دائما حاضر ، في مكان ما ، يتجـول حولنا .

أنّــا : معه كان الأمر مختلفا تماما . انك لا تستطيع أن تفهم . لقد كان الأمر معه على المستوى الروحى .

مــورك : وبين كلينا نحن ، ماذا هو ؟ جسدىّ ؟

أنّــا : بيننا لا يوجد شيء أبداً .

مــورك : لكن الآن ، هناك شيء مع ذلك !

أنّــا : ماذا تدرى عن هذا ؟

مــورك : آه عمّا قليل سأجعلك تغنين أغنية أخرى .

أنّــا : مجـرد كلام .

مــورك : لكنى سأطلب يدك .

أنّــا : هل هذا تصريحك ؟

مــورك : لا ، سيأتى بعد .

أنّــا : على كل حال ، ان كل ما لديك لتقدمه إلىّ هو مصنع سلال ذخيرة .

مــورك : يالك من عفريتة ! ألم يشعروا بشيء في الليلـة الماضية ؟

أنّــا : أوه ! فريدرش ! انهما ينامان نوما عميقا .

(تلتصق به)

مـــورك : أما نحن فلا .

أزّـــا : ياشقيّ !

مـــورك : (يجذبها اليـــه ويـّقبلها ، لكن بغـــير حرارة) : ياعفريتة !

أزّـــا : صه ، اسكت ! قطار يسير في الليل . أتسمعه ؟ أحيانا أخشى أن يأتى . وهذا يسبب لى عرقا باردا يسيل على ظهرى .

مـــورك : من ؟ المومياء ؟ أنا كفيل به . لكنى أقول لك : لا محل لهذا الفتّى فيما بيننا . لا أريد أن يـــكون بيننا على السرير جيفة . أنا لا أحتمل أى منافس ، فاهمة ؟

أزّـــا : لا تغضب . يافريدرش ، اصفح عنّى .

مـــورك : دائما صاحبك أندرياس ؟ رُؤَى ! حين نتـــزوج سيكون ميتا مثلما كان في يوم دفنه . أتراهنين ؟ (يضحك) أنا أراهن : ولد .

أزّـــا : (وهى تخفى وجهها في صدره) : أرجوك ! لا تقل مثل هذه الأشياء .

مـــورك : (بصراحة) سأشعر بالضيق ! (نحو الباب) : تستطيعين الدخول ياماما ! مساء الخير يابابا !

السيدة باليكه : (وهى عند الباب) : يا أولاد ! (تأخذ في التنهد) هكذا ، بدون تحفظ !

باليكـــه : ولادة عسرة ، أليس كذلك ؟

(عناق وانفعالات عامة)

مــورك : توأمان . والزفاف ، متى ؟ الوقت من ذهب .

باليكــه : بعد ثلاثة أسابيع ، لو أردتما ! السرير جاهــز ، يا ماما ، العشاء .

السيدة باليكه : حالا ، حالا ! لكن دعني آخذ نفسى . (تخرج) هكذا ، بدون تحفظ !

مــورك : اسمحا لى بأن ادعوكما للشراب في بار بيكادلى . أنا من أنصار الخطبة الفورية . وأنت يا أنّا ؟

أنّــا : إذا لزم الأمر !

باليكــه : لكن يمكننا عمل هذا هنا ! لماذا الذهاب إلى بار « بيكادلى » ؟ ما هذه الفكرة الغريبة ؟

مــورك : (قلقا) لا ، ليس هنا . هنا ، لا يمكن .

باليكــه : ما معنى هذا ؟

أنّــا : انه غريب الأطوار . تعالوا اذن إلى بار «بيكادلى» !

باليكــه : في ليلة كهذه ؟ المرء يخاطر هكذا بحياته !

السيدة باليكه : (تدخل مع الخادمة التى تحضر الحساء) نعــم يا أولاد ! أية مفاجأة ! لكن كل شىء يجوز أن يحصل . إلى المائدة ياسادة !

(يأكلون)

باليكــه : (رافعا رأسه) على صحة الخطيبين ! (تقــرع الكؤوس) الأيام لا أمان لها . الحرب انتهــت . يا أماليا ، هذا الخنزير المحمّر كثير الدهــن !

تسريح الجنود يؤدى إلى مزيد من الاضطـــراب ، والنهب ، والحيوانية في واحات العمل الهادىء .

مـــورك : تحيا سلال الذخيرة ! على صحتك يا أنّا !

باليكـــه : عدد العناصر القلقة في تزايد مستمر . صيّادون في الماء العكر ! والحكومة غير حازمة في مكافحـــة مستغلّى الثورة ! (يفتح صحيفة) الجماهـــير الهائجة ليست لها مثل عليا . لكن أسوأ الجميع هم الجنود العائدون من الجبهة ، أستطيع أن أقـــول هذا هنا . انهم مغامرون ، ودواب بلا أخـــلاق ، قد فقدوا عادة العمل ولم يعد عندهم شيء مقدسا . حقا ان عصرنا هذا عصر عصيب : والزوج ، في هذه الأيام ، يساوى وزنه ذهبا ، يا أنّا . استندى اليه بشدة . واعملوا على اجتياز العقبة ، ولكن كتفا إلى كتف . لابد من اجتياز العقبات . على هناءة حبكم !

(يأخذ في ملء الفونوغراف)

مـــورك : (وهو يجفف جبينه الرطب) برافو ! حين يكون المرء رجلا ، فإنه يستطيع التخلص دائما . آه ! لابد للمرء أن يتقن المزاحمة بالاكتاف ، وانتعال الأحذية الحديدية ، والرؤية بوضوح ، دون النظر إلى مايدوس عليه . نعم ، يا أنّا ! أنا أيضا بدأت من لاشىء ، أنا من أصل وضيع بسيط : صبى مراسلة ، صبى ميكانيكى . عملية هنا ، تدبيرة هناك . ويتعلم الانسان شيئاً عن يمين وعن شمال .

وألمانيا كلها قد ارتفعت بهذه الطريقة . آه ! لم يحمل الكل قفازات في أيديهم ، ولكن يعلم الله كم بذلوا من جهود ومشقة . والآن صرت في أعلى السلم . على صحتك يا أنّا !

(الفونوغراف يعزف : « أيها الحب ، حين تستولى علينا ! »)

باليكه : برافو ! حسن ، يا أنّا ، ماذا بك ؟

أنّا : (قامت واستدارت نصف دورة) لا أدرى . كل هذا جرى بسرعة جداً . انى أسائل نفسى يا أماه عمّا إذا كان هذا هو الطريق السليم . . .

السيدة باليكه : ماذا تقصدين يا ابنتى ؟ يالك من اوزة ! على العكس ، عليك أن تكونى راضية . ما الشيء الذى ليس بالسليم ؟

باليكه : اجلسى ! أو مادمت واقفة فاملئى الفونوغراف .

(أنّا تجلس . صمت)

مورك : اذن على غرامياتك ! (يقرع كأسه بكأس أنّا) . لكن ماذا بك ؟

باليكه : وبمناسبة شغلتك يافرتز ، شغلة سلال الذخيرة ، أتعرف انها لن تساوى شيئا بعد قليل . كلها ثمانية أو خمسة عشر يوما من الحرب الأهلية ، ثم ينتهى كل شيء ! وأقول لك عن جد ، أنا في ذهنى شغلة عظيمة وهى : عربات للأطفال . المصنع لم يسر خيرا من هذا ، من كل النواحى . (يمسك

بمورك من ذراعه ويقتاده إلى العمق . يزيح ستائر النافذة) المبنى الجديد رقم ٢ ، والمبنى الجديد رقم ٣ . صناعة ثابتة وحديثة . يا أزّا ، املئى الفونوغراف ! ان هذه الاسطوانة تهز كيانى .

(الفونوغراف يعزف : « ألمانيا ، ألمانيا ، قبل كل شىء »)

مورك : هناك رجل في فناء المصنع ، من هو ؟

أزّا : لكن هذا مروع . يخيل إلىّ انه يتطلع إلى هنا .

باليكه : يحتمل أن يكون الحارس . لماذا يضحكون يافرتز ؟ ان في ذهنك شيئاً . ان السيدات كلهن شاحبات .

مورك : خطر ببالى شىء غريب : الاسبارتاكوسيون . . .

باليكه : هذا تغفيل ! هذا لا يوجد عندنا ! (ومع ذلك يتلفت متضايقا) هذا هو المصنع اذن . (يعود الى المائدة ، بينما أزّا تسدل الستائر) . نعم ، الحرب هى التى وضعتنى على الغصن الأخضر الزاهر ! . كان الثراء مطروحا في عرض الطريق ، فلماذا لا ينحنى المرء ليلتقطه ! اذن سيكون ذلك حماقة وغفلة . ولو لم التقطه أنا ، لالتقطه غيرى . ان شقاء البعض هو الذى يصنع سعادة البعض الآخر . ولو حسبنا حساب كل الاعتبارات ، لقلنا ان الحرب كانت فرصة مواتية لنا . لقد كدّسنا الارباح ، وملأنا الجيوب ، ونحن في أمان . ونستطيع بكل اطمئنان ان نصنع عربات أولا . وبدون استعجال ! موافق ؟

مـــورك : موافق كل الموافقة ياببابا ! على صحتك !

باليكـــه : وأنتما تستطيعان أن تتفرغا لصنع أطفال ! ها ! ها ! ها ! ها !

الخادمـــة : حضر السيد بابوش ، ياسيد باليكه .

بابـــوش : (يدخل باندفاع واسراع) ياجماعة ! أنتم في مأمن من سبت الجن الأحمر ! اسبارتاكوس يعبىء رجاله . المفاوضات قطعت . وبعد أربع وعشرين ساعة سيزأر المدفع في برلين .

باليكـــه : (ولا تزال الفوطة حول رقبته) لكن هـــؤلاء الناس لم يقنعوا اذن ! ياللشيطان .

السيدة باليكه : المدفع ؟ يا الهى ! يا الهى ! يالها من ليلة . آه ! يالها من ليلة ! سأنزل إلى المخبأ ياباليكه !

بابـــوش : في وسط المدينة لا يزال كل شيء هادئا ، لكن يظهر أنهم سيحتلون مطابع الجرائد .

باليكـــه : ماذا ؟ ونحن الذين نحتفل بالخطبة ؟ يعملون هذا في هذا اليوم بالذات ؟ يالهم من مجانين !

مـــورك : لابد من لصق هذا في الجدار !

باليكـــه : كل أولئك الساخطين في الجدار !

بابـــوش : أأنت الذى تخطب ، ياباليكه ؟

مـــورك : بابوش ، خطيبتى !

السيدة باليكه : هكذا ! فجأة ! بغير تحفظ ! لكن متى سيضربون بالمدافع ؟

بابـــوش : (يصافح يدى أزّا ومورك) الاسبارتاكيـــون خزنوا أسلحة بكميات . هؤلاء الرعاع يعملون في الظلام . آه يا أزّا ! لا تلقى بالا ! هنا لن يحدث شيء . هذا بيت هادىء ! الاسرة ! نعم ! الاسرة الالمانية ! بيتى قلعتى [١] my home is my castle

السيدة باليكه : في عصرنا ! في عصرنا ! وبالذات في أجمل يوم من أيام حياتك ، يا أنّا .

بابـــوش : تعرفون ياجماعة أن الامور في غاية التشويق .

باليكـــه : قليلا جدا بالنسبة إلىّ ! قليلا جدا !

(يمسح فمه بالفوطة)

مـــورك : ألا تعرف ؟ تعال معنا إذن إلى بار بيكادلى ! من أجل خطبتى

بابـــوش : والاسبارتاكيون ؟ [٢]

باليكـــه : سينتظرون ، يا بابوش . دعهم لتطلق عليهم النار . تعال معنا إلى بار بيكادلى ! يانساء ، البسن ثيابكن

السيدة باليكه : إلى بار بيكادلّى ؟ وفي الليل ؟

(تجلس على كرسى)

باليكـــه : بار بيكادلّى ، هذا الاسم القديم . الآن يسمـــى « مقهى الوطن » . فريدرش يدعونا ! وماذا يهم

---

(١) بالانجليزية فى الأصل الألمانى

(٢) كان سبارتاكوس زعيما للعبيد المتمردين ضد روما وقد قتل فى سنة ٧١ ق . م .

ان يكون الوقت ليلا ؟ العربات ، من أجل ماذا ؟ هيّا ، البسى ثيابك ، يا عجوز !

السيدة باليكه : لن أخطو خطوة واحدة خارج البيت . ماذا جرى لك يا فرتزى !

أنّـــا : ارادة الانسان هى جنته ! مادام فريدرش يريد . . .

(الجميع يتطلعون في مورك)

مـــورك : لا ، ليس هنا . بأى ثمن . أنا أريـــد موسيقى ، وأضواء . انه محل ممتاز . كما سترون . أما هنـــا فالمكان مظلم جدا . لقد لبست ثيابى لهذا الغرض . ماذا تقولين في هذا اذن ، ياحماتى ؟

السيدة باليكه : لا أستطيع أن أفهم السبب .

(تخرج)

أنّـــا : انتظرنى يافريدرش ، سأكون جاهزة في دقيقة .

بابـــوش : عجيب كل ما يجرى الآن . كل الجهاز يطير . أيها الوُضَعاء ، نَظّموا أنفسكم ! وبهذه المناسبة أقول لكم ان المشمش الأصفر ، الناضج ، المملوء بالعصارة يساوى الرطل منه خمسة ماركات . أيها المتعطلون ، لا تستجيبوا للاستثارة ! في كل مكان ، في المقاهى ذات الضوء الباهر يشاهد عصابات من الأشخاص المشبوهين ، يَصفِرون بوضع أصابعهم في أفواههم . وقد اتخذوا مما يسمونه جلـــودهم القديمة رايات ! بينما صفوة المجتمع ترقص الفالس في المراقص ! هيا ، على نخب زواجك !

مـــورك : لا حاجة بالسيدات إلى تغيير زينتهن . الآن لا أهمية لشيء من هذا . بالزينة البراقة تلفتن النظر اليكن .

باليكـــه : هذا صحيح تماما . الأيام عصيبة . أقدم مـــلابس مستعملة تكفى لمثل هؤلاء الأوباش . انزلى حـــالا يا أنّا .

مـــورك : سنذهب نحن قبلكم . لا تغيرى شيئا من ملابسك .

أنـّــا : جلف !

(تخـــرج)

باليكـــه : إلى الأمام ، سِرْ ! الاتجاه : الجنة بالموسيقى . علىّ أن أغير قميصى .

مـــورك : الحقى بنا أنت وأمك . وسنأخذ معنا بابوش باعتباره وصيفة ، أليس كذلك ؟ (يغنى :) بابـــوش ، بابوش ، بابوش يهرول في الصالة .

بابـــوش : دائما تكرر نفس الكلام الصادر عن فتى مجنون ، ألا تستطيع أن تتخلى عنه نهائيا ؟

(يخرج معه متأبطا ذراعه)

مـــورك : (يستمر في الغناء في الخارج) ياصبيان ، مصوا ابهامكم ، هذا أوان العربدة . أنّا !

باليكـــه : (وحده ، يشعل سيجارة) الحمد لله ، خلصنـــا من هذه المسألة ! أوه ، هذه البنت كم أرتنـــا العجب ! لابد من دفعها إلى السرير بالقوة ! وحبها الأبله لجيفة ! لقد بللّت فيها قميصى النظيـــف .

والآن ليكن ما يكون . شعارنا : عربات للأولاد .
(يخرج) يا امرأة ، هاتي قميصا .

أنـّـا : (من الخارج) فريدرش ، فريدرش ! (تدخل كالريح العاصفة) فريدرش !

مـورك : (عند عتبة الباب) : أنّا ! (يتكلم بجفـاف ، انه قلق ، وعليه سيما الشمبانزى وذراعاه معلقتان وتهتزان) : هل قررت ، أولا ؟

أنـّـا : ماذا بك ؟ لو شاهدت نفسك في المرآة !

مـورك : هل تأتين ، نعم أولا ؟ أنا أعلم ما أقول . دعـى الحركات ! ليكن الأمر واضحا تماما .

أنـّـا : نعم ، نعم ! هذا شيء جديد !

مـورك : حسن ، حسن . لست متأكدا تماما من نفسى بعد . لقد عانيت الويلات وأنا أسكن طوال عـشرين سنة في غرفة الخادمات ، واستشعرت البرد ينخر في عظامى ، والآن أنا ألبس أحذية ذات زراير ، انظرى اليها . وسال العرق منى في الماء ، عـلى ضوء مصباح غاز ردىء ، وكلفنى هذا الكثير من بصرى . الآن يصنع ملابسى خياط . غير أنى لست بعدُ راسخا على قدمىّ . ثم تيار من الهواء البارد ، تيار من هؤلاء مثلج عند الارض يجمد الاقدام . (يذهب ناحية أنّا ، دون أن يمسها ، ويظل واقفا أمامها وهو يتأرجح على قدميه) . والآن يزدهر النبات ، الآن الخمر يجرى أمواجا . الآن أنا هناك . بلّنى

العرق ، والعيون مغلقة ، والكف مقبوض إلى حد دخول الأظافر في لحم الكتف . انتهى هذا كله ! شيئا من الأمان ! شيئا من الحرارة ! لنخلع الأسمال البالية ! سرير واسع ، وثير ، وفرش أبيض . (حين يمر عند النافذة يلقى نظرة سريعة إلى الخارج) . تعالى ها هنا : أنا أفتح القبضة ، وأجلس تحت الشمس لابسا القميص ، أنا الآن أملكك .

أنّـا : (طائرة بين ذراعيه) : حبيبى !

مورك : حبيبتى .

أنّـا : الآن أنت تملكنى ، أليس كذلك ؟

مورك : وأنت ، لا شيء دائما ؟

بابوش : (في الخارج) اذن ياجماعة ؟ هل تأتون ؟ هل تنسون أننى مرافقكم الأمين !

مورك : (يملأ الفونوغراف مرة أخرى . صوت يتغنّى بقوة الحب العارمة) أنا أحسن رجل في العالم ، بشرط أن يتركونى أعمل .

(يخرجون وهم يمسكون بعضهم بأذرع بعض)

السيدة باليكه : (تدخل بحماسة . تلبس ثوبا أسود وتسوّى قبعتها كبوت ، أمام الصوان ذى المرآة) ، القمر كبير ، وأحمر اللون ! . . الهى ! يا أولاد ! نعم . . . آه ! في هذه الليلة نستطيع أن نحمد الله مرة أخرى .

(في هذه اللحظة يظهر في فتحة الباب رجل يلبس السترة العسكرية الرسمية لجندى مدفعية ، لونها كحلى ، وهى قذرة جدا . وفي يده غليون صغير)

الـــرجل : اسمى كراجلر !

السيدة باليكه : (تمسك بمنضدة الزينة حتى لا تسقط ، وركبتاها ترتعدان) : الله !

كراجلـــر : ماذا ؟ لماذا تحملقين هكذا كأنك في عالم آخر ؟ ضاعت نقود في الهواء من أجل التاج ؟ ياللخسارة ! أنا أقدم تقريراً عن نفسى : لقد أقمت في الجزائر شبحا . غير أن الجيفة صارت لها شهية عارمة . أشعر بأننى قادر على ابتلاع دود الأرض . لكن ماذا أصابك ياسيدة باليكه ؟ هذه الأغنية سخيفة . (يقف الفونوغراف . السيدة باليكه لا تنطق بعد بأية كلمة . بل تستمر في التحديق فيه بشـــدة ، وعيناها مفتوحتان تماما)

كراجلـــر : لن يغمى عليك ، على الأقل ؟ هذا كرسى . يمكن احضار كوبة ماء لك .

(بصوت خفيض وهو ذاهب إلى البوفيه) : انى أسترد ذكرياتى الآن هنا تقريبا . (يصب خمراً في كأس) . خمر ! من نوع ريسلنج . لاتزال فـــىّ حيوية وان كنت شبحا .

باليكـــه : (يدور في تلطف حول السيدة باليكه)

(من الخارج) هيّا ، ياعجوزتى ، تعالى ! هيـــا

بنا ! نعم ، أنت جميلة ، ياملاكي العزيز !

(يدخل ويتوقف مذهولا ، ونظرته جوفاء) ماذا ؟

كراجلـــر : مساء الخير ، ياسيد باليكه ! زوجتك تشعر بانقباض.
(كراجلر يحاول أن يجعلها تشرب خمرا ، لكنها تدير رأسها ، وقد استولى عليها الرعب . باليكه ينظر إلى المسرح لحظة ، وهو في غاية الحيرة)

كراجلـــر : اشربي إذن ! لا ؟ ستتحسن حالك فورا . حسبت أنك كنت تتذكرينني جيدا . ذلك أني قادم مـــن افريقية لتوّى ! عن طريق أسبانيا . مجهود كبير للاحتيال على جواز السفر والباقي . والآن ، أين أنا ؟

باليكـــه : بحق الله الا تركت زوجتي في هدوء . ألا تـــرى أنك ستخنقها ؟

كراجلـــر : لا !

السيدة باليكه : (تلوذ بالقرب من باليكه وقـــد ظـــل واقفا) : كارل !

باليكـــه : (بلهجة جادة) : ياسيد كراجلر ، إذا كنت حقا من تزعم أنه أنت ، هل أستطيع أن أرجوك أن تخبرني بما جئت من أجله ها هنا ؟

كراجلـــر : (مقطوع النّفَس) لكني كنت أسيرا في افريقية .

باليكـــه : يالله ! (يتوجه ناحية صوان صغير في الحـــائط ويصب لنفسه كمية صغيرة من ماء الحياة ويبتلعها) . حسن . هذه ضربة من ضرباتك . مصيبة مـــن

المصائب . لكن ماذا تريد حقا ؟ ماذا تريد ؟ ابنتى خطبت في هذه الليلة بالذات ، منذ أقل من نصف ساعة .

كراجلـــر : (يتردد متضايقا قليلا) ما معنى هذا ؟

باليكـــه : لقد بقيت غائبا أربع سنوات . وهى انتظرتك طوال أربع سنوات . ونحن انتظرنا أربع سنوات . والآن قضى الأمر ، ولم يعد لك ما تؤمله هنا .

(كراجلر يجلس)

باليكـــه : (غير واثق تماما من نفسه ، لكنه يحاول أن يظـــل رابط الجأش) ياسيد كراجلر ، عندى التزامات في هذه الليلة .

كراجلـــر : (يرفع عينيه) التزامات . . . ؟ (ساهما) نعم . . (يعود إلى حال اليأس)

السيدة باليكه : ياسيد كراجلر ، لا تحمل الامور محمل المأساة . ففى الدنيا فتيات كثيرات . هكذا حال الدنيـــا . تعلّم كيف تتألم ، دون أن تشكو !

كراجلـــر : أنّــا . . .

باليكـــه : (بلهجة سريعة) يا امرأة ! (تذهب نحوه بخطوة مترددة . باليكه يقول بلهجة حازمة فجأة) : آه ! ثم ان هذا كله مجرد عواطف !

(يخرج مع زوجته . عند الباب تظهر الخادمة)

كراجلـــر : هِمْ !

(يهز رأسه)

الخادمة : السيدة والسيد ذهبا . (صمت) السيدة والسيد ذهبا إلى بار بيكادلى للاحتفال بالخطبة .

(صمت . هزيم الريح)

كراجلر : (يرفع عينيه نحوها ببطء) هِمْ !

(ينهض بثقل ، يتأمل الغرفة ، يخطو بضع خطوات ، منحنيا ، يلقى نظرة من النافذة ، يعود ، يخرج ببطء بخطوات صغيرة ، ورأسه عار ، وهو يصفر صفيرا خفيفا)

الخادمة : هيه ! ياسيد ، طاقيتك ! لقد نسيت طاقيتك .

★★★

الفصل الثاني

(الفلفل)

في بار بيكادّلى

(فتحة كبيرة في العمق . موسيقى . من النافذة يشاهد قمر كبير أحمر . في كل مرة يفتح فيها الباب تدخل الريح بقوة في الغرفة)

بابوش : هيا ، ادخلوا الزريبة يا أولاد ! هناك قمر للجميع ! يحيا اسبارتاكوس ! كل هذا مجرد ترهات ! هانبيذ أحمر !

مورك : (يدخل تتأبط ذراعه أزّا ، يخلعان معطفيهما) : ليلة كما في القصص . صيحات في حى الصحافة ، خطيبان في عربة .

أزّا : لا أدرى ماذا بى اليوم . كل فرائصى ترتعد ، أشعر بغثيان ، ولا استطيع التخلص منه .

بابوش : اذن على نخب غرامياتك ، يافريدرش !

مورك : هنا أشعر بأنى في بيتى . مع طول الاقامة يقل الانس ، ولكنه محل ممتاز ! انظر اذن يابابوش ماذا يصير اليه أمر الجيل الماضى !

بابوش : حسن ! (يخرج .) وأنت ، اهتم بالجيل المقبل .

(يشرب)

أنّــا : قبّــلنى

مــورك : هل أنت مجنونة ؟ ان نصف برلين يتطلع الينا .

أنّــا : وماذا يهــم ! أنا ، حين أريــد شيئا ، فما عداه يستوى عندى ! وأنت ألست كذلك أيضا ؟

مــورك : أبدا . وأنت أيضا كذلك .

أنّــا : كم أنت جلف !

مــورك : لكن الأمر هكذا !

أنّــا : جبــان !

(مورك يضغط على زر الجرس ، يدخل نادل)

مــورك : انتبــاه !

(ينحنى من فوق المائــدة ، ويقلب الأكواب ، ويقبّل أنّا بالقــوة)

أنّــا : أنت الآخــر !

مــورك : كفى ! (النادل يخرج .) اذن أنا جبان ؟ (ينظر تحت المائدة .) الآن لم تعودى في حاجة الى ركلى بقدمك .

أنّــا : ما حكايتك ؟

مــورك : وسيكون سيّدك ومولاك .

باليكــه : (يدخل مع بابوش والسيدة باليكــه) : آه ! هاهما ! الزوجان !

أنّــا : أين ذهبتم ؟

السيدة باليكه : القمر أحمر تماما . وهذا يقلقني . أن أراه أحمر هكذا . ولا يزال تسمع صيحات آتية من حي الصحافة !

بابوش : ذئاب !

السيدة باليكه : ابقيا معا أنتما خصوصا .

باليكه : معا في سرير واحد ، أليس حقا يا فريدرش ؟

أنّا : ماما ، أتشعرين بعدم ارتياح ؟

السيدة باليكه : متى ستتزوجان ، قولا ؟

مورك : بعد ثلاثة أسابيع ، يا أماه !

السيدة باليكه : كان من الواجب أن ندعو للخطبة عددا أكبر من الناس . لا يعلم أحد . ومع ذلك فينبغي أن يكون هذا معلوما للناس .

باليكه : ترهات ! ترهات ! وكل هذا لأن الذئب أخذ في العواء ! دعيه يعو ! الى أن يلتصق لسانه الاحمر بالتراب ! أما أنا فسأقضي عليه بضربة قاضية .

بابوش : يامورك ، ساعدني على فتح هذه الزجاجة . (بصوت خفيض :) انه موجود هنا . جاء مع القمر . وصل الذئب مع القمر . عاد من افريقية .

مورك : أندرياس كراجاسر ؟

بابوش : نعم ، الذئب ! بليّة ، أليس كذلك ؟

مورك : لكنه قد تم دفنه . اسدلوا الستائر اذن !

السيدة باليكه : ونحن قادمون ، توقف أبوك في كل الحانات .

والآن هو في غاية السكر . هذا رجل ! آه ! نعم، وأى رجل ! انه يسكر حتى الموت من أجل أولاده

أنـّـا : ولماذا يفعل هذا ؟

السيدة باليكه : لا تلقى باسئلة ، بابنيّى . وخصوصا لا تسأليني عن شئ . كل شئ انقلب ظهرا على عقب . هذه نهاية العالم . بسرعة ، أنا في حاجة الى كأس من الكيرش Kirsch .

باليكـه : الغلطة ببساطة هى غلطة . . هذا القمر الأحمر ! أسد لوا إذن الستائر .

(النادل يسدل الستائر)

بابـوش : هل كنت تعرف هذا ؟

مـورك : أنا متأهب لهذا إلى أقصى درجة . هل حضر إلى البيت ؟

بابـوش : نعم ، منذ قليل .

مـورك : أذن سيأتى إلى هنا .

باليكـه : هل تتآمرون من وراء الزجاجات ، تعاليا وأجلسا هنا هنا ! ولنحتفل بالخطبة . (الجميع يجلسون حول المائدة .) وبسرعة ! فليس عندى وقت للتعب !

أنـّـا : هوه ! والفـرَس ! كم كان عجيبا ! لقد توقف في وسط الطريق . نزل فريدرش ، ولكن الفـرَس لم يعبأ . بقى واقفا هناك في وسط الشارع . وكان يرتعد . لكن عيونه كانت تشبه عنب الذئب ،

فغمزه فريدرش في عينيه بطرف عصاه ، فوثب الفَرَس . كما لو كنا في السيرك .

باليكـــه : الوقت من ذهب . الجو حار جداً هنا . العرق يتصبب مني من جديد — لقد بللت اليوم قميصا من عرقي .

السيدة بالكيه : اذا أستمرت الأمور على هذا النحو ، فستفلس من أجور الغسيل .

بابـــوش : (يأكل قراصيا استخرجها من جيبه) : في هذه الأيام ، الرطل من المشمش يساوى عشرة ماركات ليكن ! سأكتب مقالا عن ارتفاع الأسعار . وبهذا أستطيع شراء مشمش . لوكانت هذه هى نهاية العالم لكتبت بحثا عن نهاية العالم . لكن الآخرين ، ماذا سيفعلون ؟ أنا ، لو أن حيّ حديقة الحيوان دمرّ ، ونسف ، فأنا كالسمكة في الماء . أما أنت ؟

مـــورك : نحن نتحدث عن القمصان ، وعن المشمش ، وعن حديقة الحيوان . ولكن الزفاف ، متى سيكون .

باليكـــه : بعد ثلاث أسابيع ! الزفاف بعد ثلاثة أسابيع ! مرحى ! ولتكن السماء شهيدة على ما أقول . ألسنا متفقين على هذانحن جميعا ؟ الكل موافقعلى الزفاف حسن ، اذن هيا بنا إلى الخطبة ! (تقرع الكؤوس . فتح الباب . كراجلر واقف في فتحة الباب . الريح تزعزع شعلة الشموع)

باليكـــه : لكن ! لماذا ترتعدين ياأنّا أنت وكأسك ؟ هل تصنعين صنع أمك ؟ (أنّا ، وكانت جالسة في

مواجهة الباب ، شاهدت وفي الحال أنهارت على نفسها . انها تحدق فيه)

السيدة باليكه : يسوع ، مريم ، يوسف ! ماذا جرى لك يابنتى ؟

مـــورك : من أين تأتى هذه الريح ؟

كراجلـــر : (بصوت مبحوح) : أنّا !

(تصيح ، تطلق صيحة خفيفة . . الكل يلتفتون ، ويقفون فجأة . هياج واضطراب)

باليكـــه : يالله ! (يبتلع كأسا من الخمر .) الشبح !

السيدة باليكه : يسوع ! كرا . .

مـــورك : اخرج ! اخرج !

(بقى كراجلر لحظة مترددا عند عتبة البـــاب ، ووجهـــه مكتئب . وفي أثناء هـــذه اللحظة من الاضطراب اتجه بسرعة ، ولكن بثقل ، نحو أنّا ، وكانت هى الوحيدة التى لم تقف . وكراجلرينتزع الكأس من يدها المرتعدة أمام وجهها ، ويحدق فيها مستندا إلى المائدة)

باليكـــه : لكنه سكران !

مـــورك : ياجارسون ! انتهاك لحرمة المكان . أخرجه من هنا ! (هو يجرى على طول الحائط ، يجعل الستارة تنزل . القمر)

بابـــوش : انتبه ! انه انسان تحت قميصه لحم فج ! وهذا يلدغه لا تمسسه ! (يضرب على المائدة بعصاه) لا تحدث فضيحة هنا ! اخرج بهدوء ! اخرج بنظام !

أنّـــا : (نهضت من كرسيها في تلك الأثناء ، وألقت بنفسها حول أمها) : أماه ، النجدة ! (كراجلر ، يدور حول المائدة ، ويمشي مترنحا ناحية أنّا ، والأقوال التالية يُنْطَق بها في نفس الوقت تقريباً)

السيدة بالكيه : لاتعتدِ على حياة بنتي ! ستوضع في الحديد ، في السجن المؤبد ! يايسوع ! يامريم ! إنه سيقتلها .

باليكــه : (من بعيد ، وهويضخم صوته) : هل أنت مخمور ياصعلوك ! يافوضوى ! يامسرّح ! ياقرصان ! ياشبح ! أين تركت مفرش سريرك ؟

يابــوش : اذا كنت مصابا بالسكتة القلبية ، فلتعلم أنه هو الذى سيتزوجها ! أغلق فمك ! إنه هو الخاسر هنا اخرج ! له الحق في أن يقول كلمة . نعم له الحق في هذا . (مخاطبا السيدة بالكيه :) أليس لك قلب لقد كان غائبا منذ أربع سنوات . المسألة مسألة عاطفة وقلب . .

السيدة بالكيه : انها لاتكاد تقف على ساقيها ، انها شاحبة مثل المفرش

يابــوش : (مخاطبا مورك) : أنظر مع ذلك إلى وجهه ! أنها لاحظت ذلك ! وهو الذى كانت بشرته مثل اللبن وخداه مثل الخوخ ! أما اليوم فيبدو كأنه بلح مجفف لاتقلق أذن .

(يخرجون)

مـــورك : اذا كنت تعنى بكلامك الغيرة ، فلا محل للغــيرة عنـــدى .

باليكــه : (يبقى لحظة . . في منتصف المسافة بين البـــاب والمائدة ، وهو سكران قليلا ، وساقاه متعانقتان ، وفي يده الكأس ، وهو يقول) : هذه العربـــة الزنجية ! وجه مثل . . . مثل فيل هرم ! مقـــضى عليه تماما ، هذا ! لاحياء ! (ثم يخرج بخطـــوات بطيئة ، ولا يبقى على المسرح غير الجارسون ، عن يمين الباب ، وفي يده صينية ، الموسيقى تعزف : « سلام لك يامريم ! » من موسيقى جونو Gounod الظلام يغشى المكان)

كراجلـــر : (بعد برهة) : امّحى كل شئ في رأسى . كمـــا لو لم يَبْقَ بعدُ غيرُ العرق . لست أفهم بعد شيئا .

أنّــــا : (تأخذ شمعة وتضئ بها أمام وجهه) ألم يأكلـــك السمك ؟

كراجلـــر : لا أفهم ماذا تقصدين .

أنّــــا : ألم يقذف بك في الهـــواء ؟

كراجلـــر : لا أفهمك .

أنّــــا : ألم تصبك رصاصة في وجهك ؟

كراجلـــر : لماذا تتطلعين فيّ هكذا ؟ هل يرى شئ من هذا على وجهى ؟ (صمت . يطل من النافذة .) لقد حضرتُ اليك كحيوان عجوز . (صمت .) بشرتى كلها سوداء ، كأنها جلد سمك القرش . (صمـــت.) وقديما كانت بشرتى بيضاء كاللبن ، وفي خدودى تجرى الدماء . (صمت .) والآن أنا أنزف، دمى

لا يكف عن المسيل ، وأنا أشعر به وهو يسيل، يسيل . . .

أنّا : اندريه !

كراجلر : نعم .

أنّا : (تذهب نحوه ،مترددة) : أوه ، اندريه ! لماذا تغيبت كل هذه المدة الطويلة ؟ هل أمسكوك بمدافعهم وسيوفهم ؟ والآن لا أستطيع ان ألحق بك

كراجلر : هل كنت غائبا حقا ؟

أنّا : في البداية بقيت طويلا بالقرب مني وكان صوتك لايزال حيا . وحين كنت أمرّ في الدهليز ، كنت أمسك ، وفي البرج كنت تدعوني خلف أيكة الاسفنديان . وعبثاً كتبوا أنك أصبت برصاصة استقرت في رأسك وأنك دفنت بعد ذلك بيومين . لكن في ذات يوم تغير هذا . لما مررت في الدهليز ، شعرت أنه ليس هناك أحد ، وبقي الاسفنديان صامتا . وحين كنت أنهض من حوض الغسيل، كنت لا أزال أرى وجهك ، لكن حين كنت أنشر الغسيل على المرج ، لم أعد أراك بعد ، وفي هذه الأثناء لم أعد أعرف كيف أتذكر صورتك . لكن كان ينبغي عليّ أن انتظر .

كراجلر : كان لابد لك من صورة فتوغرافية .

أنّا : كنت خائفة . وكان ينبغي عليّ أن أنتظر ، رغم مخاوفي ، لكني شريرة . اترك يدي ، فكل شيء فيّ شرير .

كراجلـــر : (وهو يتطلع ناحية النافذة) : لا أفهم ماتقولين . لكن ربما كانت الغلطة غلطة هذا القمر الاحمر . لابـــد لى من التفكير كيما أفهم كلماتك . ان لى كفين منتفختين وكأنهما ذواتا أصابع متلاصقة . . لست رجلا من أهل الخير ، وحين أشرب أكسر الكأس التى أمسك بها . لا أستطيع بعد أن أتكلـــم معك كما ينبغى . لقد بقيت لهجة العبيد الزنوج في حلقى .

أنّــا : نعـــم .

كراجلـــر : هاتى يدك . أتعتقدين أننى شبح ؟ تعالَىْ بالقـــرب منى . هاتى يدك . ألا تريدين أن تأتى بالقرب منى .

أنّــا : أتريد يـــدى ؟

كراجلـــر : هاتيها . الآن لم أعد شبحا . أتذكرين وجهـــى ؟ هل بشرتى كجلد التمساح ؟ ان سحنتى قبيحـــة . لقد بقيت وقتا طويلا في ماء الخل . دائما هـــــذا القمر الاحمر !

أنــا : نعـــم .

كراجلـــر : خذى يدى ، أنت أيضا ــ لماذا لاتضغطين عليها ؟ قربى وجهك . هل الامر خطير الى هذا الحد ؟

أنّــا : كلا ! كلا !

كراجلـــر : (يمسكها من كتفيها) : أنّا ! زنجى عجوز ! هذا هو أنا ! في حلقى طين ! أربـــع سنوات ! هـــل تريدينى ، يا أنّـــا ؟

(يجعلها تدور معه في الغرفة ، ويلمح الجارسون ويحدق فيه هازئا ، وجسمه منحن الى الامام .)

الجارسون : (لدهشته تسقط منه الصينية ويأخذ في الفأفأة) : المهم . . . هو . . . أن نعرف هل احتفظت بزنبقتها . . . هل لا تزال معها زنبقتها . . .

كراجلر : (دون ان يترك أنّا ، يأخذ في الصهيل) : ماذا قال ؟ زنبقتها ؟ (الجارسون يخرج وهو يعدو). لكن قف . ياقارئ الروايات . زنبقتها ! اسمعى الكلمة التى خرجت منه ! أسمعتها ؟ لقد قالها بعاطفة مشبوبة !

أنّا : اندريه !

كراجلر : (يتطلع فيها ، منحنيا إلى الأمام . لقد ترك أنّا) قوليها مرة أخرى ! انى أستعيد الآن صوتك . (يعدو ناحية اليمين) ياجارسون ! تعال هنا ، أيها الصديق !

بابوش : (من عند الباب) ما أعجب ضحكتك! ضحكة من لحم . ضحكة مثل بركة دم ! هل تحسّ بأن حالتك أحسن ؟

السيدة باليكه : (خلفه) أنّا ، يابنتى ! كم تثيرين فينا القلق عليك .

(في الغرفة المجاورة يعزف « فتاة بيرو »)

باليكه : (يدخل مسرعا وقد خف سكره) اجلسوا ! (يعيد اسدال الستائر ، يسمع صوت حديد) .

القمر الأحمر أمامكم ، والبنادق من ورائكم في حيّ الصحافة . لابد من الاعتماد عليكم . (يعيد اشعال كل الشموع) . اجلسوا !

السيدة باليكه : كم وجهك مقطب ! عاد الارتعاد إلى فرائصى . ياجارسون ! ياجارسون !

باليكه : أين مورك ؟

بابوش : فريدرش مورك يرقص رقصة بوسطن .

باليكه : (برقة) اعمل على اجلاسه . فحين يكون جالسا يكون نصف مملوك لنا . وإذا جلس ، لم يعد هناك مجال للعبارات الطنّانة ! (بصوت عال) : اجلسوا جميعا ! صمت ! يا أماليا ، اضبطى نفسك ! (مخاطبا كراجلر) : بحق الله الا جلست أنت أيضا .

السيدة باليكه : (تأخذ زجاجة من شراب الكيرش كانت على صينية الجارسون) شيئا من الكيرش، والاّ متّ . (تفلح مع ذلك في الوصول إلى المائدة ومعها زجاجتها . وقد جلس : السيدة باليكه ، باليكه ، وأنّا . وبابوش دار حول المائدة لا جلاسهم . والآن أمسك كراجلر ، وكان قد بقى واقفا لا يتحرك ، أمسكه من كتفيه وأرغمه على الجلوس على كرسى) .

بابوش : اجلس ، فأنت غير ثابت على قدميك ! أتريد قليلا من الكيرش ؟ من أين لك هذه الطريقة فى الضحك ؟

(كراجلر ينهض . بابوش يرغمه على الجلوس . يبقى جالسا)

باليكـــه : ياأندرياس كراجلر ، ماذا تريد ؟

السيدة باليكه : ياسيد كراجلر ! امبراطورنا قال : يجب أن يعرف المرء كيف يتألم دون أن يشكو !

أنّـــا : ابق جالسا .

باليكـــه : أنت ، اسكتى . دعيه يتكلم . ماذا تريد ؟

بابـــوش : (يقف) ربما تريد جرعة من الكيرش ؟ تكلم !

أنّـــا : فكّر جيدا ، يا أندريه ! لا تقل شيئا قبل أن تفكر !

السيدة باليكه : آه ! أتريدين إذن موتى ! أمسكى عليك لسانك . أنت لا تفهمين شيئا في أى شيء .

كراجلـــر : (يريد أن يقف ، لكن بابوش يمسكه جالسا على كرسيه . بجهد كبير) لو سألتمونى ، فليس من السهل الجواب . ولا أريد أن أشرب كيرش . الأمر مهم جدا .

باليكـــه : دعك من هذه الترهات ! قل ما بدا لك . وبعـــد ذلك ، أقذف بك إلى الخارج .

أنّـــا : لا ، لا .

بابـــوش : يجب عليك أن تشرب ، أؤكد لك . ان ريـــقك جافّ . صدقنى . ، سيتحسن حالك ، بعـــد أن تشرب !

(في هذه اللحظة يتقدم فريدرش مورك وهو يرقص مع ماريّا ، المومس) .

السيدة باليكه : مورك !

بابوش : هناك قواعد حتّى بالنسبة إلى العبقرى . اجلس .

باليكه : برافو يافرتز Fritz ! بيّن لهذا الشخص من هو الرجل . فرتز لا يرتعد . فرتز يرفّه عن نفسه . (يصفّق)

مورك : (بطلعةٍ حزينة ، لقد شرب . يترك ماريّا واقفة ، ويقتربُ من المائدة) ألم تنته بعدُ هذه المهزلة القذرة ؟

باليكه : (يجره على كرسى) اسكت !

بابوش : استمر ياكراجلر ! لا تتأثر بهذا .

كراجلر : ان له أذنين ضامرتين .

أنّا : لقد كان مراسلة !

مورك : في رأسه بيضة .

كراجلر : فليذهب !

مورك : وقد ضربوه على جمجمته .

كراجلر : يجب عليّ أن أحتاط في الكلام .

مورك : وهذا ما يجعله الآن في رأسه بيضة مخفوقة .

كراجلر : صحيح ! لقد ضربونى على جمجمتى . وكنت غائبا عن هنا طوال أربع سنوات . ولم أكن استطيع

الكتابة . ولم يكن في مخّي بيضة . (صمت) . كان ذلك منذ أربع سنوات ، وعليّ أن أحتاط تماما . وأنت لم تتعرفيني بعد ، ولا تزالين تترددين ولا تشعرين بذلك بعد . لكني أتكلم كثيرا .

السيدة باليكه : مخّه تصلّب تماما .

(تهز رأسها)

باليكه : تريد أن تقول حياتك لم تكن بالميسورة ؟ لقد حاربت من أجل الامبراطور والريّش Reich ؟ متأسف من أجلك . هل تريد شيئا ؟

السيدة باليكه : والامبراطور قال : يجب أن يكون المرء قويا في الألم . اشرب جرعة ، خذ !

(تدفع الكيرش اليه)

باليكه : (وهو يشرب ، محاولا اقناعه) لقد صمدت أمام نار المدافع ، أليس كذلك ؟ كالصخر ؟ هذا عظيم . جيشنا صنع المعجزات . وقد واجه الموت ببطولة ، والابتسامة على الشفاه . اشرب ! ماذا تريد ؟

(يقدم اليه علبة السيجار)

أنّا : اندريه ! ألم تلبس بزة رسمية أخرى ؟ ألا تزال تلبس الأزرق ، ذلك الذى كان عندك قديما ؟ لم يعد أحد يلبسه بعد !

السيدة باليكه : النساء كثيرات ! ياجارسون ! هات كيرشا آخر !

(تقدم إلى كراجلر من الكيرش)

باليكـــه : ونحن هنا أيضا لم نبق متعطلين لا نفعل شيئا . إذن ، ماذا تريد ؟ ليس في جيبك مليم ؟ أنت في الشارع ؟ الوطن ألجأك إلى الغناء في الأفنية بأرغن الشحاذين ؟ لا . هذه أمور يجب ألا تحدث . ماذا تريد ؟

السيدة باليكه : لا تخف ، لن تعزف بأرغن الشحاذين في الأفنية .

أنّـــا : في الليل تهزم الريح ، والبحر عال ، مرحى !

كراجلـــر : (وقد نهض) لما كنت أشعر جيدا بأنني ليس لى أى حق ها هنا ، فانى أرجوك ، من أعمق أعماق قلبي ، أن ترحلى معى ، بجانبي .

باليكـــه : ما معنى هذه الثرثرة ؟ ماذا يقول ؟ من أعمـــق أعماق قلبي ! بجانبي ! ما هذه العبارات ؟

(الآخرون يضحكون)

كراجلـــر : لأنه ليس من حق أحد في العالم . . . ولأنـــنى لا أستطيع أن أعيش من دونك . . . من أعمق أعماق قلـــبي .

(قهقهة كبيرة عالية)

مـــورك : (وقد وضع قدمه على المائدة . بلهجـــة باردة ، وشريرة ، وهو سكران) غُسِل غَسْلاً . التُقِط . والطين في فمه . انظر اذن إلى حذائى ! قديما كانت عندى نعال مثل نعالك ! اذهب اذن واشتر مثـــل حذائى ! وعُدْ بعد ذلك ! أتعرف من أنت ؟

ماريـــا : (بسرعة ، فجأة) هل كنت في الجبهة ؟

الجارسون : هل كنت في الجبهة ؟

مـــورك : وأنت ، أغلق فوهتك ! (مخاطبا كراجلر) : لقد سحبت نمرة خاسرة ، لقد مررت تحت الأسطوانة ؟ لست الوحيد في هذا ، فالكثيرون مروا بنفس الشيء . حسن ! لسنا نحن الذين حركنا الماكينة . لم يعد لك وجه ؟ هل تريد أن يدفع لك ثمن وجه ؟ هل نلصق ثلاثة على جلدك ؟ أمن أجلنا انحدرت هذا المنحدر ؟ أتريد أن يقال لك من أنت ؟

بابـــوش : شيئاً من الهدوء ، هيا .

الجارسون : (وهو يتقدم) هل كنت في الجبهة ؟

مـــورك : لا . أنا من أولئك المكلفين بدفع ثمن مغامراتك . الماكينة فسدت .

بابـــوش : دعوكم من هذه الحكايات ! فهذا شيء يبعث على الضيق . لأنك على كل حال كسبت أموالا — أليس كذلك ؟ دعك اذن من حذائك .

باليكـــه : ومع هذا فإن هذا هو المهم . هنا مربط الفـــرس . ليست هذه حكايات . هذه هى الواقعية السياسية . وهذا ما نفتقر اليه ، خصوصا في ألمانيا . المسألة في غاية البساطة . هل عندك الوسائل لاطعام زوجة ؟ أو ليس عندك غير كفيك المنتفختين الملتصقتى الأصابع ؟

السيدة باليكه : سامعة يا أنّا ؟ ليس عنده شَرْوَى نقير .

مـــورك : أنا مستعد لأن أتزوج أمه ، لو كان عنده شيء .

(يقفز) . انه مجرد محتال على الزواج ، مبتذل .

الجارسون : (مخاطبا كراجلر) قل شيئاً ! تكلم ؟

كراجلر : (وقف ، يوجه الكلام إلى أنّا وهو يرتعد) لا أدرى ما يجب عليّ أن أقوله . حينما لم يكن عندنا غير جلدنا الذى يغطى عظامنا ، ومن أجل أن نقدر على الاستمرار في تكسير الحصى على الطريق كنا نعبّ من الكحول عبا . كثيراً ما كان يحدث ألا يكون عندنا من وسيلة غير أن نتطلع إلى السماء ، في المساء ، لكن هذا مهم جدا ، لأنه في ابريل بقينا معا ، راقدين في الأدغال . كنت أقول هذا للزملاء . لكنهم كانوا يتساقطون كالذباب .

أنّا : كالخيول ، أليس كذلك ؟

كراجلر : لأن الجو كان حارا جدا ، ولم نتوقف عن الشراب . لكن هل لى أن أحدثك عن السماء في المساء ؟ لم تكن تلك نيتى ، ولا أدرى . . .

أنّا : ألم تكف عن التفكير فيّ ؟

السيدة باليكه : أتسمعينه ؟ انه يتكلم كالطفل ! المرء حين يسمعه يخجل له .

مورك : ألا تستطيع أن تبيعنى حذاءك ؟ من أجل المتحف الحربى . أنّا مستعد لأن أدفع فيه أربعين ماركا .

بابوش : استمر يا كراجلر . هذا ما ينبغى أن يقال .

كراجلر : ولم يكن عندنا قمصان . كنا في أسوأ حال ،

صدقيني . أتعتقدين أن أسوأ شئ ألا يكون عندنا قمصان ؟

أنـــا : اندريه ! نحن نصغى اليك .

مـــورك : اذن أنا أعرض عليك ستين ماركا . بع !

كراجلـــر : نعم ، الآن أنت تخجلين لأجلى ، أليس كذلك ؟ لأنهم يجلسون هناك على طول الحائط كما في السيرك حين يستولى الفزع على الفيل الى درجة أنه يبـــول على الأرض . ومع ذلك فانهم لا يفقهون شيئا .

مـــورك : ثمانـــون ماركا .

كراجلـــر : ومع ذلك فلست قرصانا . ماذا يهمنى من هـــــذا القمر الأحمر ؟ ! لا أستطيع أن أفتح عينى ، هذا كل ما في الأمر . أنا كتلة من اللحم ، وألبـــس قميصا نظيفا . ها أنتم أولاء ترون أننى لست شبحا.

مـــورك : (يقفز) اذن مائة مارك .

ماريـــا : يجب عليك أن تخجل حتى أعماق نفسك .

مـــورك : وهذا الوغد لايريد أن يتخلى لى عن حذائه مقابـــل مائة مـــارك !

كراجلـــر : أنّا ، هناك شئ يتكلم . أى صوت هذا ؟

مـــورك : أصابتك ضربة شمس ! هل أنت قادر على الخروج وحـــدك ؟

كراجلـــر : يا أنّا ، الصوت يقول انه لاحق لنا في سحقه .

مـــورك : هل هو وجهك حقا الذى نراه الآن ؟

كراجلــر : يا أنّا ، ومع ذلك فان الله الحكيم هو الذى خلقه .

مــورك : هل أنت حقا الماثل أمامنا هنا ؟ ماذا تريد بالضبط؟ لكنك لست الا جثة ! متعفنة بالفعل ! (يسـد أنفه .) أليس عندك أى احساس بالنظافة ؟ أتريد أن يضعوك في هيكل، لأنك تشربت شمس افريقية؟ أنا ، أنا اشتغلت ! تعبت حتى امتلأت أحذيتى بالدم ! انظر الى يدىّ ! أنت تحظى بالعطف العام، لأنك حاربت وضربت. لكن لست أنا الذى ضربتك. أنت بطل ، لكنى أنا شغّال . وهى ، هى خطيبتى .

بابــوش : ولكن يامورك ، حتى وأنت جالس ، أنت شغّال ! يا كراجلر ، كان تاريـخ العالم سيتغير لو ظلت الانسانية جالسة على عجيزتها .

كراجلــر : لا أستطيع أن أقرأ شيئا على وجهه ، كما لو كان جدار الكنيف : مملوء بالكتابات الفاحشـة ! والجدار لا يملك لهذا دفعا . يا أنّا ، هل تحبين هذا الشخص ؟ ، هل تحبينه ؟

(أنّا تقهقه ضحكا وتشرب)

بابــوش : هذا هو صد للهجوم بواسطة قلبك ، يا كراجلر .

كراجلــر : لا ، بل هذا انتزاع لزوائده بضربة من الاسنان، لانه يثير في نفسى أشد التقزز . أتحبينه ؟ هذا الوجه الأخضر مثل البندقة غير الناضجة ؟ أمن أجل هذا الشخص تريدين طردى ؟ انه يلبس بذلة مـن الصوف الانجليزى المحشوة عند الكتفين والصدر، وفي حذائه دم . وأنا ليس عندى غير بذلتى العتيقة،

التى أكلتها العثـة . قـولى انك لا تستطيعين أن تتزوجيني بسبب بذلتى ، قولى هذا اذن . أناأفضّل هـذا !

بابـوش : اجلس اذن ، باسم الله ! الآن بدأت الرواية .

ماريـا : (تصفق) هو هكذا تماما ! وقد رقص معـى وهأنذى أشعر بالخزى منه ، ومن كونه قد حك أفخاذه ببطنى !

مـورك : أنت ، لادخل لك ! ولا تحاولى ان تخدعى عالملك! (مخاطبا كراجلر) ألا يوجـد معك سكّينة في حذائك لتقطع بها رقبتى ، لأن الشمس في افريقية قد ضربتك على رأسك وأحدثت أوراما في مخك ؟ هيّا ، أخرج سكينتك ، لقد ضقت ذرعا ، هيـا اقطعها !

السيدة باليكه : أنّا ، كيف تستطيعين سماع أشياء مثل هذه !

باليكـه : يا جارسون ! هات أربع كؤوس من الكيرش ! الآن يستوى عندى كل شئ !

مـورك : حـذار ألا تخـرج السكّين ! اضبط نفسك ، ولا تحاول ان تمثل دور البطل . فهذا يؤدى بـك هاهنا الى السجن .

ماريـا : هل كنت في الجبهة ؟

مـــورك : (خارجا عن طوره ، يرمى بكأس في اتجاههـــا مخاطبا كراجلر) لماذا لم تكن موجودا ؟

كراجلـــر : الآن وصلت .

مـــورك : ومن الذى دعاك للمجىء ؟

كراجلـــر : الآن أنا هنا موجود .

مـــورك : وغد !

أنّـــا : أنت ، الأولى بك أن تسكت .

(كراجلر يدخل رأسه بين كتفيه)

مـــورك : قاطع طريق !

كراجلـــر : (بصوت خفيض) : لص !

مـــورك : شبح !

كراجلـــر : حـــذار !

مـــورك : وأنت ، حذار من سكّينك . هذا يدغدغك ، أليس كذلك ؟ شبح ! شبح ! شبح !

مـــاريا : الوغـــد هو أنت ! هو أنت !

كراجلـــر : أنّا ! أنّا ! ماذا أصنع ؟ أمر وأنا أترنح على بحر من الجثث : فلا يبتلعنى . وأرحل إلى الجنوب في عربات المواشى الســـوداء : فلا يحدث لى شىء يحترق في جحيم النيران هذه : ونار أشد حرارة تشتعل في نفسي . رجل يصير مجنونا تحت لسعة الشمس : وليس هو أنا . اثنان آخران يسقطان في جحر ماء : وأنا أستمر في النوم أطلق النار على الزنوج . آكل

من العشب . أنا شبح .(في هذه اللحظة . . يندفع الجارسون إلى النافذة ، ويزيح الستائر . وتتوقف الموسيقى فجأة . وتسمع صيحات ونداءات : « انهم قادمون » ، « صمت » . الجارسون يطفىء الشموع . وبعد ذلك ، في الخارج ، يسمع صوت نشيد « الدولية » .)

رجـــل : (يدخل من الباب الذى على يسار) : سيداتى ، نطلب اليكم أن تحتفظوا برباطة الجأش . والرجا منكم عدم الخروج من المحل . اندلعت اضطرابات معركة في حى الصحافة . الموقف غامض .

باليكـــه : (يجلس بثقل) : الأسبارتاكيون ! أصحابك ، ياسيد أندرياس كراجلر ! أصحابك المشبوهون ! رفاقك الذين يصيحون في حى الصحافة وينشرون رائحة الحريق والجريمة ! أنتم دواب مفترسة ! (صمت .) دواب ! دواب ! لماذا أنتم دواب ؟ لأنكم تأكلون اللحم الطازج ! لابد من ابادتكم !

الجارسون : بواسطتكم أنتم يامن سمنتم !

مـــورك : أين سكينك ؟ أسحبها أذن .

ماريا والجارسون: (يذهبان نحوه) : أنت تسكت ؟

الجارسون : هذا ليس كأننا انسانا ، بل دابة ، هذا هو

مـــورك : أسدلوا الستائر ! أشباح !

الجارسون : لعلنا نحن الذين ينبغى الصاقهم بالجدار ؟ هذا الجدار

الذى بنيناه بأيدينا ، والذى في حماه تملأون كروشكم بالكيرش !

كراجلــر : هذه هي يدى وهذه عروقي . افتحوها . اذا مت . فسترون أنها ستدمى .

مــورك : شبح ! شبح ! من أنت بالضبط ! أعلى أن أتنازل لك عن مكانى لأن لك بشرة أفريقى ؟ ولأنك تنبح في حى الصحافة ؟ وما شأنى أنا اذا كنت أنت قد كنت في أفريقية ؟ ماشأنى ، إذا كنت أنا لم أكن هناك ؟

الجارسون : لابد أن يسترد زوجته ! هذا ليس من الأنسانية في شيء !

السيدة باليكه : (أمام أنّا وقد خرجت عن طورها) : لكنهم جميعا مصابون بأمراض ! مصابون بداء ما ! الزهرى ! الزهرى ! كلهم مصابون بداء الزهرى

بابــوش : (يضرب بعصاه على المائدة) : لم يكن ناقصا غير هذا !

السيدة باليكه : أتريد أن تدع بنتى في سلام ؟ ! أتريد أن تدع بنتى في سلام ؟ !
ياضبع ! ياسافل !

أنّــا : ياأندريه ، لاأريد ! أنت تقتلنى .

ماريــا : السافل هوأنت !

الجارسون : هذا ليس من الأنسانية في شيء ! لابد أن يتساوى الجميع في الحقوق .

السيدة باليكه : اخرس ! ياخادم ! ياصعلوك ! أنا طلبت كيرشا ، سامع ! أنا أطردك !

الجارسون : هذه مسألة انسانية . وهى تهمنا جميعا . لابد أن زوجته . .

كراجلـــر : هيّا ، كفانى الآن ! ماالشيء الانسانى ؟ وماذا تريد هذه المرأة المخمورة ؟ لقد بقيت وحدى ، وأنا أريد زوجتى . هذا الملاك المتباكى ، ماذا يريد ؟ أتريدين أن تبيعى بالمزاد العلنى بطن بنتك كمـــا يباع رطل من البن ؟ لو حاولتم أن تنتزعوا منّى أنّا بكلاليب من الحديد ، فلن تفلحوا إلا في تمزيق قلبها .

الجارسون : أنتم تمزقونها .

ماريـــا : نعم ، مثل رطل من البن .

باليكـــه : وليس معك ولا مليم من النقود ؟

بابـــوش : انتم تضربون اسنانه بقبضات ايديكم ، وهــــو يلفظها لكم في وجوهكم .

مـــورك : (مخاطبا انّا) لماذا سحنتك تشبه اللبن المستفـــرغ ؟ وتدعين عينيك يلتهمهما هذا الشخص ؟ وجهـــك يبدو كما لوكنت تبولت في الشوك !

باليكـــه : اهكذا تتكلم عن خطيبتك ؟ !

مـــورك : خطيبتى ! هل هى خطيبتى ؟ هل هى خطيبتى حقا ؟ ألم تتخل عنّى فعلا ؟ ها هوذا قد عاد . هل تحبينه ؟

هل يهمك هذا ؟ هل ترغبين في الاحساس بأفخاذ افريقية ؟ أليس الأمر هكذا ؟

بابـــوش : لو كنت جالسا ، ما نطقت بهذا الكلام .

انـّـــا : (وقد انجذبت الى كراجلر اكثر فأكثر ، تنظـــر الى مورك باشمئزاز . بصوت خفيض تقول) : لكنك مخمور !

مـــورك : (يجذبها بشدة اليه) اريني وجهك! اريني اسنانك! مومس !

كراجلــــر : (يمسك بمورك ، ويرفعـــه عن الارض . ازيـــز الكؤوس على المائدة . ماريا لا تكف عن التصفيق بيديها) : لست مستقرا على قدميك ، هيا اخرج ، امش من هنا ! لقد أفرطت في الشرب . انـــــت لاتمسك نفسك .

(يدفعـــه)

ماريـــا : ناوله، ناوله !

كراجلــــر : دعيك منه ! يا انّا ،تعالى بقربى ! الآن اريـــدك لى . لقد اراد ان يشترى حذائى ، ولكنى سأخلع الحاكتة. الطلّ الثلجى قد نفذ في جلدى حـتى صار جلدى أحمر، وتحت الشمس الزاهيـــــة ينفجر . وخُرْجى فارغ ، وليس معى مليم. انـــا اريدك ، وانا لست جميلا . وكان علىّ حتى الآن

ان اتمالك نفسي ، ولكنى سأشرب الآن .(يشرب) وبعد هذا نرحل. تعالى !

مـــورك : (وقد انهار تماما ،وكتفاه التويا ، يقول لكراجلر بصوت شبه هادئ) : لا تشرب ! انت لا تعرف كل شيء ! انس هذا كله. كنت مخمورا ، صحيح هذا. لكنك لا تعرف كل شيء ، يا انّا ، (وهو في صحو تام) اخبريه ! ماذا تريدين ان تفعلى ؟ وانت في هذه الحال ؟

كراجلـــر : (لا يستمع اليه) : لا تخافي يا انّا ! (وفي يـــده كأس من الكيرش)لن يصيبك شيء ، لا تخافي ! سنتزوج. وسأستطيع التخلص من المأزق .

الجارسون : برافـــــو !

السيدة باليكه : اوباش !

كراجلـــر : من لديه ضمير مفرط ينتهى بأن يصبح ديـــــكا روميا. ومن يصبر صبرا مفرطا يدع الآخريـــن يأكلون الصوف الذى على ظهره . هذا قانـــون الغابة .

انـّــا : (تندفع فجأة وتسقط على المائدة) : يا اندريه ، ساعدنى ! النجدة يا اندريه.

كراجلـــر : (ينظر اليها مندهشا) : ماذا جرى ؟

انـّــا : اندريه ، لا ادرى ، انا بائسة جدا يا اندريـــــه! لا استطيع ان اقول لك شيئا . لاتلق علىّ اسئلة . (ترفع عينيها .) لا استطيع ان اكـــون لك. الله

يعلم ذلك . (تفلت الكأس من يد كراجلر) .
واتضرع اليك ايضا ان تذهب يا اندريه !

(صمت . في الغرفة المجاورة يسمع صوت الرجل الذى عرفناه منذ قليل ، وهو يقول ، : « ماذا يجرى ؟ » الجارسون ، ملتفتا ناحية الباب الذى عن يسار ، وهو يتكلم الى الخارج ، يجيب عليه)

الجارسون : العاشق القادم من افريقية ، والذى جلده مثل جلد التمساح ، انتظر اربع سنوات ، والخطيبة لاتزال الزنبقة في يدها . لكن العاشق الآخر ، وهو رجل يلبس حذاء بزراير ، لا يريد ان يتخلى عنها ، والخطيبة ، وهى تمسك دائما بالزنبقة في يدها ، لاتدرى الى اى ناحية تميل .

صوت : هذا كل ما في الأمر ؟

الجارسون : والثورة المشبوبة في حى الصحافة تلعب دورها ، وهناك سر تكتمه الخطيبة ، سر لم يطلع عليه العاشق القادم من افريقية ، الذى انتظر اربع سنوات . المسألة لا تزال غير معلومة تماما .

الصوت : الم يتخذ قرار ؟

الجارسون : لاندرى ابدا الى اى شئ ستنتهى هذه الحكاية .

باليكه : يا جارسون! هؤلاء الأوباش؟ الا نستطيع التخلص من هذا البق واحتساء شرابنا بهدوء ؟

(مخاطبا كراجلر :) هل سمعت الآن ؟ مبسوط؟ اخرس اذن ! كانت الشمس محرقة جدا ؟ كانت

افريقية هى السبب . هـــذا مكتوب في كتـــاب الجغرافيا . وكنت بطلا ؟ سيكتب ذلك في سجل التاريخ . لكن في السجل الكبير لا شئ . ولهذا فان البطل سيعود الى افريقية . هذا كل ما في الأمـــر . يا جارسون ! أخْرِج هذا الشخص !

(الجارسون يمسك بكراجلر ويجره . كراجلر يأخذ في السير بتثاقل وبطء . وعن يساره ماريا المومس ، تتبعه)

باليكـــه : أية مهزلة قرود هذه ! (يأخذ في الصياح وراء كراجلر لكسر الصمت.) لقد أردت شراء لحم ؟ ليس ها هنا سوق الدواب ! احزم قمرك الأحمر واذهب لتعزف لحنا صغيرا لشمبا نزياتك . إنى أهزأ بنخيلك ، أنا ! ثم إنك لست غير شخصية في رواية . أبرز اذن شهادةميلادك ؟ (كراجلر خرج)

السيدة باليكه : كُفَّ عن الصياح ! لكن ماذا بك هكذا ، أتريد أن تشرب تحت المائدة مع الكيرش [١] ؟

باليكـــه : لكن أى سيماء عليه ! كأنه ورق ممضوغ !

السيدة باليكه : لا ، لكن انظر إلى هذه البنت المسكينة ! ماذا جرى لك أذن ؟ آه ، كفى الآن !

(أنّا جالسة إلى المائدة صامتة ، شبه غائصة بين الستائر . وأمامها كأس)

مـــورك : (يذهب ناحيتها ، ويتشمم الكأس) : فلفل ،

---

(١) اى هل ستشرب حتى تتمرغ تحت المائدة

وايم الله ! (تنتزع منه الكأس بازدراء .) آه ، حسن ، أنافاهم . ماذا تريدين اذن أن تفعلى بهذا الفلفل ؟ ألا تريدين أيضاً حمام مجلس ساخن ؟ أنت يجب تعليمك كيف تسيرين سيرا مستقيما . أنت تثيرين الاشمئزاز في نفسي .

(يبصق ، ويرمى بالكأس على الارض . أنّا تبتسم يسمع أطلاق مدافع المترليوز)

بابوش : (عند النافذة) : لقد بدأ ؛ الجماهير ثارت ؛ الأسبارتاكيون ثاروا . الجريمة تستمر . (الكل مُسَمَّرون ، وآذانهم مرهفة)

★★★

الفصل الثالث

(ركب الفالكيرى)

شارع في حى الصحافة

(سور من القرميد الأحمر لثكنة ، يعترض المسرح وينزل من اليسار ناحية العمق إلى اليمين . من ورائه تشاهد المدينة في الضوء المتحلل للنجوم . الوقت وقت الليل . ريح)

ماريّـــا : إلى أين تعدو اذن ؟

كراجلـــر : (بدون طاقية ، والياقة واقفة ، ويداه في جيوبه ، يدخل المسرح وهو يصفر) : ماهذا الشيء الأحمر؟

ماريـــا : لاتجر هكذا .

كراجلـــر : ألا تستطيعين متابعتى ؟

ماريـــا : هل أنت خائف من أن يطاردوك ؟

كراجلر : أنت تريدين كسب نقود ؟ ، أين غرفتك ؟

ماريـــا : كلامك هذا ليس لائقا .

كراجلـــر : نعم .

(يريد أن يواصل مسيرته)

ماريـــا : أنا مصابة في رئتى .

كراجلـــر : لست ملزمة بمتابعتى !

ماريـــا : ولكن هذه . . .

كراجلـــر : أف ! سيمحى هذا ! سيغسل ! سيشطب !

ماريـــا : وماذا أنت صانع الآن حتى باكر صباحا ؟

كراجلـــر : توجد سكاكين .

ماريـــا : يايسوع ! يامريم !

كراجلـــر : هدئى من روعك : لاأحب أن أسمعك تصيحين هكذا ، يوجد أيضاً كحول . ماذا تفضلين ؟ يمكننى محاولة الضحك ، إذا كان هذا يسرك . قولى لى هل ألقى بلك في عرض الشارع قبل تناولك الأول ؟ أتدخنين ؟ (يضحك) هيا بنا بعيدا !

ماريـــا : الرصاص يطلق في حى الصحافة .

كراجلـــر : ربما كانوا في حاجة الينا في الناحية .

(يخرجان . ريح . يدخل رجلان يسيران في نفس الاتجاه)

الرجل الأول : أعتقد أن الأحسن أن نفعله هاهنا .

الثـــانى : من يدرى هل هناك يمكن أيضا . . .

(يبولان على الجدار)

الأول : المـــدفع .

الثـــانى : يا ألله ! في شارع فريدرش .

الأول : هناك حيث كنت تبيع خموراً مغشوشة .

الثـــانى : هذا القمر يكفى كى يجعلك مجنونا !

الأول : خصوصا حين يبيع المرء في السوق السوداء دخانا متعفنا !

الثـــانى : نعم ، لقد تاجرتُ في دخان متعفن ، لـــكنك كدّست أناسا في جحور فئران .

الأول : فيم يفيدك هذا الكلام ؟

الثـــانى : لن أشنق وحدى !

الأول : أتعرف ماذا صنع البلشفيك ؟ أرنى يديك ! ليس فيها انتفاخات !
بف ، باف ، (الآخر ينظر في يديه) بـــف ، باف ! ، انهم يستشعرونه !

الثـــانى : يا الهى !

الأول : سيكون جميلا أن تعود إلى بيتك وعلى رأسك قبعة أسطوانية !

الثـــانى : وأنت أيضا تلبس نفس القبعة .

الأول : نعم ، ولكنها منبعجة ياعزيزى .

الثـــانى : أستطيع أنا أيضا أن أبعج قبعتى .

الأول : ياقتك الصلبة أسوأ من حبل مغسول بالصابون .

الثـــانى : انها تصير طرية من كثرة عرقي ، ولكنك تلبس حذاء بزراير !

الأول : وكرشك !

الثـــانى : وصوتك !

الأول : ونظرتك ، ومشيتك ، وطريقتك في عرض نفسك !

الثاني : نعم ، كل هذا سيتسبب في شنقي في أول عمود نور ، ولكنك أنت عليك سيما المثقف !

الأول : عفوا ، أذنى على شكل القنبيط ، وشحمة أذنى خرقتها رصاصة ، ياسيدى العزيز .

الثاني : يا لله !

(كلاهما يذهب . ريح . ركب الفالكيرى [1] يدخل من ناحية اليسار : وأنّا يبدو أنها تهرب . وبالقرب منها مانكه Manke الجرسون في بار بيكادلى ، وهو ملتف بمعطف المساء ، وسلوكه سلوك مخمور . وخلفهما يأتي بابوش وهو يجبر مورك السكران كل السكر ، ووجهه شاحب ، وملامحه منتفخة) .

مانكه : لا تترددى ! لا تفكرى ! لقد رحل ! حملته الريح ! ربما ابتلعه حى الصحافة . الرصاص يطلق في كل مكان ، وفي ناحية حى الصحافة يحدث كل شيء ، خصوصا في هذه الليلة ، وليس من المستحيل أن يردى قتيلا بالرصاص . (يحاول إقناع أنّا ، على طريقة السكارى) حين يطلق

---

(١) Walkyrie : كلمة شمالية الأصل، من الكلمتين: فال Wal = ساحة المعركة + كيريا Kyri a = التى تختار . وتطلق على ثلاث الاهات (أو فتيات الاهات) يفصلن فى أمر المحاربين ويحددن من ينبغي أن يموت فى ساحة القتال ، ويسقنهم الى الفلهلا ، وهى قاعة الأله أودين التى ترسل اليها أرواح الابطال الذين قتلوا في ساحة الحرب .

الرصاص ، يمكن المرء النجاة ، ويمكنه أيضا ألا ينجو . على كل حال ، بعد ساعة ، لن يجده أحد . سيذوب مثل الورق في الماء . لقد أصابه القمر . ويتبع اى ناعق . هيًّا ! أنقذيه ، وهو الذى كان ، لا ، وهو الذى لا يزال عاشقك وحبيبك .

بابوش : (يتوقف امام انّا) قفى ، كل ركب الفالكيرى! إلى اين انت ذاهبة ؟ الجو بارد ، والريح تعصف ، وهو قد استقر في حانة من الحانات . (مقلدا الجارسون) : هذا الذى انتظر اربع سنوات ، لا احد الآن يستطيع ان يعثر عليه بعد !

مورك : لا احد ، لا احد ابدا .

(يجلس على حجر)

بابوش : انظر إلى هذا !

مانكه : وماذا يهمنى منه ! قدم اليه معطفا ! لكن لا تضيع الوقت. وهذا الذى انتظر اربع سنوات ، هاهو ذا الآن يعدو اسرع من هذه السحب ! لقد اختفى اسرع من هذه الريح .

مورك : (بعدم اكتراث) كان في « البونش [١] » لون . ثم ان كل شيء كان جاهزاً ! جهاز العرس كامل ، والشقة تم استئجارها . تعال بالقرب منى ، يا باب [٢] !

---

(١) شراب مؤلف عادة من الكحول وعصير الليمون والتوابل والشاى والماء

(٢) ترخيم لاسم بابوش

مانــكه : (مخاطبا اذَا) لماذا تبقين واقفة هكذا مثل زوجة لوط ؟ هنا ليست عـمُورة [1] ! هل يعجبـك هذا الشخص المخمور البائس ! فات الأوان لعمل شيء آخر. اهو بسبب جهاز العرس؟ اهــذا سيمنع السحب من الجرى ؟

بابــوش : لكن ، قل ، هل هذا من شأنك؟ هل السحب من شأنك؟ ما انت الا مجرد جارسون في مقهــى ، اليس كذلك؟

مانــكه : كيف يهمنى هذا ؟ في كل مرة يشهد امرؤ عملا خسيسا دون ان يتحرك ، فان النجوم تخرج عن مسالكها . (يمسك برقبته بين يديه) . وانا ايضا اطاحت بى هذه الدوامة . انها تمسك بمخنقــى ! يجب الا يكون المرء خسيسا . حين يشاهد انسانا يغرق .

بابــوش : ماذا تقول ؟ يغرق ؟ من الذى يتحدث عن الغريق ؟ أنا أقول لك : سيسمع صراخ ، وخوار ثيران ، في حى الصحافة ، من الآن حتى الصباح . وسيصبح الأمر في أيدى الغوغاء الذين يعتقدون أن الوقت قد حان لتسوية حسابات قديمة !

مــورك : (وقد نهض ، ينوح . مخاطبا أنّا) : لماذا تجريننى هكذا في الريح ؟ أرغب في القىء ، لماذا ترحلــين ؟ ماذا جرى ؟ أنا في حاجة اليك . ليس هذا من أجــل جهاز العرس .

---

(١) قرية النبى لوط

أنّـــا : لا أستطيع .

مـــورك : لا أستطيع أن أمسك نفسى على ساقيّ .

مانـــكه : اذن أجلس ! لست الوحيد في هذا . هذا يُعْدِى . سيصاب الأب بنوبة قلبية ، والأم ، هذهالكانجورو المخمورة ، لا تكفُّ عن البكاء . لكن البنت تنزل إلى الأحياء الوضيعة ، بحثا عن حبيبها الذى انتظر أربع سنوات .

أنّـــا : لا أستطيع .

مـــورك : جهاز عرسك على التمام . والأثاث موجـــود في الشقة .

مانـــكه : والبياضات مطوية ، ولكن العروس لا تحضر .

أنّـــا : جهاز عرسى اشترى ، وقد رتبته في الصـــوان ، قطعة بعد قطعة ، ولكنى لا أحتاج اليه الآن . والشقة استؤجرت ، والستائر وضعت . ولا تنقص ولا سجادة واحدة . لكن وصل هذا الذى لا يمـــلك غير بذلة مزقتها العثة ولا يلبس حذاء .

مانـــكه : وحيّ الصحافة ابتلعه ! والحانة تترصده ! الليل ! البؤس ! الغوغاء ! أنقذيه !

بابـــوش : وكل هذا يؤلف مسرحية : ملاك المراقص الشعبية .

مانـــكه : نعم ، الملاك .

مـــورك : وتريدين أن تذهبي إلىمدينة فريدرش؟ لاشيء يمنعك؟

أنّـــا : لا ، أرى مانعا .

مـــورك : لا شيء ؟ ألا تريدين أن تفكرى قليلا في « الشيء الآخر » ؟

أنـّـــا : الحبل هو الذى شدّنى .

مـــورك : وهو لا يحجزك ؟

أنـّـــا : لقد انقطع الآن .

مـــورك : ولا تكترثين لولدك ؟

أنـّـــا : لا أكترث له .

مـــورك : لانه وصل من ليس له بذلة ؟

أنـّـــا : لم أكن أعرفه قبل ذلك .

مـــورك : لكنه لم يعد هو هو ! لم يكن ممكنا أن تكونى قد عرفته !

أنـّـــا : لقد كان ماثلا هناك كالحيوان في وسط دائرتك . ثم ضربتموه كما يضرب الحيوان !

مـــورك : وأخذ ينوح كما تنوح المرأة العجوز !

أنـّـــا : وأخذ ينوح كما تنوح المرأة العجوز !

مـــورك : ثم مضى وتركك هناك .

أنـّـــا : ومضى وتركنى هناك .

مـــورك : لقد انقضى أمره !

أنـّـــا : لقد انقضى أمره !

مـــورك : لقد رحـــل . . .

أنـّـــا : لكن في نفس اللحظة التى رحل فيها ، وانقضى أمره . . .

مـــورك : لم يحدث شيء ، لم يحدث أي شيء .

أنـّـــا : حدثت وراءه دوامة وحركة نسيم خفيف ، لكنه قـــوى جدا ، أقوى من كل شيء . وحينئذ ذهبت أنا ، والآن وصلت ، وانقضى أمر كلينا معا هو وأنا . أين ذهب ؟ الله وحده يعلم أين هو ! العالم واسع ، فأين عساه هو ؟ (تتطلع في مانكه بهدوء ، وتقول له بلهجة خفيفة) : ارجع إلى حـــانتك ، أشكرك ، وأعده إلى هناك ! أما أنت يابابوش ، فتعال معى !

(تخرج وهى مهرولة من ناحية اليمين)

مـــورك : (باكيا) أين ذهبت ؟

بابـــوش : الآن ، ياعزيزى ، ركب الفالكيرى ، موجـــود في البحيرة .

مانـــكه : اختفى الحبيب ، لكن المحبوبة تطير اليه عـــلى أجنحة الحب . عرف البطل السقوط ، لـــكن صعوده يتهيأ الآن .

بابـــوش : لكن الحبيب سيلقى بالحبيبة في النهر وسيفضـــل السماء على النزول إلى العالم السفلى . آه ! يالك من رومانتيكى !

مانـــكه : لقد اختفت ، وهرولت إلى حىّ الصحافة . ولا تزال ترى هناك ، شبيهة بالشراع الابيـــض ، والفكرة الطاهرة ، والمقطوعة الأخيرة من قصيدة ، والبجعة الأنيقة وهى تنساب على الأمواج . . . .

بابــوش : وماذا سيحدث لهذا المرج المبتل بالكحول ؟

مــورك : سأبقى ها هنا . الجو بارد . فإن زادت البرودة ، عادوا . أنت لا تفهم في هذا شيئا ، لانك تجهل الباقي . دعهم يجروا . انه لن يأخذ اثنتين ! لقــد ترك واحدة ، وإن اثنتين لتجريان وراءه .

(يضحك)

بابــوش : ها هي ذى ، والله ، تطير كالمقطوعة الأخيرة من قصيدة !

(يمضي في نفس الاتجاه)

مانــكه : (يصيح فيه) مقهى جاــوب Glubb ، فــى شارع الشوسيه ! المومس التى كانت معه محلهــا المختار هو في مقهى جلوب ! (يمد ذراعيــه ، بصوت فخم) : الثورة تبتلعهم ، فهل سيلتقون ؟

* * *

الفصل الرابع

(ينبلج فجر)

حانة صغيرة

(جلوب ، صاحب الحانة ، يلبس ملابس بيضاء ، ويغني شكوى الجندى القتيل ، بمصاحبة الماندولين . لار Laar ورجل أسمر سكران لايتوقفان عن النظر الى اصابعه . رجل قصير ربعة ، اسمه بولتروتر Bulltrotter يقرأ الجريدة . مانكه ، الجارسون ، يشرب مع أوجستا ، وهى مومس . الجميع يدخنون)

بولتروتر : أريد ماء حياة ، ولا أريد جنديا قتيلا ، وأريد أن أقرأ الجريدة ، ومن أجل هذا لابد لى من شرب ماء الحياة ، والا فلن أفهم ما أقرأ ، بحق الله !

جلوب : (بصوت بارد لامعنى له) : ألست راضيا هنا ؟

بولتروتر : نعم ، لكن الآن توجد الثورة .

جلوب : ما الفائدة ؟ عندنا حثالة المجتمع مبسوطة ، ولازارس يغنى .

الرجل المخمور : الحثالة هى أنا ، وأنت لا زارس .

عامل : (يدخل ويذهب الى الكونتوار) : نهارك سعيد ، يا كارل .

جلوب : مستعجل ؟

العامـل : الساعة الحادية عشرة ، في ميدان السجن .

جلـوب : تروى أشياء كثيرة .

العامـل : فرقة الحرس تحتل منذ الساعة السادسة المحطـة . وفي « الى الامام » كل شيء يسير سيرا حسنا . في يوم كهذا اليوم نفتقر الى باول .

(صمت)

مانكـه : هنا ، عادة ، لايتحدثون عن باول.

العامـل : اليوم ليس يوما عاديا .

(يخـرج)

مانكـه : (يخاطب جلوب) : وفي نوفمبر كانت الحـال عادية ؟ ما يفتقرون اليه هو قطعة من الخشب في اليد ، وشعور يلصقها في الاصابع .

جلـوب : (ببرود) : هل تريد شيئا ياسيدى ؟

بولتروتر : الحيويـة !

(يخلع سترته ويحل ياقته)

جلـوب : بناء على تعليمات الشرطة ممنوع الشرب بـدون السترة .

بولتروتر : رجعـى !

مانكـه : حاول اذن أن تغنى نشيد الدولية ، بأربعةأصوات ، مع التريمولو ! الحرية ! وفي هذه اللحظة سيـد بأكمـام نظيفة يكلف بتنظيف الكنيف ، أليس كذلك ؟

جلوب : أنت تفسد الرخام : انه من خشب .

أوجستا : وذوو الأكمام البيضاء ليس عليهم اذن أن ينظفوا الكنيف ؟

بولتروتر : أنت ، ياصغيرتي ، سيلصقونك على الحائط .

أوجستا : في هذه الحالة يرجى من ذوى الأكمام البيضاء أن يضعوا غطاء على مخارجهم .

مانكه : يا أوجستا ، أنت مبتذلة .

أوجستا : عليكم أن تشعروا بالخزى والعار ، يا عصابة من خنازير . ما يلزم هو انتزاع أحشائكم ، ومكانكم ، يامن تلبسون أساور قميص ، هو على عمودالنور . يا آنسة ، رخّصى الأجرة ، فقد خسرنا الحرب ! ما عليك الا أن تمتنع عن الجنس اذا لم يكن معك فلوس ، وأن تمتنع عن خوض الحرب اذا لم تكن قادرا عليها . وأنت ، ارفع رجليك من فوق المنضدة ، حين يكون ثم سيدات ! هل أنا ملزمة باستنشاق رائحة أقدامكم الكريهة ، ياقليلى الأدب !

جلوب : لكن أكمامه ليست بيضاء أبدا .

الرجل المخمور : الذى نسمعه يتدحرج على الاسفلت ؟

مانكه : مدافع !

الرجل المخمور : (ينظر الى الآخرين بتهانف ، وهو شاحب) : ما هذا الذى يسمع هكذا وهو يتدحرج على الاسفلت ؟

(جلوب يسرع الى النافذة ويفتحها دفعة واحدة .

تسمع أصوات المدافع وهى تدرج في الشـــارع .
الجميع يذهبون الى النافذة) .

بولتروتر : هؤلاء هم الخنافس ، فرقة الحرس !

أوجســـتا : بحق العذراء المقدسة ، الى أين هم ذاهبون ؟

جلــوب : الى حى الصحافة ، من غير شك . انهم قراء !
(يغلق النافذة)

أوجســـتا : بحق العذراء المقدسة ، من هناك عند الباب ؟
(كراجلر عند المدخل ، يترنح كأنه سكران ، ويضع قدما على قدم)

مانكـــه : هل أنت بسبيل أن تبيض بيضة ؟

أوجســـتا : من أنت ؟

كراجلـــر : (بتهانف شرير) : لاأحـــد

أوجســـتا : لكن العرق يتصبب على رقبته ! هل أنهكك الجرى الى هذا الحـــد ؟

الرجل المخمور : هل أنت مصاب باسهال ؟

كراجلـــر : لا ، ليس عندى اســـهال .

مانكـــه : (وقد ذهب اليه) : اذن ، أية جريمة ارتكبت ، يارجل ، أنا أعرف هذا النوع من الشحنات .

ماريـــا : (تظهر خلفه) : لم يرتكب جريمة . بل أنا الـــتى دعوته ، يا أوجستا . انه لايدرى الى أين يذهب . انه عائد من افريقية ! (مخاطبة كراجلر) : اجلس
(كراجلر يظل واقفا عند عتبة الباب)

مانكــه : أسير ؟

ماريــا : نعم ، ومفقود .

أوجستا : ومفقود أيضا ؟

ماريــا : وأسير . وفي تلك الاثناء اختطفوا منه خطيبته .

أوجستا : اذن تعال هاهنا بالقــرب مــن ماما . اجلس ، يامدفعى . (مخاطبة جلوب :) خمس كاســات مزدوجة من الكيرش ، يا كارل !

(جلوب يملأ خمس كؤوس ، ومانكه يصفهــا على الكرسى المستدير)

جلــوب : وقد خطفوا منى في الاسبوع الماضى دراجة .

(كراجلر يتوجه ناحية الكرسى المستدير)

أوجستا : حدثنا عن افريقية .

(كراجلر لا يجيب ، ولكنه يشرب)

بولتروتر : تستطيعين الذهاب اليها . افرغى حقيبتك : صاحب المحــل احمر .

جلــوب : أنا ماذا ؟

بولتروتر : أحمــر .

مانكــه : شيئا من الأدب ، ياسيد ، لاشئ هنا أحمر ، ياسيد.

بولتروتر : حسن . أنا لم أقل شيئا .

أوجستا : وماذا فعلت هناك ؟

كراجلــر : (مخاطبا ماريا) : أطلقت الرصاص على بطــون

الزنوج ، وغطيت الطرق بالأحجار .

(هى تسعل) اذن دائما رئتاك ؟

أوجستا : وكم بقيت هناك ؟

كراجلر : (نخاطب دائما ماريّا) : سبعة وعشرين .

ماريا : شهرا .

أوجستا : وقبل ذلك ؟

كراجلر : قبل ذلك ؟ كنت في جحر مملوء بالطين .

بولتروتر : وماذا كنت تعمل فيه ؟

كراجلر : لأتعفن فيه .

جلوب : أجل ، كان في مقدورك أن لاتعمل شيئا كما تشاء.

بولتروتر : وفي افريقية ، كيف الفتيات ؟

(كراجلر يسكت)

أوجستا : لا تكن مبتذلا هكذا

بولتروتر : وحينما رجعت ، لم تكن هى في البيت ، أليس كذلك ؟ لقد كنت تظن أنها في الصباح ستأتى الى الثكنة في انتظارك ، وسط الكلاب ؟

كراجلر : (مخاطبا ماريّا) : هل ألكمه لكمة على شدقه ؟

جلوب : لا ، ليس بعد . لكنك يمكنك ان تجعل الاوركسترا الميكانيكى يعزف . هذا ، نعم .

كراجلر : (ينهض مترنحا ، ويحيى التحية العسكرية) : تحت أمرك .

(يشغل الاوركسترا الميكانيكى)

بولتروتر : عاطفيات !

أوجستا : ليس عنده شعور أكثر مما عند الجيفة ، انه في عداد الموتى .

جلوب : أجل ، أجل ، أجل . لقد أهين بعض الاهانة . لكن العشب سينمو على هذه الحكاية .

بولتروتر : اذن ، قل له ، ألست أحمر ؟ يا جلوب ، ألم يجر الحديث عن ابن أخ ؟

جلوب : نعم ، جرى الحديث عن هذا . ولكن ليس في هذا المقهى

بولتروتر : لا ، ليس في هذا المقهى . عند سيمنس .

جلوب : ليس من وقت بعيد .

بولتروتر : عند سيمنس ، ليس من وقت بعيد . كان عاملا على آلة تشكيل ، ولكن ليس لمدة طويلة . كان عاملا على آلة تشكيل حتى شهر نوفمبر ، أليس كذلك ؟

الرجل المخمور : (الذى لم يفعل حتى الآن غير انه كان يضحك ، يأخذ في الغناء) :

مات اخوانى ولم يفلت أحَدْ

وأنا كدتُ ألاقي مصرعى .

كنتُ في تشرين أحمر ،

غير أنّا في يناير .

جلـــوب : ياسيد مانكه ، هذا السيد لايريد أن يضايق أحدا . اعمل الواجب

كراجلــــر : (وقد أمسك بأوجستا من خصرها وأخذ يقفـــز معهـــا) :

دخل الكلب الى المطبخ
واستلّ من الطبّاخ بيضه
فأتى الطباخ بالسّاطور
وانقض على الكلب فقدّه .

الرجل المخمور : (وقد تمزق من الضحك) : عامل على آلة تشكيل لمدة غير طويلة .

جلـــوب : أرجوك ألا تفسد عليّ الكؤوس ، يا مدفعى !

ماريـــا : الآن هو سكران . آلامه أقل .

كراجلــــر : آلامه أقل ؟ عزّ نفسك دائما ، يا أخى العربيـــد، قائلا لنفسك : كل هذا غير موجود .

أوجســـتا : اشرب أنت .

الرجل المخمور : ألم يجر الحديث عن ابن أخ ؟

كراجلــــر : ما الخنزير في نظر الله الآب ، يا أختى المومس ؟ لا شئ .

الرجل المخمور : لكن ليس في هذا المحـــل .

كراجلــــر : ولم لا ؟ هل يمكن الغاء العسكريين أو الله الرحمن؟
هل تملك ان تلغى التعذيب أيها المالك الأحمـــر ،
وألوان التعذيب التى علّمها البشر أنفسهم للشيطان؟

لست قادرا على هذا . لكن أن تقدم ماء حياة ، فهذا في وسعك . اذن اشرب وأغلق الباب ، لاتدع الريح تدخل ، الريح التى تشعر بالبرد هي الأخرى ، لكن أسدل الستائر الخشبية .

بولتروتر : صاحب المحل يقول انه وقعت اهانة ، وظلم ، ولكنه يقول ان العشب سينبت من فوقها .

كراجلر : سينبت ؟ قلت : ظلم ، يا أخى صاحب المحل ، يا صاحب المحل يا أحمر ؟ ما أضحك كلمة : ظلم . انهم يخترعون كثيرا من الكلمات الصغيرة هكذا . ويلقون بها في الهواء ، وبعد ذلك يستطيعون أن يذهبوا للنوم وأن ينتظروا أن يمر هذا . والأكبر يضرب وجه الأصغر ، والسمين يصنع زبدته . هنا لك ينبت العشب جيدا .

الرجل المخمور : على ابن الاخ ، الذى ليس موضوعا للحديث .

كراجلر : فأتى باقي الكلاب

حفروا للميّت قبرا

وعلى الشاهد خطوا

دخل الكلب الى المطبخ . . .

ولهذا ينبغى علينا ان نتفاهم فيما بيننا على خير وجه ونحن في هذا الكوكب الصغير ، الجو بارد هنا ومظلم شيئا ، أيها المالك الأحمر ، والعالم أشد شيخوخة من أن يكون له مستقبل أفضل ، والسماء قد استوجرت ، يا أعزائى .

ماريـــا : ماذا سنفعل ؟ هو يقول انه يريد أن يذهب الى حى الصحافة . لكن ماذا يجرى هناك ؟

كراجلـــر : عربة تذهب الى بار البكادلى .

أوجســـتا : هل هى فيهـــا ؟

كراجلـــر : انها فيها . نبض عادى جدا ، أمسكى .

(يبسط يده اليسرى ، ويشرب باليد الأخرى)

ماريـــا : اسمه اندرياس .

كراجلـــر : اندرياس . نعم ، اندرياس كان هو اسمى .

(يستمر في جس نبضه ، وكأنه ذاهل)

لار : كانت خصوصا أشجار صنوبر ، صغيرة .

جلـــوب : آه ! ، ها هوذا الحجر الذى أخذ في فتحه .

بولتروتر : وهنالك بعت ، يامغفل .

لار : من ؟ أنا ؟

بولتروتر : آه ! حكاية البنك ! شائق ، يا جلوب ، ولكـــن ليس في هذا المقهى .

جلـــوب : أهانوك ؟ لكنك قادر على ضبط نفسك . اذن ، اذن ما عليك الا أن تضبط نفسك ! لو نزعـــوا منك جلدك ، فلا تتحرك يا مدفعى ، والا انشـــق بالطول ، وليس عندك غيره (يستمر في غســـل الكؤوس) آه ! أجل ، لقد أهانوك اهانة بسيطة ، ضربوك بالسيف ، واطلقوا عليك دانات المدفع ، واستولوا عليك ، وبصقوا عليك . ثم ماذا بعد ذلك؟

بولتروتر : (وهو يرى الكؤوس) : ليست نظيفة بعد ؟

الرجل المخمور : اغسلني يا ربى حتى أصير أبيض ! اغسلني حتى أصير أبيض كالثلج ! (يغنى)

مات اخوانى ولم يفلت أحد
وأنا كدت ألاقي مصرعى .
كنت في تشرين أحمـــر ،
غير أننا في يناير .

جلـــوب : كـــفى .

أوجســـتا : يا عصابة الجبناء !

بائعة جرائد : (تدخل) : الاسبارتاكيون في حى الصحافـــة ! روزا الحمراء تخطب في الهواء الطلق بحديقـــــة الحيوان ! هل نتحمل وقتا طويلا انفجارات الغوغاء أين الجيش ؟ عشرة ملاليم ، يامدفعى ، أيــــن الجيش ؟ عشرة ملاليم .

(لما لم يشتر أحد الجريدة تخرج)

أوجســـتا : وليس ثم باول !

كراجلـــر : استؤنف اطلاق الرصاص ؟

جلـــوب : (يغلق بالمفتاح صوان زجاجات الليكير ، ويجفف يديه) : سنغلق المحل .

مانكـــه : لنسرع يا أوجستا ! لك يقال هذا الكلام ، فلنسرع ! (مخاطبا بولتروتر) : وأنت ياسيدى ؟ مار كـــان وستون بفنج .

بولتروتر : شهدت معركة جتلند . ولم يكن الأمر سهلا .

(الكل ينهضون)

الرجل المخمور : (معانقا ماريّا) : وغدة جميلة ، ملاك ناعم ، سبح معه في بحر الدموع هذا .

كراجلـر : الى حي الصحافة معنا !

دخل الكلب الى المطبخ
واستل من الطباخ بيضه
فأتى الطباخ بالساطور
وانقض على الكلب ، فقدّه .

(لار ، الفلاح ، يذهب مترنحا الى الاوركسترا الميكانيكي ، وينتزع منه الطبلة ، ويتبع الآخرين وهو يقرع الطبلة)

★ ★ ★

الفصل الخامس

(السرير)

جسر من خشب

(صيحات ، قمر أحمر كبير)

بابـوش : كان الواجب عليك أن تعودى إلى بيتك .

أنـا : لا أستطيع بعد . وما الفائدة ؟ لقد انتظرت أربع سنوات بصحبة صورته الشمسية ، ثم أخذت شخصا آخر . كنت أخاف في أثناء الليل .

بابـوش : لقد فرغت سيجاراتى . ألا تُريدُ العودةَ إلى بيتِكَ أبدا ؟

أنـا : اسمع !

بابـوش : انهم يمزقون الجرائد ، ويلقون بها في برك الماء ، ويسبون المترليوزات ، ويطلقون الرصاص على الوجود ، ويحسبون انهم يبنون عالما جديدا . وها هى ذى عصابة أخرى قد قدمت .

أنـا : ها هوذا !

(كلما اقتربت الجماعة نشأ اضطراب كبير في الأزقة المجاورة . طلقات النار تندفع فى اتجاهات عديدة) .

أنّــا : الآن ، سأخبره .

بابــوش : سأغلق فمك .

أنّــا : لست بلهاء . الآن ، سأصيح .

بابــوش : وأنا الذى ليس معه بعد سيجار !

(ينبثق من بـين البيوت جلوب ، ومانكـه ، والامرأتان ، واندرياس كراجلر

كراجلـر : أنا مبحوح . افريقيـة تخرج من ثقوب أنفـى . سأشنق نفسى .

جلـوب : الا يمكنك أن تشنق نفسك غدا ، وتأتى معنا الآن إلى حى الصحافة ؟

كراجلـر : (وهو يحدق في أنّا) بلى !

أوجستا : أترى رؤيا ؟

مانـكه : ماذا جرى لك ياصاحبى ، ان شعرك يقف عـلى رأسك !

جلـوب : أهى ؟

كراجلـر : نعم ، ماذا هناك ، أتتوقفون ؟ سأذهب بكم إلى حيث تقتلون رميا بالرصاص ! إلى الأمام ، إلى الأمام ، دائما إلى الأمام !

أنّــا : (تتقدم للقائه) اندريه !

الرجل المخمور : ارفع الساق ، فالحب ينادى !

أنّــا : يااندريه ، توقف . انه أنا . اردت أن أقـول لك شيئا . (صمت) . أردت أن ألفت انتباهك.

إلى شيء . توقف قليلا ، أنا لست سكرى .. (صمت) . ليس على رأسك شيء ، والجو بارد . لابد أن أهمس في أذنك بشيء .

كراجلر : هل أنت سكرى ؟

أوجستا : العروس تجرى وراءه ، والعروس سكرى !

أنّا : نعم ، ماذا تقول ؟ (تخطو بضع خطوات) . أنا حامل .

(أوجستا تقهقه بضحكة حادة . كراجلر يترنح ، يحدق ناحية الجسر ، يأخذ في رفع قدمه كما لو كان يبدأ من جديد في تعلم المشى)

اوجستا : لست سمكة حتّى تستنشق الهواء هكذا !

مانكه : أوه ! أتحسب انك تحلم ؟

كراجلر : (واصبعه على خط خياطة البنطالون) تحت أمرك !

مانكه : انها حامل . الحمل بأطفال ، هذه مهنتها . تعال الآن !

كراجلر : (بتشدد) تحت أمرك . إلى أين ؟

مانكه : لقد صار مجنونا .

جلوب : ألم تكن في افريقية ؟

كراجلر : مراكش ، الدار البيضاء ، الثكنة ! .

أنّا : اندريه !

كراجلــر : (مرهفا أذنه) اسمعي ، ياعروسي ، يا قحبة ! لقد جاءت ، ها هي ذي ، بطنها مملوء .

جلــوب : ان فيها فقر دم ، أليس كذلك ؟

كراجلــر : صه ! لم أكن أنا ، لم أكن أنا الذي فعلته .

أنّــا : اندريه ، هناك ناس !

كراجلــر : هل الهواء هو الذي نفخ بطنك ، أو أنت صرت مومسا ؟ لم أكن موجودا ، ولم يكن في مقدوري مراقبتك . كنت مغروزا في الطين . أين كنت راقدة اذن ، حين كنت أنا مغروزا في الطين ؟

مــاريا : ينبغي ألا تتكلم هكذا . ماذا تعرف اذن ؟

كراجلــر : وأنت التي أردت أن أراها من جديد . والا ، لكنت ممددا في مكاني الحقيقي ، والريح تهزم في جمجمتي ، والتراب في فمي ، ولن أعرف شيئا . لكن هذا أيضا هو ما أردت أن أراه . كان لابد لي أن أدفع ثمنه . لقد أكلت الكُسْبَ ، وكان مُرّاً . وزحفت على قدمي ويديّ لأخرج من جحري . آه ! كان ذلك خبثا ! ياويلتاه ! لقد كنت خنزيراً ! (يفتح عينيه) . أتظنون انكم تشاهدون مسرحية ؟ هل دفعتم ثمن التذاكر ؟ (يمسك بقطع من الطين على الأرض ويرمي بها حواليه)

أوجســتا : امنعوه !

أنّــا : استمر يا اندريه ، استمر ! ارم في هذه الجهة ، ارم !

مــاريا : أبعدوا هذه المرأة ، انه سيقتلها .

كراجلــر : اذهبوا إلى الشيطان ! عندكم كل ما رغبتم فيــه . يمكنكم أن تفتحوا افواهكم . هذا كل شيء ، لا أكثر .

أوجســتا : الرأس منكس إلى أسفل ! في التراب ، الرأس ! (الرجال يمسكون برأس كراجلر في مواجهــة الأرض)

أوجســتا : والآن ، اذهبي يا آنسة ، أرجوك .

جلــوب : (مخاطبا أنّا) نعم ، اذهبي إلى بيتك الآن ! هواء الصباح مفيد للمبايض .

بابــوش : (يتقدم نحو كراجلر وهو يخترق ساحة القتــال بميل ، ويقول له ، وهو يستمر في مضغ طــرف سيجار) الآن تعرفين أين استقرت القذيفة . أنت الله الآب . وقد فجرّت رعدك . أما هذه المرأة ، فهي حامل ، ولا تستطيع أن تستمر جالسة على هذا الحجر ، والليالي باردة ، وربما تستطيع أن تقول شيئا . . .

جلــوب : نعم ، ربما تستطيع ان تقول شيئا .

(الرجال يدعون كراجلر ينصب قامته . صمت . الريح تهب . يمر رجلان مسرعان)

أحدهمــا : لقد استولوا على بيت اولّشتين Ullstein .

الآخر : وأمام محل موسّة Mosse احضروا المدافع .

الواحد : نحن قلة قليلة جدا .

الآخر : كثيرون قادمون في الطريق .

الواحد : بعد فوات الأوان ، بعد فوات الأوان بكثير .

(مــرّا)

أوجستا : هل سمعتم ؟ هيّا ، لننه المسألة الآن .

مانكه : القوا بالجواب في فمه ، هــذا البورجــوازى وفاجرته !

أوجستا : (تريد أن تجــر كراجلر) تعال معنا إلى حــى الصحافة ، يافتى ، سترى أنك سينبت لك شعر الوحش !

جلوب : ما عليك الا أن تتركها في حالها عند حدها ! في الساعة السابعة ستأخذ أول « مترو » .

أوجستا : لن يسير « المترو » اليوم .

الرجل المخمور : إلى الأمام ، لندخل في الرقص !

(أنّا نهضت)

ماريا : (وهى تتطلع فيها) بيضاء مثل الغسيل .

جلوب : شاحبة قليلا ونحيلة قليلا .

بابوش : سيغمى عليها .

جلوب : يبدو عليها هذا ، لكن الضوء هو الذى يصورهــا هــكذا .

(ينظر إلى السماء)

أوجستا : هؤلاء قادمون من فدنج Wedding

جلوب : (وهو يفرك يديه) وأنت أيضا أتيت في نفس الوقت مع المدافع . لعلك من نفس الاتجاه ؟ (كراجلر يعتصم بالصمت) . أنت لا تقول شيئا ، وهذا عين العقل . (يلف حول كراجلر) ستّرتك مزقتها طلقات الرصاص ، وأنت ممزق مهلهل . ولكن هذا لا أهمية كبيرة له . ربما فقط حذاؤك هو الذى يضايق ، لأنه يزقزق . لكن تستطيع ان تشحمه ، أليس كذلك ؟ (يستنشق الهواء) . منذ الساعة الحادية عشرة بعض الكواكب قد أطيح بها ، وبعض المنقذين قد أكلتهم الطيور ، ومن الخير أنك بقيت . هضمك فقط هو الذى لا يزال يسبب لي بعض الهموم . على كل حال ، أنت على الأقل لست شفافا تماما : لا تزال ترى على الأقل .

كراجلر : تعالى هنا ، يا أنّا !

مانكه : « تعالى هنا ، يا أنّا ! »

أنّا : قولوا ، أين محطة المترو ؟

أوجستا : لا مترو اليوم . اليوم لا مترو ، ولا قطار ضواحى ، ولا « ترام » طوال النهار . اليوم راحة في كل مكان ، والقطارات متوقفة على كل الخطوط ، وسنمشى على أقدامنا كالرجال ، حتى المساء ، ياعزيزتى .

كراجلـــر : تعالى ها هنا بالقرب منّى ، يا أنّا !

جلــوب : ألا تريد أن تمشى معنا قليلا ، يا أخى المدفعى ؟

(كراجلر يلتزم الصمت)

جلــوب : كان منا من كان يريد أن يشرب كأسا أخرى أو كأسين ، لكنك أنت كنت ضد هذا الرأى . وكان منا من كان يود أن ينام مرة أخرى فـى سرير ، لكنك أنت لم يكن لك سرير ، ومن أجل هذا لم نعد إلى بيوتنا .

(كراجلر يلتزم الصمت)

أنّـــا : ألا تريد أن تذهب إلى هناك ، يا اندريه ؟ هؤلاء السادة ينتظرونك .

مانـــكه : اذن ، هل قررت قرارك ؟ اكشفى عما فى بطنك

كراجلـــر : ارمونى بالحجارة ، فلن أتحرك ، وانا مستعـــد للتنازل عن قميصى من أجلكم ، لكن أن أقـــدم قفاى للسكين ، كلا ، هذا لا أريده .

الرجل المخمور : اسم الله ! اسم الله !

أوجســـتا : واذن ؟ واذن ، حى الصحافة ؟

كراجلـــر : لافائدة . لن أنقاد إلى حى الصحافة وأنا بقميصى . انتهى . لم أعد خروفا . لاأريد أن اموت .

(يستل غليونه من جيب بنطلونه)

جلــوب : ألا تعتقد أنك بهذا تتصرف تصرف رجل مسكين؟

كراجلـــر : ياعزيزى ، انهم يضربون الرصاص في البطون

مباشرة ! أنّا ! يالنظرتك إليّ ، باسم الله ! هل يجب عليّ أن أبرز نفسى أمامك ؟ (مخاطبا جلوب) أنت ، لقد قتلوا أبن أخيك ، أما أنا فقد استرددت زوجتى . تعالىْ يا أنّا !

جلــوب : أعتقد أننا نستطيع الاستمرار في السير وحدنا .

أوجســتا : اذن كل هذا ، أفريقية وسائر الأشياء ، كله كان أكاذيب ؟

كراجلــر : لا ، قد كان حقيقياً ! أنّا !

مانكــه : السيد قد نادى مثل السمسار في البورصة ، والآن السيد يريد أن يذهب إلى الفراش .

كراجلــر : الآن ، عندى زوجتى .

مانكــه : أهى ملكك الآن حقا ؟

كراجلــر : تعالى هنا ، ياأنّا ! انها ليست سليمة ، لم تعد بريئة هل سلكت كما ينبغى ، أو تحملين ولدا في بطنك ؟

أنّــا : ولد ، نعم ، أحمل ولدا .

كراجلــر : تحملينه .

أنّــا : انه هنا . والفلفل لم يفد في شيء ، وخطوط جسمى فسدت إلى الأبد .

كراجلــر : هذه هى حالتها !

مانكــه : ونحن ؟ امتلأنا من الكحول حتى القلب ، وحشينا

من العبارات حتى الرقبة ، ومن السكاكين حتى أقدامنا ، من الذى وضع كل هذا فينا ؟

كراجلـر : أنا . (مخاطبا أنّا :) نعم ، هذه حالتك يافتاة .

أنّـا : نعم ، هذه حالتى أنا .

أوجستا : ألم تصح : « إلى حى الصحافة ! » — أليس كذلك ؟

كراجلـر : بلى ، فعلت ذلك . (مخاطبا أنّا :) تعالى هنا .

مانكـه : نعم فعلت ذلك . ولن تتخلص من الأمر بهذه السهولة ، ياصاحبي . لقد صحت : « إلى حى الصحافة ! »

كراجلـر : وأنا عائد إلى بيتى . (مخاطبا أنّا :) هل أدفعك دفعا ؟

أوجستا : سافل !

أنّـا : دعنى ! لقد مثلت الكوميديا على أبى وأمى ، وأستقبلت شابا في سريرى .

أوجستا : وغد ، أنت الآخر .

كراجلـر : ماذا أصابك ؟

أنّـا : لقد أشتريت الستائر معه . ونمت معه في السرير .

كراجلـر : اسكتى !

مانكـه : لو تتزعزع ، لشنقت نفسى ، يارجل !
(في العمق ، بعيدا ، تسمع صيحات)

أوجستا : والآن هم يهجمون على محلات موسّه Mosse

أنّـــا : وأنت لقـــد نسيتك تمامـــا ، بالرغم من الصورة الشمسية ، نسيتك من رأسك حتّى أخمص قدميك

كراجلـــر : اسكتى .

أنّـــا : نسيتك ، نسيتك .

كراجلر : وأنا لايهمنى . هل كان علىّ أن أبحث عنك ، وسكّينى في يدى ؟

أنّـــا : نعم ، تعال خذنى ، نعم ، بسكينك !

مانكـــه : في الماء ، هذه الجيفة !

(ينقضون على أنّا)

أوجســـتا : نعم ، أنتزعوا منه هذه القحبة !

مانكـــه : أمسكوا بها من خناقها .

أوجســـتا : في الماء ، هذه المزيّفة .

أنّـــا : أندريه !

كراجلـــر : كفوا ! انصرفوا !

(لاتسمع حشرجات الصدور . من بعيد ، تسمع أصوات المدافع المكتومة ، على فترات غير منتظمة

مانكـــه : ماهذا ؟

أوجســـتا : المدفعية .

مانكـــه : مدافع .

أوجســـتا : فليرحم الله كل الذين هناك . انهم يتطايرون كالسمك .

كراجلـــر : أنّـــا !

(أوجستا تهرع إلى العمق وهى محنية الظهر)

بولتروتر : (يظهر في عمق المسرح على الجسر) : ياألهى ! ماذا تفعلون ؟

جلـــوب : انه يبول على نفسه !

مانكـــه : يا وغـــد !

(يخـــرج)

كراجلـــر : الآن أنا عائد الى بيتى ، ياطائرى الجميل .

جلـــوب : (وقد وصل الى الجسر) : نعم ، لاتزال عنـــدك خصيتاك .

كراجلـــر : (مخاطبا أنّا) لا يزال الصفير ، تشبثى برقبـــتى ، يا أنّـــا .

أنّـــا : سأجعل نفسى صغيرة جدا .

جلـــوب : وأرجو أن تشنق نفسك ، غدا صباحا ، في الكنيف

(اختفت أوجستا هى والآخرين)

كراجلـــر : أنت ياصاحبى ستقتل رميا بالرصاص .

جلـــوب : نعم ، ياصاحبى ، هواء الصباح غنىّ بالوعـــود لكن هناك من يفضلون الاحتماء بمأمن .

(يختفى)

كراجلـــر : كنتم على وشك أن تغرقوا في الدموع التى ذرفتموها على مصيرى ، وأنا لم أفعل غير أن غسلت قميصى بدموعكم ! ربما كان علىّ أن أجعل لحمى يتعفن

في النهر لأجعل فكرتكم ترتفع الى السماء ؟ ، أنتم سكارى ، أليس كذلك ؟

أنّـــا : اندريه ! كل هذا لا أهمية له .

كراجلـــر : (دون ان يتطلع في وجهها ، وهو يدور على نفسه ممسكا رقبته بيديه) : لقد ضقت ذرعا الى هـــذا الحد ! (يتهانف بشراسة) مسرحية هذه كلها ، ومن أخسّ الأنواع ! ألواح ، وقمر من ورق ، وخلف ذلك : منضدة الجزار : هى وحدهـــا الحقيقية . (يستأنف الدوران حـــول نفســه ، وذراعاه مرتفعتان ، ثم يسقط على الأرض حيث يلتقط طبلة مقهى جلوب .) لقد نسوا طبلتهـــم. (يقرعها .) « النصف اسبارتاكى ، أو قـــوة الحب ! » ، « حمام دم في حى الصحافة » ، أو « في جلده يشعر كل انسان بالأمان » . (يرفـــع عينيه ، ويطرف بجفنه .) يرفع على الدرع أوبدون درع . (يضرب على الطبلة :) القربة تعـــزف والمساكين يموتون في حى الصحافة ، والمنـــازل تنهار على رؤوسهم ، والفجر ينبلج ، وهـــم ممددون على الاسفلت كأنهم قطط غرقى ، وأنـــا خنزير ، والخنزير يعود الى بيته . (يسترد نفسه .) سألبس قميصا نظيفا ، وجلـــدى أملكه دائمـــا ، وسترتى أنا أتركها ، وحذائى سأدهنه بالورنيش (بضحكه شريرة :) كل هذه الصيحات ستنتهى ، غدا صباحا ، ولكنى أنا سأكون في فراشي غـــد

صباحا ، وسأتكاثر حتى لا تنقطع ذريتي . (طبل) لاتنظروا نظرات رومنتيكية هكذا ! ياعصابة من المرابين ! (طبل .) يا قاطعي الرقاب ! (يضحك ملء حلقه حتى ليكاد يختنق :) أيها الجبنـــــاء المتعطشون الى الدماء ! (ضحكة تتوقف في حلقه، ولا يملك نفسه ، يترنح ، يرمى بالطبلة نحو القمر ، الذى كان مجرد مصباح – الطبل والقمر يسقطان في النهر الذى لايجرى فيه أيّ ماء) كل هذا لعب صبيان وعربدة . والآن جاء دور السرير ، السرير الكبير الواسع الأبيض ، تعالى !

أنّــا : يا اندريــه !

كراجلــر : (يجرها الى العمق) : أراغبة أنت أيضا ؟

أنّــا : لكن ليس عليك سترة .

(تساعده على لبس سترته)

كراجلــر : الجو بارد . (تلف المحرمة على عنقه .) تعالى الآن ! (يسيران جنبا الى جنب ، دون ان يتلامسا . أنّــا متخلفة عنه قليلا . وفي الهواء ، في أعلى جــدا بعيدا جدا ، صياح وحشي حاد ، صادر من حى الصحافة .)

كراجلــر : (يتوقف ، ينصت ، يمسك بأنّا من كتفيهــا) : مضت أربع سنوات ، الآن .

(يتركان المسرح ، بينما الصيحات لا تتوقف)

حياة جاليلو

تأليف : برتولت برشت

ترجمة وتقديم : د. عبد الرحمن بدوي

العنوان الاصلى للمسرحية :

Bertolt Brecht
Leben des Galilei
Schauspiel

Suhrkamp Verlag

مقدمة مسرحية "حياة جاليليو"

بقلم المترجم

– ١ –

جاليليو كما عرفه التاريخ

بين جاليليو كما عرفه التاريخ ، وجاليليو كما صوره برشت فى هذه المسرحية مشابه كثيرة .

أما جاليليو ، الرياضى والفزيائى والفلكى العظيم فقد ولد فى بيزا (بشمال غربى ايطاليا) في ١٥ فبراير سنة ١٥٦٤ ، وكان أبوه موسيقيا لا بأس به (حوالى ١٥٣٣ – ١٥٩١) مما ولد فى نفس ابنه حب الموسيقى ، ودفعه الى اتقان العزف على العود . وقام بدراساته الأولى فى بيزا ، ثم في فلورانسا ، ودخل جامعة بيزا في ١٥٨١/٩/٥ ، وبدأ بدراسة الطب ، وعقب عليه بدراسة الفلسفة والرياضيات . غير أنه ما لبث أن انقطع عن دراساته الجامعية ربما لسوء ظروف أسرته . وأخذ فى دراسة الهندسة على يد أوستليو رتشى Ostilio Ricci ، معلم خدم الدوق الكبير . واستطاع بجهده الشخصى أن يتعمق فى دراسة مؤلفات ارخميدس ، ولحل مشكلة تاج هيرون اخترع الميزان المائى (الهدرو ستاتيكى) ، وقد وصفه في رسالة صغيرة بعنوان « الميزان الصغير » (سنة ١٥٨٦) . وقام بأبحاث هندسية عن مراكز الثقل فى قطاعات الاشكال الهرمية ، والمخروطات ، والأشكال شبه المخروطية ذات القطع المكافىء اخبر بها الأب كرستوفور كلافيوس فى أثناء زيارة جاليليو الأولى لروما فى النصف الثانى من عام ١٥٨٧ ، وكذلك بعث بها الى مولتى Moletti مدرس الرياضيات في پدوفا (بالقرب من البندقية) ، والى العالم الرياضى المركيز جيدوبلدو دال مونتى Guidubaldo Dal Monte فسعى هؤلاء لتعيينه في جامعة پيزا وصار مدرسا بها فى يوليو ١٥٨٩ . وكان في تدريسه يتبع ما هو مقرر ، لكنه بدأ فى تفنيد نظريات أرسطو فى الفيزياء واشتغل بالميكانيكا . فأنكر نظرية أرسطو القائلة بأن الأجسام المختلفة الأوزان تسقط بسرعات مختلفة . وفي رسالته الصغيرة عن الحركة De motu (حوالى سنة ١٥٩٠) وقد كتبها على شكل حوار ، نجد أبحاثا عن حركة الأجسام الثقيلة على المستويات المائلة ، واعتراضات عديدة على نظرية أرسطو في حركة المقذوفات . وفى أثناء تدريسه فى پيزا قام بتجاربه المشهورة من فوق برج پيزا للتأكد من أن كرتين متساويتين فى الحجم ومختلفتين في الوزن

تسقطان بنفس السرعة ، كذلك اكتشافه ان ذبذبات البندول تتم في وقت واحد ، بمعنى أن البندول يحتاج الى نفس الكمية من الزمن لاتمام ذبذبته ، مهما كان اتساع مدى الذبذبة . وكان لهذا الاكتشاف الأخير أثره فيما بعد حين رأى جاليليو أن مبدأ البندول يمكن أن يطبق لضبط الساعات الكبيرة . وقيل انه اكتشف هذه الظاهرة وهو يلاحظ تذبذب المصباح فى كاتدرائية پيزا .

وبعد وفاة أبيه سنة ١٥٩١ زادت مطالب العيش عليه . فحمله ذلك على تقديم طلب للحصول على كرسى الرياضيات في جامعة پادوڤا ، وتولى هذا المنصب فى سبتمبر سنة ١٥٩٢ خلفا للاستاذ مولتى Moletti . ومن برنامج التدريس يتبين انه كان فى پادوڤا يدرس أصول الهندسة لاقليدس ، وكتاب الأكَر (جمع : كرة) تأليف سكروبوسكو Sacrobosco ، و (المجسطى) لبطلميوس ، و **المسائل الميكانيكية لارسطو ونظرية الكواكب السيارة** . أما فى دروسه الخاصة (وكانت العادة فى هذا العصر أن يعطى الاستاذ دروسا خصوصية للتلاميذ الراغبين فى ذلك ، وهم يقيمون في منزله للسكنى والطعام أيضا) فقد كان يدرس بعض أبحاثه الخاصة ، مثل استعمال الفرجار الهندسى والعسكرى ، وعلم الميكانيكا ، وفن الحرب . وبفضل مهارته في التدريس الخصوصى وفد عليه الطلاب من أنحاء اوربا . وقد كتب فيهذه الفترة الرسائل الآتية : **العمار الحربى ، بحث فى التحصينات الحربية ، بحث فى الكرة** ، تبعا لنظام بطلميوس ، و **بحث في الميكانيكا** .

ومنذ سنة ١٥٩٧ عمل على تحسين آلة ابتكرها المركيز دال مونتى ، مما أدى به الى عمل الفرجار الهندسى والعسكرى ، وهو نوع من المسطرة الحاسبة ، وتم عمله بواسطة صانع ماهر هو ماركو أنطونيو متسولينى Mazzolini تحت اشراف جاليليو .

وفى أثناء العامين الأخيرين من اقامته فى بادوڤا (١٦٠٩ – ١٦١٠) عنى بتحسين المنظار الذى سُمِّىَ فيما بعد باسم التلسكوب ، والذى بفضله قام باكتشافات فلكية هائلة .

وقد أثبتت الوثائق التى اكتشفها ك . دى فارد C. de Waard فى المحفوظات التاريخية الهولندية فى سنة ١٩٠٦ أن يانسن زخرياس فن مد لبورج Janssen Zacharias von Middelburg صنع أول جهاز ركبت فيه عدسات داخل أنبوبة وذلك فى سنة ١٦٠٤ . كذلك ركب هانز لبرشاى Hans Lippershey فى مدلبورج أيضا مناظير ذات عدسات داخل أنبوبة . ووصل نبأ هذا الاختراع مدينة البندقية في نوفمبر سنة ١٦٠٨ ، ومن المحقق أنه في أوائل سنة ١٦٠٩ كانت تباع مناظير من هذا النوع فى باريس وايطاليا . وقد عرف جاليليو بهذا الاختراع فى ربيع سنة ١٦٠٩ .

واعتمادا على هذا المنظار قام جاليليو بصنع تلسكوب أقوى من هذه المناظير

الهولندية الصنع ، وقدم هذا التلسكوب الى مجلس شيوخ البندقية فى ٢٥أغسطس سنة ١٦٠٩ فأدهش الجميع . وقد كانت قوة أول نموذج صنعه ثلاثة أضعاف قوة المنظار الهولندى الصنع . ومن ثم أدخل عليه تحسينات بسرعة ، حتى صارت قوته ٣٢ ضعف قوة المنظار الهولندى . وكان الفضل فى ذلك الى الطريقة التى ابتكرها جاليليو لضبط انحناءات العدسات . ونظرا الى قوة هذا التلسكوب الذى صنعه جاليليو ، أمكن استخدامه فى الارصاد الفلكية (١) .

وكان جاليليو أول من استخدمه فى دراسة السماء فى أواخر سنة ١٦٠٩ وأوائل سنة ١٦١٠ ، فتوصل به الى سلسلة من الاكتشافات الفلكية ، أهمها :

١ ـ اكتشف أن سطح القمر غير منتظم ولا أملس كما كان يظن فيما مضى .

٢ ـ ولاحظ أن المجرة مؤلفة من مجموعة من النجوم البعيدة .

٣ ـ واكتشف توابع كوكب المشترى ، وسماها النجوم المدتشية Sidera Medicea على اسم تلميذه السابق ، كوزمو الثانى ، دوق توسكانيا الكبير .

٤ ـ اكتشف أو لاحظ بقعا على الشمس .

٥ ـ شاهد أوجه (أطوار) كوكب الزهرة Les Phases de Vénus وما بدا له أنه أشكال زُحَل الثلاثة . وقد أعلن عن هذه الاكتشافات فى Sidereus Nuncius (مارس سنة ١٦١٠) .

وقد أثارت هذه الاكتشافات الكثير من المجادلات والمنازعات من جانب أنصار أرسطو ، ومنهم مارتن هوركى Horky ، ولودفكو دلى كولومبى Lodovico delle Colombe وفرنشسكو سِتسى Fr. Sizi . لكنه ايدها فلكى عظيم هو كبلر Kepler . ولم يعدم جاليليو من يدعى أنه سبقه الى بعض هذه الاكتشافات ، مثلما فعل سيمون ماير Simon Mayr فى كتابه Mundus Jovialis (نورمبرج سنة ١٦١٤) .

ومكافأة له على هذه الاكتشافات ، قرر مجلس شيوخ جمهورية البندقية تعيينه أستاذا مدى الحياة مع مرتب ممتاز . لكن رغبته الحارة فى العودة الى وطنه (فيرنتسه) ورغبته فى التحرر من متاعب التدريس للتفرغ للمشاهدات الفلكية والأبحاث العلمية ، حملته على قبول منصب : « رياضى فوق العادة فى معهد پيزا وفيلسوف صاحب السمو الدوق الكبير » ، مع عدم الالتزام بالتدريس ولا بالاقامة فى المعهد ولا فى مدينة پيزا . وكان ذلك فى أول يوليو ١٦١٠ .

---

(١) راجع عن تاريخ التلسكوب

H.C. King : **The history of the Telescope**. Charles Griffin, London, 1955, 456 pp.

وهكذا ترك جاليليو پادوڤا بعد اقامة استمرت ثماني عشرة سنة وهو فى أمان تام وحرية مكفولة للبحث والكتابة . وهنا فى پادوڤا ولد له من زوجته مارينا جمبا Marina Gamba ابنتان وولد، والابنةالكبرى هى فرجينيا (٢) ،وكانت بكر أولاده، وكان يؤثرها بالحب الشديد ، وقد ولدت فى ١٣ أغسطس سنة ١٦٠٠ ، ولكنها دخلت طريقة الرهبنة وصارت راهبة في ٤ أكتوبر سنة ١٦١٦ فى دير القديس متى فى أرشترى Arcetri وفى هذا الدير توفيت في ٢ ابريل سنة ١٦٣٤ . وقد بقى لنا منها ١٢٤ رسالة كتبتها الى أبيها فى الفترة ما بين ١٦٢٣ و ١٦٣٣ ، واسمها فى الدين الأخت ماريه شيلستي Maria Celeste وكانت متدينة ولكن بنوع من التفتح الذهني ، وحريصة دائما على أن تشارك أباها آلامه ومسراته ، وأن تعاونه قدر ما تستطيع . وقد استغل برشت شخصيتها مع بعض التعديلات طبعا ـ في هذه المسرحية خير استغلال : تدينها ، عطفها المستمر على أبيها . أما حكاية خطبتها الى لودئكو مرسيلي ، فهي من اختراع برشت .

أما الابن فنشنتسو Vincenzo (١٦٠٦ ـ ١٤٦٩) ، فكان شاعرا رقيقا .

ونتابع حياة جاليليو فنقول : انه في السنة التالية ، سنة ١٦١١ ، سافر الى روما (٢٩ مارس ـ ٤ يونيو ١٦١١) أولا ضيفا على سفير توسكانيا ج. نيكوليني G. Miccoini ثم أقام بعد ذلك فى ڤلا مدتشى الشهيرة فى رابية Trinità deiMonti (حيث توجد الآن مدرسة روما L'Ecole De Rome التابعة لفرنسا). واستقبله البابا بولس الخامس . وفى حديقة الكورينالى عرض اكتشافاته على العلماء اليسوعيين فى الكلية الرومانية Collegium Romanum . فاستطاعوا أن يشاهدوا الكواكب المدتشية من نوفمبر سنة ١٦١٠ ، الى ابريل سنة ١٦١١ ، واحتفلوا احتفالا عظيما بجاليليو . وكان هؤلاء العلماء اليسوعيون ، بناء على طلب من بلرمينو ، قد أيدوا اكتشافات جاليليو ، فيما عدا تحفظ أحدهم ، وهو كلافيوس، على نقطة جبال القمر . وفي ١٢ ابريل اختير جاليليو عضوا فى أكاديمية لنشاى Lincei ، التى لا تزال شهيرة بعلمائها وأبحاثها حتى اليوم .

وقامت مناقشة حول أسباب طفو الثلج ، تبعا لارسطو والمشائين ، فاشترك فيها جاليليو بكتاب بعنوان : **مقال الى صاحب السمو دون كوزمو الثانى ..** ،(سنة ١٦١٢ وفيه بين مبادىء علم المائيات (الهدروستاتيكا) تبعا لارخميدس . وقد أثار ردودا من جهة المشائين : كورزيو G. Corresio ودى جرسيا

---

(٢) راجع عنها

Galileo Galilei & Suor Maria Celeste. Firenze, 1891.

(وقد نشرت فيه ص ٢٣٣ ـ ٤٢٤ كل رسائلها الى أبيها) .

V. Di Grazia ، فرد عليها تلميذه الاب . ب . كاستلى B. Castelli
الأستاذ فى پيزا وكان تلميذا لجاليليو فى پادوڤا .

واكتشف جاليليو البقع الشمسية (فى يوليو سنة ١٦١٠) وعرضها فى البندقية ثم في روما بين مارس وابريل سنة ١٦١١ ، كذلك اكتشفها فى نفس الوقت ج . فابرتسيوس ، الذى ظهر كتابه فى هذا الموضوع بعنوان Narratio de Maculis in Sole observatis (ذكر البقع الملاحظة فى الشمس) فى سنة ١٦١١ . أما جاليليو فقد نشر رأيه فيها فى كتاب بعنوان De-maculis solaribus في يناير وسبتمبر سنة ١٦١٢ باسم مستعار هو Apelle ، وقد دافع جاليليو عن كونه هو أول من اكتشفها .وأثارت مسألة أولية اكتشاف البقع الشمسية هذه مجادلات لاتنتهى حتى الآن .

وهنا حدثت العاصفة الكبرى. أن جاليليو كان من أنصار النظام الذى قال به كوبر نيكوس ، وهو أن الشمس فى المركز وأن الارض مجرد كوكب سيار يدور فى فلكها . وقد عبر جاليليو عن تأييده لنظام كوبر نيكوس في رسالة كتبها الى ياكوبو ماتسونى في مايو سنة ١٥٩٧ ، وفى رسالة أخرى كتبها فى ٤ ابريل الى كبلر فيها يؤكد صحة نظام كوبرنيكوس . وكان من شأن اكتشافاته الجديدة أن تأيد لديه نظام كوبر نيكوس أكثر وأكثر . وعبر عن ذلك فى رسالة كتبها الى ب . كستلي B. Castelli في ٢١ ديسمبر سنة ١٦١٣ ، مع مزيد من التحقيق . وقد قال فى كلتا الرسالتين انه من الخطر ادخال الكتاب المقدس في نزاع مع نتائج العلوم الطبيعية لان الكتاب المقدس لا يمكن ان يخطىء وانما الشراح هم الذين يخطئون خصوصا والكتاب المقدس يستخدم لغة يفهمها الجمهور واليه وجهها وكيفها مع عقلية الجمهور. وأكد أيضا أن النص الوارد في الكتاب المقدس بشأن وقف يوشع للشمس عن الدوران ــ يتفق تماما مع نظام كوبر نيكوس . غير أن راهبين دومينيكيين ــ وللرهبان الدومنيكان تاريخ أسود فى اضطهاد حرية الفكر في أوروبا ــ هما ت . كاتشينى T. Caccini و ن . لورينى N. Lorini ، أثارا ضد جاليليو حملة شعواء علنية . فأولهما ، كاتشينى ، من منبر كنيسة سنتاماريا نوڤلا فى فيرنتسة اتهم جاليليو فى أوائل سنة ١٦١٥ علنا بالهرطقة . وثانيهما وهو لورينى قدم طعنا فى جاليليو الى الديوان المقدس في روما بسبب البدَع التى يحتوى عليها خطابه المذكور الى كستلى . فأمر الديوان المقدس باجراء تحقيق فى هذا الخطاب وفى الرسائل التى كتبها جاليليو عن البقع الشمسية ، وذلك فى ٢٥ نوفبر سنة ١٦١٥ . وعلى الرغم مما قام به جاليليو فى سفرته الثالثة الى روما من محاولات لافساد تدابير أعدائه هذه، فان الديوان المقدس ، برئاسة ر . بلرمين أعلن بطلان نظام كوبر نيكوس في ٢٥ فبراير سنة ١٦١٦ ، وأمر جاليليو بالامتناع من تعليم ، او الدفاع عن ، أو معالجة ، نظام كوبر نيكوس على أى وجه ، والا ادخل السجن .وأبلغ جاليليو بقرار المحكمة هذا فى ٢٧ فبراير سنة ١٦١٦ . وقد قبل جاليليو هذا القرار وأعلن أنه سيطيعه .

وفى ٥ مارس سنة ١٦١٦ حرمت هيئة الرقابة على الكتب Congregazine dell'Indice قراءة كتاب كوبر نيكوس ، وكذلك سائر الكتب التى تعلم نفس النظام . وفى يونيو سنة ١٦١٦ عاد جاليليو الى فيرنتسه فنصحه الدوق الكبير ، كوزمو الثانى ، وأصدقاؤه وعارفوه باطاعة قرار الديوان المقدس والاعتصام بالسكينة .

وكان الكردينال بلرمين قد استقبل جاليليو فى يوم ٢٦ فبراير ، وأبلغه بالقرار الذى سيصدر ، وحذَّره من أن عليه من الآن فصاعدا ألا يقول بنظام كوبر نيكوس وألا يدافع عنه .

واستجاب جاليليو فعلا للقرار . فظل طوال السنوات السبع التالية (١٦١٦ ـ ١٦٢٣) فى عزلة فى بيته فى بلوسجواردو Bellosguardo بالقرب من فلورنسة ، يواصل دراساته وأبحاثه في عزلة وهدوء . وفي سنة ١٦٢٣ رد على رسالة كتبها أحد اليسوعيين ، وهو أوراتسيو جراسى Orazio Grassi عن طبيعة المذنبات ، وكان من الواضح أن صاحبها يقصد الى الطعن فى جاليليو . وكان الذى دفع جراسى الى تحرير رسالته هذه ظهور ثلاثة مذنبات فى سنة ١٦١٨ ، فانتهزها هذا اليسوعى فرصة للهجوم على نظام كوبر نيكوس ، ومن ثم على الهجوم على جاليليو . وكان عنوان رد جاليليو ، وقد أهداه الى البابا أربان الثامن هو :

Saggiatore nel quale con bilancia esquisita & giusta si poderano Ie cose contenute nella libra astronomica & filosofica.

وفيه يرد على ادعاءات س . ماير بأسبقيته في اكتشاف البقع الشمسية ، ثم يعرض كل اكتشافاته الفلكية ، ويروى قصة اختراعه للتلسكوب ، ثم يرد ردا مفحما على كل نقطة أثارها أوراتسيو جراسى .

وفى سنة ١٦٢٤ زار روما للمرة الرابعة واستقبله البابا أربان الثامن ـ واسمه الأصلي مافيو بربريني Maffeo Barberini ـ وهو الذى طالما أظهر اعجابه به وعطفه عليه منذ أن كان كردينالا .

ثم عاد الى فلورنسه ، وهناك اخترع وحسَّن المجهار المركب ـ Microscopo Composto ، وأرسل نموذجا منه الى اتشيزي Cesi فى سبتمبر سنة ١٦٢٤ وقال عنه « : انه منظار لرؤية الاشياء المتناهية الصغر عن قرب » .

وفى نفس الوقت ظل جاليليو يعمل فى تأليف كتابه الرئيسي : **المحاورة** Dialogo وكان موضوعه نظام العالم . وفرغ منه نهائيا في ديسمبر سنة ١٦٢٩ ، وكان معدا للطبع فى مايو سنة ١٦٣٠ . وبعد رحلة أخرى الى روما ومجهودات مضنية استطاع الحصول على اذن بطبع الكتاب .

وظهر هذا الكتاب في فبراير سنة ١٦٣٢ بعنوان :

Dialogo di G. Galilei, . .. dove ne i congressi di quattro giornate si discorre sopra i due massimi sistemi del mondo, tolemaico & copernicano, proponendo indeterminatamente le ragioni folosofiche e naturali tanto per l'una quanto per l'altra parte

ومكان الحوار هو البندقية ، والمتحاوورون هم :

١ ـ فيليبو سلفياني (١٥٨٢ ـ ١٦١٤) وهو عين من أعيان فلورنسه ، وعضو في اكاديمية لنشاى ، وفي بيته كتب جالليو رسالتين من رسائله الثلاث عن البقع الشمسية . وهو يمثل آراء كوبر نيكوس وآراء جالليو .

٢ ـ جو فنى فرنشكو سجريدو ، وهو من البندقية (١٥٧١ ـ ١٦٢٠) ويمثل « الادراك السليم » .

٣ ـ سمبليشيو Simplicio ، وهو من أنصار أرسطو ، ولقب بهذا الاسم على اسم شارح أرسطو المشهور : سنبلقيوس . وهو يمثل أرسطو وأنصاره ، وان كان أعداء جالليو قد حاولوا ايهام البابا والناس أن المقصود به هو البابا نفسه ، أربان الثامن ، وذلك على أساس أن المؤلف قد وضع على لسان سمبلتشيو هذا العبارات التي بها دافع البابا عن نظام بطلميوس .

وتجرى مناقشات اليوم الاول في نقد نظرية أرسطو فى الحركة ، والدفاع عن آراء جالليو في وجود جبال وبحار فى القمر . وخصص اليوم الثاني للبحث فى حركة الارض اليومية حول محورها وتفنيد الحجج التي سيقت لتأييد عكس ذلك ، وفى الاسباب التي تدعو الى ترجيح نظام كوبر نيكوس . وفي مناقشات هذا اليوم يعرض جالليو آراءه فى الديناميكا ، ومبدأ القصور الذاتي ، وفى القوة الطاردة ، ويعرض قوانين سقوط الأجسام ، وقوانين ذبذبات البندول ، وفي كون سرعة سقوط الجسم مستقلة عن وزنه ـ وفى اليوم الثالث يدور الحوار حول أسباب حركة الارض حول الشمس ، وتفسير مواقع النجوم بحسب كوبر نيكوس ، وحول أوجه (أطوار) الزُّهَرَة والبقع الشمسية . وفى هذا الحوار تأييد حار لنظام كوبر نيكوس ونبذ شديد لنظام بطلميوس ، كما تدل على ذلك هذه العبارة : « فى بطلميوس الأمراض ، وعند كوبر نيكوس الأدوية » . وخصصت مناقشات اليوم الرابع للبحث في المد والجزر فى البحر ، وهو يفسره بحركة الارض ، مفندا فكرة تأثير القمر ، وكان جالليو في هذا مخطئا تماما .

---

(٣) وترجمته : « حوار تاليف جالليو جاليلاى... وفيه خلال جلسات استمرت أربعة أيام جرت مناقشة حول أكبر نظامين للعالم : نظام بطلميوس ونظام كوبر نيكوس ، مع ايراد الاسباب الفلسفية والطبيعية فى جانب الواحد ، وفى جانب الآخر على السواء بدون تحيز لاحدهما » . وواضح من العبارة الاخيرة ان جالليو يريد أن يفلت من مقتضى قرار الديوان المقدس .

وسرعان ما تبين خصوم جالليو ما فى كتاب « الحوار » هذا من خطر ، وخصوصا الابوان اليسوعيان فى الكلية الرومانية : جراسّى وشرينر Grassi & Schreiner فأعلن هذان ــ رغم أن الكتاب قد مر من الرقابة وأذن بنشره ــ أن هذا الكتاب « أسوأ وأخطر على الكنيسة من كتابات لوثر وكلفان » . لهذا تقرر (أغسطس سنة ١٦٣٢) منع نشر وتوزيع الكتاب في روما ، ثم فى ١٦٣٢/١٠/١ طلب من جالليو المثول أمام المندوب العام للديوان المقدس . واضطر جالليو للذهاب الى روما فى يناير سنة ١٦٣٣ ، بعد أن كتب وصيته ، فوصل روما فى ١٣ فبراير ونزل عند سفير توسكانا فى قصر فلورنسة . وفي ١٢ ابريل جرى تحقيق أولى معه أمام الديوان المقدس ، مع شيء من الرعاية . وقام ثلاثةمن الاحبار هم : ملكيور انشوفر Melchiorre Inchofer ، واوجستينو أورجيو Agostino Oregio وزكريا بسكواليجو Zaccaria Pasqualigo بفحص كتاب « الحوار » وقرروا أن جالليو قد خالف التحذير الذى وجه اليه سنة ١٦١٦ وقرار سنة ١٦١٦ ، وقال أحدهم أنه يُشتَم من الكتاب أن جالليو يؤيد نظام كوبر نيكوس . وفى ١٦ يونيو سنة ١٦٣٢ ، فى قصر الكورينالى ، أصدر مجلس الديوان المقدس قراره ، بعد جلسات عديدة رأس الكثير منها البابا نفسه . **ويقضى القرار** (١) بأن يعلن جالليو تبرؤه من نظرياته ، و (٢) يسجن حسب ما يقضى به المجمع المقدس Sacra Congregazione ، (٣) منع كتاب « الحوار » وأى كتاب آخر يكتبه من بعد .

وأبلغ جالليو بالقرار فى ٢١ يونيو سنة ١٦٣٢ . وفى يوم ٢٢ فى مركز الديوان المقدس فى كنيسة سانتاماريا فوق منيرفا جرت عملية التبرؤ . لكن الحكم بالسجن سرعان ما عدله البابا الى الاعتقال فى حديقة ترينتادى مونتى (على رابية من روابى روما) Trinita dei Montiأولا ، ثم بعد ذلك فى مدينة سيينا (بمقاطعة توسكانا) وأخيرا (في ديسمبر سنة ١٦٣٢) فى قرية ارشترى Arcetri

وقد شاعت اشاعة تقول ان جالليو ، بعد أن تبرأ ، تلفت وقال : « ومع ذلك فهى تتحرك » Eppur si muove . ولكن ليس لهذه الاشاعة أى سند تاريخى . والثابت أنه تبرأ من آرائه وأذعن مطيعا ساكتا .

وعلى الرغم مما بذل من شفاعات ووساطات لم يفرج عن جالليو حتى آخر عمره افراجا تاما ولم يصدر عنه أى عفو . ورفضت كل التماساته للعفو عنه أو الافراج . وآخر هذه الالتماسات قد أرسله جالليو الى البابا فى ٢٨ ابريل سنة ١٦٣٨ ، ولكن الديوان المقدس رفض التماسه . وظل قرار تحديد اقامته فى بيته ساريا حتى وفاته .

وقد أمضى جالليو السنوات الثمانى الأخيرة من حياته رهين معتقله فى فلورنس أولا في بيت على رابية سان جورجيو ثم بعد ذلك فى بيت فى أرشترى Arcetri

وتوالت عليه المحن بعد ذلك وهو فى محبسه فى أرشترى : ففقد أولا ابنته العزيزة فرجينيا في ٢ ابريل سنة ١٦٣٤ ، ثم كف بصره نهائيا في سنة ١٦٣٨ ، فلم يعد يستطيع كما قال : « أن يبصر تلك السماء ، وذلك العالم ، وهذا الكون الذى استطعت بفضل مشاهداتى العجيبة وبراهينى الواضحة ان أكثر منه مئات بل وآلاف المرات زيادة عما رآه العلماء فى كل العصور الماضية » .

لكن ذلك كله لم يمنعه من مواصلة الكتابة ثم الاملاء . فحرر كتابه الرئيسى بعنوان :

Discorsi & Dimostrazioni matematiche, intorno a due nuove scienze, attenenti alla meccanica e i movimenti locali

وكان معدا للطبع منذ سنة ١٦٣٤ ، وبعد محاولات عديدة لطبعه ، انتهز فرصة زيارة الناشر الهولندى الشهير L. Elzeviro له فى محبسه بأرشترى وأعطاه أصل الكتاب لطبعه في مدينة ليدن Leiden فى هولنده ، وتم ذلك فى سنة ١٦٣٨ .

وأملى على تلميذه فنشنتسو فيفيانى Vincenzo Viviani — وكان يقيم الى جواره منذ نوفمبر سنة ١٦٣٨ — بحثا فى البرهنة على الفرض المتعلق بالحركة على السطوح المائلة. وكذلك أملى على ايفا نجلستا تورتشلى Evangelista Torricelli فى اكتوبر سنة ١٦٤١ حوار اليوم الخامس عن تعريفات ونظريات اقليدس (المقالة الخامسة) .

وتوفى جالليو في أرشترى في الثامن من يناير سنة ١٦٤٢ بعد اصابته بالحمى البطيئة .

ويمكن تلخيص أهم اكتشافات جالليو العلمية فيما يلى :

١ — قام بتحسين جهاز هولندى الصنع تستعمل فيه عدسات فى أنبوبة ، وكان عن ذلك التلسكوب (المِقْراب) الذى بفضله أمكن تقوية رؤية العين الى درجة مكنت من رصد النجوم البعيدة .

٢ — اكتشف مبدأ القصور الذاتى فى الحركة ، وان كان ذلك ينسب عادة الى ديكارت .

٣ — استطاع بواسطة مقرابه أن يكتشف توابع المشترى وان يرسم لوحات لدوراتها .

٤ — لاحظ البقع الشمسية ودرسها في نفس الوقت الذى درسها فيه ج . فابرتسيوس سنة ١٦١١ .

٥ — اكتشف أن المجرة مؤلفة من مجموعة من النجوم البعيدة .

٦ ـ اكتشف أوجه كوكب الزهرة .

٧ ـ لعب دورا كبيرا جدا فى ايجاد علم الميكانيكا بوصفها علما ، وبهذا مهد الطريق لنيوتن .

٨ ـ أسهم اسهاما كبيرا فى تطبيق الرياضيات على الفيزياء ، ورأى بثاقب بصره « أن الطبيعة مكتوبة بلغة رياضية » على حد تعبيره الشهير .

٩ ـ وكان من أكبر دعاة المنهج التجريبى فى البحث العلمى . (٤)

***

---

(٤) هناك ثبت بمؤلفات جاليليو وما كتب عنه من ابحاث ، يستغرق الفترة من ١٥٨٦ حتى ١٨٩٥ وفيه ٢١٠٨ عنوان بحث ، وقد قام به أ . كارلى و ا . فافرو : A. Carli e A. Favaro : Bibliografia Galileiana. Rome, 1896.

وراجع عن جاليليو :

A. Banfi : Galileo Galilei-Finenze, 1931 ;
L. Olschki : Galileo und seine Zeit. Halle, 1927 ;
Stillman Drake : Discoveries and opinions of Galileo. London, 1955.

ـ ٢ ـ

جاليليو فى مسرحية برشت

هذا هو جاليليو كما عرفه التاريخ . ومن يقرأ مسرحية برشت هـذه يجـد أن المشابه كثيرة جدا بين أحداث حياة جاليليو وبين أحداث المسرحية ، لاتكاد في خطوطها العامة أن تخرج عنها . وحتى أسماء الشخصيات معظمها أسماء تاريخية ، والادوار التي لعبتها متكافئة فى كلا المجالين : التاريخ والمسرحية :

١ ـ فرجينيا ، ابنة جاليليو ، هي : الابنة التي آثرها أبوها بالحب ، وآثرتـه بالحب والاخلاص . وهي هي : المرأة المتدينة ، حتى انها تاريخيا دخلت الرهبانية فى سن السادسة عشرة . والخلاف هو في قصة خطبتها الى لودفكو مرسيلي : فهـذه الحكاية اخترعها برشت ، كما أنه لم يُشِرْ الى كونها ترهبت .

٢ ـ والكردينا لان بلرمين وبربريني ـ والاخيرأصبح البابا أربان الثامن ـ دورهما في المسرحية هو دورهما فى الواقع التاريخي ، لم يغير برشت فيه شيئا .

فان بلرمين (أو بلرمينو Bellarmino كان كردينالا ، ومطرانا لكبوا Capua . وعين في سـنة ١٥٧٦ فى الكلية الرومانيـة Collegio romano أسـتاذا للمسائل الجدلية ، وظل فى هذا المنصب حتى سنة ١٥٨٨ . ثـم عـاد الـى الكليـة الرومانية في١٥٩٠ في منصب المرشد الروحى ، وعين مديرا لها فيديسمبر سنة١٥٩٢. كما عين مستشارا للديوان المقدس ، وبهذه الصفة اشترك فى قضية جورد انو برونو ، الفيلسوف الذى قضي باحراقه . ومنـح لقب كردينـال في ٣ مارس سنة ١٥٩٩ ، واشترك بهذه الصفة فى كل المجامع المقدسة . واشترك في كل القضايا الدينية الكبرى التي أثـيرت فى ذلك العصر : قضيـة حرمـان البندقيـة (١٦٠٦) ، قضية النزاع الانجلكاني والجاليكاني فيما يختص بسلطة البابا في الامور الدنيوية (من سنة ١٦٠٧ الى سنة ١٦١٢) كما اشـترك في قضية جاليلـيـو (١٦١٥ ـ ١٦١٦) وتوفـى فى ١٧ سبتمبر سنة ١٦٢١ .

أما بربريني فهو أحد كبار رجالات أسرة بربريني المشهورة فى تاريخ ايطاليـا في القرن السابع عشر . والمقصود فى المسرحية هو اربانو الثامن البابا واسمه الاصلـي مافيو بربريني Maffeo Barberini الابن الخامس لانطونيو بربريني . ولد في فلورنس في ٥ ابريل سنة ١٥٨٨ ، واعتلى كرسي البابوية فى ١ اغسطس سنة ١٦٢٣ واتخذ اسم « اربانو الثامن » وفى أثناء بابويته عني باصلاح أحوال الكهنوت الروماني والطرق الرهبانية . وزاد من سلطة محاكم التفتيش ، فعمل على تأجيج حركة اضطهاد المفكرين ورجال الدين ذوى الآراء الحرة (دى دومينيس ، مطـران اسـبالاتو ، وتوماس كمبانلا ، وكريمونيني Cremonini) .

وأهم القضايا التي أثيرت في عهده قضية جاليليو ، على الرغم من أنه كان معجبا بجاليليو ، عطوفا عليه ، خصوصا وقد حصل شطرا من الرياضيات والثقافة الانسانية وخاض غمار الحروب الدينية العديدة التي اثيرت فى أوربا في عصره . وتوفي فى ٩ يوليو سنة ١٦٤٤ .

شخصيات المسرحية

جاليو جاليلاى	Galileo Galilei
أندريا سارتى :	Andrea Sarti
السيدة سارتى : أم أندريا ، وتقوم بخدمة جاليو	Sarti
لودوفكو مرسيلى : شاب ثرى	Ludovico Marsili
السيد بريولى : مدير جامعة بادوا	Priuli
سجريدو : صديق لجاليو	Sagredo
فرجينيا : بنت جاليو	Virginia
فدرتسونى : صاقل عدسات ، ومساعد لجاليو	Federzoni
الدوج :	Doge
اعضاء المجلس	
كوزيمو دى مدتشى : الدوق الاكبر لفيرنتسه	Cosimo di Medici
رئيس البلاط	
اللاهوتى	
الفيلسوف	
الرياضى	
كبرى الوصيفات	
خادم للدوق الاكبر	
راهبتان	

جنديان

امرأة عجوز

عالمان

راهبان

فلكيان

راهب نحيف جدا

الكردينال العجوز

الأب كرستوفر كلافيوس : فلكى — Christopher Clavins

الراهب الصغير

الكردينال صاحب التفتيش

الكردينـــال بربرينى : الذى اصبـــح بابا باسم أوربان الثامن — Kardinal Barberini

الكردينال بلرمين — Kardinal Bellarmin

كاتبان كهنوتيان

فتاتان

فلو موشيوس : عالم — Filippo Mucius

السيد جافونى : مدير جامعة بيزا — Gaffone

مطرب جوال

زوجته

فانى : رئيس مصنع صهر الحديد — Vanni

محضر

موظف كبير

شخص

راهب

فلاح

حارس حدود

كاتب

رجال ، نساء ، أطفال .

(١)

جالليو جاليلاى ، أستاذ الرياضيات في بادوا ، يريد أن يبرهن على صحة النظام الجديد للعالم كما تصوره كوبرنيكوس .

في عام ألف وستمائة – وتسع
شع نور العلم من بيت صغير – في بادوا
إذ جالليو بالحسابات توصل :
ليست الشمس ، بل الأرض تدور .

(جالليو في مكتبه المتواضع في بادوا . الصباح . صبى ، هو اندريا ، ابن ربة البيت ، يحضر كوباً من اللبن وقطعة من الخبز الأبيض) .

جالليو (وكان يغسل نصف جسمه الأعلى ، مهتزا وفي طرب) : ضع اللبن على المنضدة ، لكن لا تغلق أى كتاب .

اندريا : أمى تقول انه لابد من دفع المبالغ المستحقة للبّان ، والا ، ياسيدى جالليو ، فإنه سيتخذ طريقا دائريا ليتجنب منزلنا .

جالليو : يجب أن يقال ، يا اندريا ، انه سيرسم قوس دائرة .

اندريا : كما تشاء . لكن ان لم ندفع ، فإنه سيتجنبنا راسما قوس دائرة ، ياسيدى جالليو .

جالليو : والمحضر ، السيد كمبيونى ، سينقض علينا في خط مستقيم . فأى طريق سيختار بين نقطتين ؟

اندريا : (بابتسامة عريضة) أقصر طريق !

جاليــو : حسن . عندى شيء لك . اذهب وانظــر وراء الجداول الفلكية .

(من وراء الجداول الفلكية ، يُخْرِج اندريــا نموذجا خشبيا يمثل نظام بطلميوس) .

اندريــا : ما هــذا ؟

جاليــو : هذا اسطرلاب ، وهو يبين كيف تدور الكواكب حول الأرض ، تبعا لرأى الأقدمين .

اندريــا : كيف تسير ؟

جاليــو : لننظر . أول شيء هو : الوصف .

اندريــا : في الوسط حجر صغير .

جاليــو : انه الأرض .

اندريــا : وحواليه أغشية متداخل بعضها في بعض .

جاليــو : كم عددها ؟

اندريــا : ثمانيــة .

جاليــو : هذه هى أفلاك البلّور .

اندريــا : وعلى الأغشية كرات مثبتة .

جاليــو : هذه هى النجوم .

اندريــا : ثم هناك أمثال الأشرطة ، عليها كتابة .

جاليــو : أى كتابة ؟

اندريــا : أسماء النجوم .

جاليــو : مثلا ؟

اندريـــا : الكرة السفلى مكتوب عليها : القمر . وفوقهـــا الشمس .

جالليـــو : والآن ، حرّك الشمس .

اندريـــا : (وهو يدير الأغشية) هذا جميل . لكن ، كأننا في صندوق .

جالليـــو : (وهو يجفف نفسه) نعم ، وأنا أيضا كان لديّ هذا الشعور حين رأيت هذا الشيء لأول مـــرة . بعضنا لديه هذا الشعور (يلقى إلى اندريا بالفوطة ، ليمسح له بها ظهره) . جدران . أغشية ، وسكون! طوال عشرين قرنا اعتقدت الانسانية أن الشمـــس وجميع الأجرام السماوية تدور حول الأرض . والبابا بكردينالاتـــه ، والأمراء والأساتـــذة ، والملاحون والتجار ، وبائعات السمك، والتلاميذ. الجميع اعتقدوا أنهم ساكنون مستقرون في كرة البلور هذه . لكن ، هذه المرة ، ياأندريا ، سنلقى بأنفسنا في البحر الواسع ، لأن الزمن القديم ولّى ، وها هوذا عصر جديد . ويخيّل إلى المرء أن الانسانية كانت ، منذ مائة سنة ، تنتظر شيئا .

المدن ضيقة ، والعقول كذلك . الخرافات ، والطاعون . ولكن في هذه المرة نحن نقول : مادامت الأمور هكذا ، فانها لن تستمـــر هكذا . لأن كل شيء يتحرك ، ياصديقي الصغير .

ويلذ لى أن أتصور أن هذا قد بدأ بالسفن . منذ أقدم الأزمنـــة ، لم تـــكن السفن تسير الا عـــلى طول الشواطىء ، وفجأة غادرتهـــا ، وقذفت بنفسها في المحيطات .

وعلى قارتنا العتيقة نشأت شائعة فجأة ، تقول انه توجد قارات جديدة . ومنذ أن ذهبت إليها سفننا ، ترددت هذه الشائعة في القارات ، فكانت هناك ضحكة عالية : ذلك أن المحيط الشاسع الذى كان الناس يخافونه صار يبدو لهم بعد ذلك ، كما لو كان بركة من الماء . كلّ يومٍ اكتشافٌ جديد. وحتّى الذين بلغوا المائة يريدون قبل أن يموتوا أنْ يصرخ الشباب في آذانهم بما اكتشف من جديد .

لقد تم اكتشاف الكثير ، لكن لا يزال هناك ما سيكتشف بعد ، مما سيكون من عمل الأجيال الجديدة .

في سيينا Siena ، لما كنت صغيرا ، رأيت جماعة من البنائين يرتبون الحبال بطريقة جديدة عملية ، بدلا من الطريقة القديمة لنقل كتل الجرانيت ، بعد مناقشة استغرقت خمس دقائق . وفي الحال فهمت : لقد ولّى الزمان القديم ، وها هوذا عصر جديد . وعما قليل ستعرف الانسانية الحقيقة عن مسكنها ، هذا الجِرْمِ السماوى الذى تسكنه . وما هو مكتوب في الكتب القديمة لم يعد يكفيها .

فهناك حيث انتقش الايمان منذ ألف عام ، انتقش الآن الشك . العالم كله يقول : نعم ، هذا مكتوب في الكتب ، لكن لننظر نحن بأنفسنا . والحقائق التى كانت مُسَلّمة بكل جد ، صارت الآن هدفا للنقد ، وما لم يوضع أبدا موضع الشك ، قد صار الآن هدفا للشك

وهكذا هبّت ريح عاتية زعزعت كل شىء ، ورفعت حتى السراويل المزركشة بالذهب والتى يلبسها الأمراء وكبار رجال الدين وصار من الممكن أن نرى تحت الرّكَب السمينة أو الهزيلة ، رُكَباً مماثلة لرُكَبنا . لقد تبين في نهاية الأمر أن السموات خاوية، وانطلقت عن ذلك ضحكة عالية .

لكن مياه الأرض تدير المناسج الجديدة ، وفي ورش الموانى

ومصانع الحبال والشراعات تشتغل خمسمائة يد في وقت واحد بنظام جديد.

وأنا أتنبأ بأننا سنعيش حتّى نسمع الناس يتكلمون في الأسواق عن علم الفلك، وحتّى أولاد بائعات السمك الذين سيتدافعون إلى المدارس. لأن هؤلاء الناس الذين تراهم في مدننا متشوقون للتغيير، وسيشعرون بالرضا والارتياح حين يرون أن علمَ فلكٍ جديداً سيجعل الأرض تتحرك. لقد كان يقال دائماً ان النجوم مثبتة في قبة من البلّور حتّى لا تسقط. أما الآن فقد تحلينا بالشجاعة، وسندعها تتجول في الفضاء، دون أن تكون مُثَبّتة في شيء، وها هي ذى تسبح في الفضاء الفسيح، مثل سفننا في البحار وهي تجول دون مراسٍ.

والأرض تدور مبتهجة حول الشمس، وبائعات السمك، والتجار، والأمراء، والكرادلة، والبابا نفسه — كل الناس يدورون معها.

أما الكون فَقَدْ فَقَدَ مركزه في ليلة واحدة، وفي الصباح صارت له مراكز لا حصر لها. حتّى صار كل شيء مركزا، ولا مركز، إذ كثرت المواضع.

وسفننا تنطلق إلى الآفاق البعيدة، والنجوم تدور إلى غير نهاية في المدارات الكبرى في الفضاء، وحتّى في لعبة الشطرنج تجول الطوابي في كل الخانات.

ماذا قال الشاعر؟ « ياله فجر جديد . . . »

اندريا : —

« ياله فجر جديد !
يالنسم الريح يأتي
الآن من شط جديد ! »

ثم ، عليك أن تشرب هذا اللبن ، فعمّا قليل ستبدأ الزيارات .

جاليليو : ما قلته لك ، هل فهمته منذ أمس مساء ؟

اندريا : ماذا ؟ حكاية كبرّنيك وأشيائه التى تدور ؟

جاليليو : نعم !

اندريا : لا . ولماذا تريد منى أن أفهمها ؟ انها صعبة جدا ، ولن أبلغ من العمر الحادية عشرة الا في أكتوبر .

جاليليو : ما يهمنى أيضا هو أن تفهم أنت كذلك . وإذا كنت ترانى أشتغل وبدلا من دفع المبالغ المستحقة لبائع اللبن ، أشترى هذه الكتب الغالية الثمن ، فذلك من أجل أن يفهم الناس .

اندريا : لكنى أرى بوضوح أن الشمس في المساء تتوقف في مكان غير مكانها في الصباح . فليس من الممكن اذن أنها لا تتحرك . مستحيل .

جاليليو : هكذا وماذا ترى ؟ أنت لا ترى شيئا أبداً أنت تحملق بعينيك فقط . والحملقة ليست هى الرؤية . (يضع في وسط الغرفة الحامل الحديدى الذى يحمل الحوض) . لنفترض أن هذا هو الشمس . اقعد (اندريا يقعد على أحد الكرسيين وجاليليو يقف خلفه) أين الشمس : عن يمين ؟ عن يسار ؟

اندريا : عن يسار .

جاليليو : وكيف تنتقل إلى اليمين؟

اندريـــا : إذا جعلتها تنتقل إلى اليمين ، طبعا .

جاليلـــو : فقط في هذه الحالة ؟ (يرفعه مع الكرسى ويجعله يدور نصف دورة) . أين الشمس ، الآن ؟

اندريـــا : على اليمين .

جاليلـــو : وهل تحركت ؟

اندريـــا : لا ، طبعا .

جاليلـــو : ومن الذى تحرك ؟

اندريـــا : أنا .

جاليلـــو : (صائحا) لا ، يا مغفل ! الكرسى !

اندريـــا : وأنا معه !

جاليلـــو : بالتأكيد . الكرسى هو الأرض ، وأنت جالس فوقه

السيد سارتى : (تدخل لترتيب السرير ، وقد لاحظت المنظر —) ماذا تفعل مع ولدى ، ياسيد جاليليو؟

جاليلـــو : أعلمه كيف ينظر ، ياسارتى

السيد سارتى : وأنت تديره في الغرفة

أندريـــا : لاشأن لك بهذا ، ياأماه . فهذا أمر لاتفهمينه .

السيد سارتى : آه ، هكذا ؟ وأنت ، أنت تفهمه ؟ هنا شاب يريد تلقى دروس . يلبس ثيابا فاخرة ، ومعه خطاب توصية . (تعطيه الخطاب) ستفيد أندريا كثيرا ، إلى حد أنه سينتهى به الأمر أن يقول ان ٢ × ٢ = ٥ . أنه يخلط في كل ماتقوله له . أمس فقط أراد أن

يبرهن لى على أن الأرض تدور حول الشمس .
ويعتقد اعتقادا جازما أن رجلا اسمه كبرّنيك قد بيّن هذا بالحسابات .

أندريـــا : ياسيد جالليو ، ألم يبرهن على هذا كبرّنيك ؟ قل لها أنت بنفسك .

السيد سارتى : ماذا ؟ هل تقول له حقا مثل هذه الحماقات؟ حتى يذيع هذا في المدرسة ، وبعد هذا يأتى القساوسة إلىّ فيخبروننى أن أبنى يهذى بخرافات ؟ ألا تخجل ، ياسيد جالليو ؟

جالليـــو : (وهو يتناول طعام الافطار) : ياسيدة سارتى ! استناداً إلى أبحاثنا وبعد مناقشات حامية قمنا ، أندريا وأنا ، باكتشافات لانستطيع أن نستمر في أخفائها عن الناس . لقد بدأ عصر جديد ، عصر عظيم ، ماأمتع العيش فيه !

السيدة سارتى : هكذا ؟ وأرجو أن نتمكن من دفع المبالغ المستحقة علينا لبائع اللبن في عصرك الجديد هذا ، ياسيد جالليو . وأرجوك ألا تردّ الشاب كما فعلت مع الآخرين . انى أفكر في دفع ثمن اللبن . (تخرج)

جالليـــو : (ضاحكاً) دعنى على الأقل طوال المدة التى فيها أشربه . (مخاطبا أندريا :) إذاً فهمت بالأمس بعض الأشياء .

أندريـــا : لقد قلت هذا لها لأبهرها . ولكن المسألة ليست بهذه البساطة . الكرسى الذى كنت أجلس عليه، كل مافعلته هو أنك أدرته حول نفسه أفقيا ، وليس

هكذا . (يقوم بحركة الترجح بذراعه) والا لكُنْت سَقَطت . هذه هى الحقيقة . فلماذا لم تحرك الكرسى ورأسى إلى أسفل ؟ ذلك أن هذا سيكون برهانا على أننى أنا سأسقط من على الأرض اذا تحركت بهذه الكيفية . لقد وَقَعْتَ في مَأْزِق

جاليــو : لكنى برهنت لك . . .

أندريــا : نعم ، لكن في الليلة الماضية فكرت فوجدت أنه في هذه الحالة اذا دارت الأرض هكذا فان رأسى في الليل سيكون في أسفل . وهذه حقيقة .

جاليــو : (وقد أخذ تفاحة من فوق المنضدة) : لنفرض أن هذه هى الأرض .

أندريــا : لاتضرب أمثلة من هذا النوع ، ياسيد جاليو . فبها ستستطيع التخلص باستمرار .

جاليــو : (معيداً التفاحة إلى مكانها) : ليكن .

أندريــا : بواسطة الأمثلة يستطيع المرء التخلص ، مادام يحسن ضربها . والفارق هو أننى أنا لاأستطيع أن أجرر أمى على كرسى ، كما تفعل أنت معى . وهكذا ترى أن المثل ردىء . ثم ماذا يحدث ، اذا كانت تفاحتك هذه هى الأرض ؟ لاشىء يحدث أبداً .

جاليــو : (ضاحكا) : يظهر أنه لايهمك أن تعرف .

أندريــا : أَمْسك بالتفاحة مرة أخرى . كيف يتأتى ألا تكون رأسى إلى أسفل في أثناء الليل ؟

جاليـــو : لنفرض اذن أن هذه هى الأرض ، وأنك أنت هناك (يغرز في التفاحة شظية خشب أخذها من حطبة) والآن تدور الأرض .

أندريـــا : والآن رأسى منكوس .

جاليـــو : كيف ؟ انظر جيدا . أين الرأس ؟

أندريـــا : (وهو يشير إلى نقطة في التفاحة) : هناك ، في أسفل .

جاليـــو : كيف (يدير التفاحة في الأتجاه العكسى .) أليس في نفس المكان ؟ أوليست القدمان في أسفل ؟ أو هل أنا أقيمك منتصبا حينما أديرك ، هكذا ؟

(يسحب شظية الخشب من التفاحة ويديرها) .

أندريـــا : لا . لكن لماذا لاأحسّ بأى تقلب ؟

جاليـــو : لأنك تدور مع الأرض . أنت ، والهواء الذى فوقك ، وكل من على الكرة .

أندريـــا : ولكن لماذا يخيّل إلى المرء أن الشمس هى التى تدور؟

جاليـــو : (وهو يدير التفاحة من جديد بواسطة شظية الخشب المغروسة فيها) : اذن أنت ترى الأرض تحتك ، وهى كمـــا هى ، دائما في أسفل ، وبالنسبة اليك يبدو أنها لاتتحرك . لكن ، انظر الآن من فوقك الآن ، المصباح فوق رأسك، ولكن حينما أدرت التفاحة فما هو الشىء الذى فوق الرأس ، وبالتالى هو في أعلى ؟

اندريـــا : (مصاحبا الحركة) : الموقـــد .

جالليــو : والمصباح ، أين هو ؟

اندريــا : هذا عظيم ، هذا سيد هشها .

(يدخل لودفكو مرسيلي ، وهو شاب من أسرة موسرة)

جالليــو : هذا البيت مثل برج الحمام .

لودفكــو : صباح الخير يا سيدى. أنا اسمى لودفكو مرسيلي .

جالليــو : (وهو يتفحص خطاب التّوْصِية) : كُنْتَ في هولنده ؟

دفكــو : سمعت عنك كثيرا ياسيد جالليو .

جالليــو : لأسرتك أرض في كمبانيا

لودفكــو : تمنت أمي عليّ أن احتك بالدنيا ، ابتغاء رؤيــــة الأشياء الجديدة الخ .

جالليــو : وفي هولنده سمعتهم يقولون ان الجديد في ايطاليا مثلا هو أنا ؟

لودفكــو : ولما كانت امي تريد مني أن أحتك قليلا بالعلوم. .

جالليــو : دروس خصوصية : عشرون اسكودى في الشهر.

لودفكــو : حسن جدا يا سيدى .

جالليــو : بماذا تهتم ؟

لودفكــو : بالخيــل .

جالليــو : هيه ! هيه !

لودفكــو : رَأسي لم يخلق للعلوم ، يا سيدى جالليــو .

جاليـــو : هيه ! هيه ! في هـــذه الحالة تدفـــع خمسة عشر اسكودى .

لودفكـــو : حسن جدا ، يا سيد جاليـــو .

جاليـــو : لابد من أن يكون درسك في الصباح الباكـــــر . وستكون أنت الضحية ، يا اندريا . طبعا الدرس الخاص بك سيلغى . وأنت فاهم ، لأنك لاتدفع .

اندريـــا : حسن ، أنا ذاهب . هل أستطيع أخذ التفاحة ؟

جاليـــو : نعـــــم .

(اندريـــا يخـــرج)

لودفكـــو : معى يجب عليك أن تكون صبورا . الصعوبـــــة الكبرى هى أنه في العلوم لا شئ يجرى كما يشـــير به الفهم العليم . خذ مثلا تلك الأنبوبة الغريبة التى تباع في امستردام . لقد فحصتها بدقة . يدٌ منْ الجلد الأخضر وعدستان ، واحـــدة هكذا (يده ترسم عدسة مقعرة) ، والأخـــرى هكذا (يده ترسم عدسة محدبة) . ويقال ان الواحدة تكبر ، والأخرى تصغرّ . وأى انسان عاقل يتخيل أنهما تتعـــادلان . أبدا . فمن خلال هذا الجهاز يرى الشئ مكـــبرا خمس مرات . هذا هو العلم الذى تريده ، ياسيدى

جاليـــو : أى شئ يرى مكبرا خمس مرات ؟

لودفكـــو : ابراج نواقيس ، حمام . كل ما هو بعيد .

جاليـــو : هل رأيتها أنت بنفسك هذه الأبراج المكبرة ؟

لودفكـــو : بالتأكيد ، ياسيدى .

جاليلـــو : والأنبوبة فيها عدستان ؟ (يخطط رسما « كروياً » على ورقة) هكذا ؟ (لودفكو يوافق بهز رأسه) متى ظهر هذا الاختراع ؟

لودفكـــو : قبيل سفرى من هولنده بأيام قليلة ، على كل حال لم يظهر في السوق الا منذ وقت قصير .

جاليلـــو : (بشيء من التودد) : ولماذا علم الطبيعة بالذات؟ لماذا لا تدرس تربية الخيل ؟ (السيدة سارتى تدخل دون أن يراها جاليلو)

لودفكـــو : أمّى تقول ان قليلا من العلم لا غنى عنه — في هذه الأيام الناس جميعا يهتمون بالعلم .

جاليلـــو : يمكنك ان تتعلم لغـــة من اللغـــات القديمـــة ، أو اللاهوت : فهذا أسهل عليك(وقد تنبه الى وجود السيدة سارتى) : حسن ، تعال صباح الثلاثـــاء . (لودفكو يذهب) . لا تتطلعى فيّ هكذا . فقـــد وافقتُ على التدريس له .

السيدة سارتى : لأنك أَبْصَرْتنى في الوقت المناسب . ان مديـــر الجامعة ينتظرك في الخارج

جاليلـــو : دعيه يدخل . انه مهم . ربما أحصل على خمسمائة اسكودى . ، وفي هذه الحالة لن أكون في حاجة الى اعطاء دروس خصوصية . (السيدة ســـارتى تدعو المدير للدخول . ارتدى جاليلو كل ثيابـــه ، وهو يكتب بعض الأرقام على قطعة من الورق) صباح الخير . أقرضنى نصف اسكودى . (يعطى

السيدة سارتى قطعة النقود التى استخرجها مدير الجامعة من حافظة نقوده) . يا سيدتى سارتى ، ابعثى باندريا الى صاقل العدسات لاحضار عدستين. المقاييس هناك ، على هذه الورقة .

(السيدة سارتى تخرج ومعها الورقة)

المدير : أتيت للتحدث معك بشأن طلبك زيادة مرتبك الى ألف اسكوده . لكن يؤسفنى ألا أعطى الرأى بالموافقة للجامعة . أنت تعلم جيدا أن محاضرات الرياضيات لاتجتذب العدد الكبير الى الجامعة . هذه واقعة حقيقية . ذلك أن الرياضيات صناعة لاتوفر الكسب الكافي لصاحبها . وليس ذلك لأن الجمهورية لاتقيم لها وزنا كبيرا : فان الرياضيات وان لم تكن لاغنى عنها مثل الفلسفة ، ولا مفيدة مثل اللاهوت ، فانها تحقق لدارسها لذّات لاحدّ لها .

جاليو : (مكبا على أوراقه) : ياعزيزى ، أنا لا أستطيع أن أعيش بخمسمائة اسكودو .

المدير : لكن ، ياسيد جاليو ، أنت تلقى درسين في الاسبوع بمعدل ساعتين لكل درس . وشهرتك النادرة تخوّل لك الحصول على أى عدد من التلاميذ القادرين على دفع أثمان الدروس الخصوصية . ألا تلقى دروسا خصوصية ؟

جاليو : ياسيدى العزيز ، عندى الكثير جدا . اعطاء دروس

خصوصية ، دائما دروس، وأين اذن سأجد الوقت الكافي للاطلاع والافادة ؟ يا الهى ! لست كواحد من هؤلاء السادة الأساتذة في كلية الفلسفة ، هؤلاء الأذكياء . أنا غبيّ . لا أفهم شيئا في أى شيء . ولهذا فانني مضطر الى سد الثغرات في معلوماتي . لكن أين أجد الوقت لذلك ؟ وأين أجد الوقت للقيام بالأبحاث ؟ أنا ياسيدى يحتاج علمي الى مزيد من العلم . فيما يتعلق بالمشكلة الكبرى ليس لدينا حتى الآن غير فروض . وما نطالب به أنفسنا هو البراهين. فكيف السبيل الى أن أتقدم في هذا المجال ، اذا كنت مضطرا ، من أجل لقمة العيش ، أن أكرر لأى غبيّ عنده الوسيلة لدفع الثمن ، أن المتوازيات تلتقى عند النهاية ؟

المديـر : ينبغي ألا تنسى أنه اذا كانت جمهوريتنا ربما لاتدفع بنفس السخاء الذى يدفعه بعض الأمراء ، فانها في مقابل ذلك تضمن حرية البحث . ونحن في جامعة بادوا نسمح حتى للبروتستنت بالحضور كمستمعين ! ونعطيهم الدكتوراه . خذ مثلا الأستاذ كريمونيني Cremonini : ليس فقط نحن لم نسلمه لمحاكم التفتيش لما أن برهنوا لنا ، أقول برهنوا ياسيد جاليليو ، أنه كان يلقى بآراء مخالفة للايمان ، بل ورفعنا مرتبه، حتى في هولنده يعرفون عنا ذلك . البندقية هى الجمهورية التى لا قيمة فيها لمحاكم التفتيش . ولهذا الأمر قيمته بالنسبة اليك،

فأنت عالم فلك ، وبالتالى ميدان تخصصك من الميادين التى فيها مذهب الكنيسة لايعامل بالاحترام الواجب .

جاليـــو : والأستاذ جوردانو برونو Giordano Bruno ؟ لقد كان هنا ، وأنتم الذين أسلمتموه الى رومـا . لا لشئ الا لأنه نشر آراء كوبر نيكوس .

المديـــر : لا لأنه نشر آراء كوبر نيكوس هذا ، وهى مع ذلك آراء فاسدة ، ولكن لأنـه لم يكن من أهالى البندقية ، ولم يشغل أية وظيفة هنا . فدع اذن من أحرقوه في روما حيثُ هم . ولا أكتمك أنه على الرغم من الحرية التى تسود هنا ، فمن الأفضل لك ألا تذكر عاليا مثل هذا الاسم ، الذى حلت عليه اللعنة الصريحة للكنيسة . ولا هنا . لا. ولاهنا.

جاليـــو : حمايتكم لحريـة الفكر هذا أمـر جميل جـدا. وبفضل هذه الحجة ، وهى أن محاكم التفتيش تسيطر في الأماكن الأخرى وتحكم بالاحـراق، صار عندكم أساتذة أفاضل . أنتم تحمون من محاكم التفتيش ، لكنكم تدفعون أقل مما يدفـع الآخرون ، وبهذا توفرون .

المديـــر : هذا افك ، افك فاحش ! وماذا يفيدك أن يكون عندك كل الوقت للبحث ، اذا كان أى راهـب جاهل من رجال التفتيش يستطيع أن يمنع ويصادر أفكارك ؟ لا ورد بلاشوك ، ولا أمير بدون رهبان يا سيد جاليـــو .

جاليليو : وفيم تفيد حرية البحث ، اذا أعوز الفراغ للقيام بالبحث ؟ وماذا يصنع بالنتائج ؟ ألا تستطيع أن ترى هؤلاء السادة ، أعضاء المجلس الأعلى ، هذه الابحاث المتعلقة بقوانين سقوط الأجسام (يريه اضبارةمن الأوراق المخطوطة) وتسألهم : ألا تساوى هذه مزيدا من الاسكودات القليلة ؟

المدير : هذا يساوى الكثير جدا ، ياسيد جاليليو .

جاليليه : لا ، ليس الكثير جدا ، بل فقط خمسمائه اسكودو زيادةً ، ياسيدى العزيز .

المدير : يساوى أسكوديات ما يَدِرّ اسكوديات . اذا كنت تريد نقودا ، فعليك أن ترينا شيئا آخر . أما فيما يتعلق بالعلم الذى تريد بيعه ، فينبغى ألا تطلب عنه أكثر مما يَدِرّه على من يشتريه . خذ مثلا الفلسفة التى يبيعها الأستاذ كولومب في فيرنتسه : انها تدر على الأمير عشرة آلاف اسكوده على الأقل في العام الواحد . صحيح ان قوانينك الخاصة بسقوط الأجسام قد أثارت ضجة ، وفي براج وباريس الكل يصفقون لك بحماسة . لكن هؤلاء المصفقين لايدفعون لجامعة بادوا شيئا نظير ماتكلفها أنت . مصيبتك ، ياسيدجاليليو ، هى في تخصصك.

جاليليو : فاهم : السوق الحرة ، والبحث الحر . وبالجملة، السوق الحرة للبحث، أليس كذلك ؟

المدير : أوه ، ياسيد جاليليو ! كيف تتصور الأمور ! اسمح لى أن أقول لك انى لا أفهم تماما أجوبتك الساخرة

هذه . ولايتضح لى ماهو العيب في ازدهار تجارة جمهوريتنا .ولكنى ، وأنا مدير للجامعة منذسنوات طويلة، لاأسمح لنفسى بالكلام بهذه اللهجة عن البحث، هذه اللهجة ، وأسمح لى أن أقولها — غير اللائقة. (جاليو يلقى نظرة مضطربة على مكتبه) فكّر فيما يجرى في سائر أنحاء أيطاليا . فكّر في الاستبداد الذى يذلّ العلوم ويبكيها في كثير من المواطن. هناك يؤخذ جلد المجلدات العتيقة ليصنع منه سيور للسياط. هناك مايجب معرفته ليس هو كيف يسقط الحجر، ولكن ماذا قال أرسطو في هذا .والعيون فائدتها الوحيدة هى للقراءة . وفيم تفيد القوانين الجديدة الخاصة بسقوط الأجسام ، اذا كان الشىء الوحيد الذى يهم هو القوانين الخاصة بفن الركوع والانحناء؟ قارن بهذا كله السرور الذى لاحد له الذى به تستقبل جمهوريتنا آراءك، مهما تكن جريئة. لاأحد يراقبك ، ولاأحد يضطهدك . وتجارنا ـ وهم يعرفون، في المنافسة مع فيرنتسه ، أهمية تحسين نوع المنسوجات ـ يستمعون اليك باهتمام حين تعلن قائلا : « حسنوا علم الطبيعة » ويعرفون كم يدين علم الطبيعة لهذا التحسين لوسائل النسيج؟ ان البارزين من مواطنينا يهتمون بأبحاثك ويزورونك ويرحبون بالأطلاع على أكتشافاتك، مع أن وقتهم ثمين جدا . لاتحتقر التجارة ، ياسيد جاليو . لاأحد يسمح هنا بالتشويش عليك في

عملك، أو أن يخلق لك الصعوبات غير المختصين أعترف ياسيد جالليو بأنك تستطيع العمل ها هنا .

جاللیـــو : (يائسا) : نعم .

المديـــر : وفيما يتعلق بالجانب المادى ، عليك ان تبتكر لنا شيئا بديعا مثل فرجار التناسب الذى اخترعته ، والذى بفضله يمكن الانسان– دون أن تكون لديه أدنى فكرة عن الرياضيات – : (يعد على أصابعه) أن يرسم منحنيات ، وأن يحسب الفوائد المركبة لرأس المال بنسخ مستويات مساحية على مقياس رسم أصغر أو أكبر ،وأن يحدد وزن دانات المدافع .

جاللیـــو : هذه لعبة أطفال .

المديـــر : اختراعٌ أدهش كبار المواطنين ، ودرّ نقداً سائلا أتسميه لعبة أطفال؟ ! ولقد قيل لى إنه بهذه الآلة نفسها استطاع حتى الجنرال استفانو جريتى أن يستخرج الجذور التربيعية !

جاللیـــو : معجزة ، في الحقيقة يابريولى Priuli أنك جعلتنى أفكر . بريولى ، ربما عندى لك شىء من النوع الذى تتكلم عنه. (يأخذ من فوق المنضدة الورقة المرسوم فيها رسم كروكى)

المديـــر : صحيح؟ هذا سيرتب كل شىء (ينهض واقفا) نحن نعلم ،ياسيد جالليو ، أنك عقل ممتاز . ممتاز ولكنه غير راض أبدا ، إذا جاز لى هذا التعبير .

جاليليو : نعم أنا غير راض أبدا ، ولو فهمت الأمور ، لوجدت أن عدم الرضا هذا يستحق زيادة في المرتب . لأنى غير راض . . . عن نفسى ،، لكن بدلا من هذا ، تفعلون كل المطلوب من أجل أن يتحول عدم رضاى ضدكم . وأنا أعترف ، ياسادة البندقية ، أننى لست ساخطا على كونى واحدا في ترسانتكم الشهيرة وفي ورشكم البحرية ومصانع المدافع . لكنكم لا تتركون لى الوقت اللازم الكافي لعمل التأمل الذى يلحّ علىّ دائما ويجعلنى أتقدم في تخصصى نفسه . وتقيدون الثور الذى يدرس حبوب حقولكم . عمرى الآن ست وأربعون سنة ، ولم أحقق حتى الآن شيئا أرضاه لنفسى .

المدير : في هذه الحالة ، لا أود أن أضايقك أكثر .

جاليليو : شكرا .

(يذهب المدير . يبقى جاليليو وحده لحظات ويشرع في العمل. يدخل اندريا باندفاع)

جاليليو : (دون أن يقطع عمله) : لماذا لم تأكل التفاحة ؟

اندريا : بهذه أود أن أثبت لها أن الأرض تدور .

جاليليو : علىّ أن أقول لك شيئا يا اندريا : لاتتكلم عن أفكارنا مع الناس .

اندريا : لماذا ؟

جاليليو : السلطات لاتريد هذا .

~~جاليـــو~~ : لكن ، مادامت هذه هي الحقيقة ؟

جاليـــو : صحيح ، لكنها لاتريد . وفي مسألتنا هذه هنـــاك سبب آخر . فنحن ، علماء الطبيعة ، لسنا قادرين باستمرار على سوق البرهان على ما نعتقد أنه حق . وحتى نظرية كوبرنيكوس العظيم لم يبرهن عليهـــا بعد . انها مجرد فرض . أعطني العدسات .

اندريـــا : لم يَكْفِ نصفُ الاسكودى . فاضطررتُ أن أترك هناك معطفي رهْناً .

جاليـــو : وماذا تصنع في الشتاء بدون معطف ؟

(صمت . جاليو يرتب العدسات على الورقة التى فيها الرسم الكروكى)

اندريـــا : لكن ما هو الفرض ؟

جاليـــو : هو أن نقر بان شيئا محتمل ، لكن دون أن تكون لدينا الوقائع التى تثبته . خذ مثلا فيليشيا ، هنـــاك أمام دكان القفّاص ومعها طفلها يرضـــع : اذا قلنا انها تعطى الطفل لبنا ، لا أن الطفل هو الـــذى يعطيها اللبن ، فان هذا القول يظل فرضا طالمـــا لم نذهب الى هناك ونشاهد ونحصل على الدليل . وأمام النجوم نحن مثل دود الأرض ، بعيون ضعيفةلاترى الكثير . والنظريات القديمة التى اعتقد الناس صحتها طوال ألف عام ، هى على استعداد للانهيـــار ، وفي هذه الأبنية الهائلة من الخشب أقل مما في السواند

المفروض فيها أنها تسندها . كميات من القوانين لتفسير القليل جدا من الأشياء ، بينما الفرض الجديد لا يتضمن غير قليل من القوانين لتفسير كميات من الأشياء .

اندريا : لكنك برهنت لى على كل شئ .

جاليليو : لقد أثبت فقط أن هذا ممكن . الفرض جميل ، ولا شئ ضده .

اندريا : وأنا أيضا ، ياسيد جاليليو ، أريد فيما بعد أن أصبح عالم طبيعة .

جاليليو : أعتقد هذا ، خصوصا وهناك مسائل عديدة جدا يجب إيضاحها في ميداننا هذا . (ذهب الى النافذة ونظر من خلال العدسات . ودون حماسة كبيرة قال :) انظر قليلا في هذا ، يا أندريا .

اندريا : ياللعذراء مريم المقدسة ! كل الأشياء تقترب. برج الناقوس يرى قريبا جدا . وفي وسعى أن أقرأ الحروف على النحاس : « الحمد لله » .

جاليليو : هذا يساوى خمسمائة اسكودى بالنسبة الينا .

★ ★ ★

(٢)

(جاليليو يهدى إلى جمهورية البندقية اختراعا جديدا)

ما كل ما فعل العظيم عظيما
جاليليو يأكل وافـــراً مسرورا
والآن إسْمع ،واطرحْ كلّ الغضب
اسْمَع حقيقة آلــة المقــراب

الترسانة الكبرى في ميناء البندقية .

أعضاء المجلس ، وعلى رأسهم الدوج . وفي ناحيته يقف سجريدو ، صديق جاليليو ، وفرجينيا جاليلاى ، وعمرها ١٥ سنة ، تحمل مخدة من المخمل عليها عدسة طولها حوالى ٦٠ سنتيمتراً ، موضوعة فـــى غلاف من الجلد الأحمر الغامق . جاليليو واقف على منصة . وخلفـــه حامل العدسة ، وبالقرب منه صاقل العدسات فدرتسونى مشغول).

جاليـــو : صاحب السعادة ، أيها المجلس النبيل . منذ قيامى بتدريس الرياضيات في جامعتكم ، جامعة بادوا ، وادارتى لترسانتكم الكبيرة في مدينة البندقية هذه ، كنت أحسب من واجبي ليس فقـــط أن أؤدى مهمتى الجامعية النبيلة بأمانة واخلاص ، بل وأيضاً ، أن أهيىء لجمهورية البندقية الوقور أرباحا غـــير عادية بفضل اختراعات مفيدة. وفي وسعى اليوم ، والسرور يغمر نفسى ، وبكل الاحترام الواجب لكم ، أن أعرض عليكم آلة جديدة تماما ، هى

المقراب (التلسكوب) وقد حققتها في ترسانتكم الشهيرة وفقا للمبادىء العليا لعلم الطبيعة والايمان المسيحي. وهي ثمرة سبعة عشر عاما من الأبحاث المتصلة التي قام بها مَنْ يُشَرّفه أن يكون خادمكم المتواضع جدا والمخلص جدا. (جاليليو يترك المنبر، ويأتي إلى قرب سجريدو. تصفيق).

(جاليليو ينحني لسجريدو هامسا) : إني أضيّع وقتي!

سجريدو : (بصوت خفيض) ياصاحبي، سيكون في مقدورك أن تدفع ما عليك للجزار.

جاليليو : صحيح، هذا سيجلب لهم نقودا.

(يحييّ من جديد)

المدير : (وهو يرتقي المنصة) صاحب السعادة، أيها المجلس النبيل! مرة أخرى تكتب صفحة من المجد في سجل الفنون والصناعات بأحرف خطتها يد بندقية. (تصفيق مهذب) عالم مشهور في العالم كله يهدى اليكم، واليكم وحدكم، أنبوبة رائجة البيع جدا، لتنتجوا منها وتلقوا بانتاجكم في السوق كما تشاءون. (تصفيق أشد). وهل لاحظتم أنه في وقت الحرب سنستطيع، بفضل هذه الآلة، أن نعرف أنباء سفن العدو: عددَها ونوعها، نعرفها أسبق من معرفتهم لسفننا بساعتين، حتى أننا وقد عرفنا قواتهم نستطيع أن نقرر هل نطاردهم، أو نخوض معركة معهم،

أو نهرب مِنْهم . (تصفيق حــاد) . والآن ، ياصاحب السعادة ، ويا أيها المجلس النبيل ، ان السيد جالليو يلتمس منكم أن تتفضلوا بقبول هذه الآلة التى اخترعها ، والتى تشهد بعبقريته ، قبولها من يدى ابنته الجميلة .

(موسيقى . فرجينيا تتقدم ، وتنحنى ، وتعطــى المدير المقراب ، وهذا بدوره يقدمه لفدرتسونى . وفدرتسونى يضعه على الحامل ويصوبه . والدوج وأعضاء المجلس يصعدون على المنصة وينظــرون من خلال المقراب) .

جالليــو : (بصوت خفيض) لا أستطيع أن أعدك بتحمــل هذه الألاعيب حتى النهاية . انظر اليهم : انهــم يعتقدون أنهم تلقوا ألعوبــة صغيرة ستدر عليهم أرباحا طائلة ، ان الأمر أهم بكثير . هذه الأنبوبة ، في الليلة الماضية ، صوبتها نحو القمر .

سجريــدو : وماذا رأيت ؟

جالليــو : القمر لا يضيء بنفسه .

سجريــدو : كيــف ؟

المستشارون : ياسيد جالليو ، انني أستطيع أن أرى تحصينــات سنتاروزيتا Santa Rosita هناك ، على السفينة ، يتناولون وجبة الغذاء . سمك مقلى . هذا يسيل لعابى .

جالليــو : أقول لك ان علم الفلك توقف منذ ألف سنة بسبب

عدم وجود عدسات.

عضو في المجلس : السيد جاليليو !

سجريـــدو : الكلام موجه اليك .

عضو في المجلس : يمكن المرء أن يبصر جيدا بواسطة هذا الجهاز . وعليّ أن أقول لأهلى أن يَكُفّوا بعد الآن عن الاستحمام فوق السطح.

جاليليـــو : هل تعرف مم يتكون نهر المجرّة ؟

سجريـــدو : لا .

جاليليـــو : أنا أعــرف.

عضو في المجلس : جهاز مثل هذا ، ياسيد جاليليو، يمكن أن يطلب المرء فيه عشرة اسكودى.

(جاليليو ينحنى)

فرجينيـــا : (مقتادة لودفكو إلى أبيها) يا أبى ، لودفكو يودّ أن يهنئك.

لودفكـــو : (بتلعثم وحَرَج) تهانىّ ، ياسيدى.

جاليليـــو : لقد أصلحته .

لودفكـــو : بالتأكيد ، ياسيدى ! لقد لاحظت أنك طليت الغلاف بالأحمر . في هولنده ، كان أخضر .

جاليليـــو : (ملتفتا إلى سجريدو) وانى أسائل نفسى عما إذا كنت أستطيع أن أبرهن ، بواسطة هذا الجهاز ، على صحة نظرية معينة .

سجريـــدو : فَكِّرْ فيما تقول .

المديــر : ياجاليليو ! الخمسمائة اسكوده صارت في جيبك .

جاليليــو : (دون أن يوجه انتباهه اليه) طبعا ، أنا محتــاط جدا من الوصول إلى نتيجة سابقة على الأوان.

(الدوج ، رجل بدين متواضع ، يقترب، وبهيبة متلعثمة يحاول أن يوجه اليه الكلام).

المديــر : ياسيد جاليليو ، صاحب السعادة الدوج.

(الدوج يصافح بشدة كف جاليليو)

جاليليــو : صحيح، الخمسمائة اسكوده . اذن هم راضون ياصاحب السعادة ؟

الــدوج : من المحزن في جمهوريتنا أنه يجب مع شيوخنــا المتحوطين أن يقدم لهم حجة قبل أن نستطيع أن ندس لعلمائنا بعض المنح .

المديــر : ومن ناحية أخرى، ياسيد جاليليو ، ماذا تريــد لمزيد من التشجيع وحفز الهمة؟

الــدوج : (بابتسامة) لابد لنا من حجة.

(الدوج والمدير يقتادان جاليليو إلى أعضاء المجلس، الذين يحاصرونه. أما فرجينيا ولودفكو فيبتعدان ببطء).

فرجينيــا : هل فعلت كما ينبغى؟

لودفــكو : نعم ، كما ينبغى ، في نظرى .

فرجينيــا : ماذا جرى لك؟

لودفــكو : أوه ! لا شيء! ربما كان الغلاف الأخضر يؤدى نفس الغرض.

فرجينيــا : أعتقد أنهم جميعا راضون عن والدى.

لودفــكو : وأنا أعتقد أننى بدأت أفهم شيئا في علم الطبيعة.

★★★

(٣)

(١٠ ينايـــر سنة ١٦١٠ : بـــواسطة المقراب، يكتشف جاليليو في السماء ظواهر تبرهن على صحة نظرية كوبرنيكوس. صديقه يحذره من نتائـــج أبحاثه ، ولكن جاليليو يؤمن بالعقل الانسانى وقدراته .

في العاشر من يناير
عام ألف وستمائة وعشر
اكتشف جاليليو
أن السماء غير موجودة

مكتب جاليليو في بادوا. الوقت ليل . جاليـــو وسجريدو وهما ملفوفان بمعاطف ثقيلة ، بالقرب من المقراب)

سجريـــدو : (وهو ينظر من خلال المقراب بصوت خفيض)

الحافة الداخلية للهلال غير منتظمة ، مسننة ، مملوءة بالنتوءات . وفي الجانب المظلم ، بالقرب من الحافة المضيئة ، توجد نقط ضوئية. تظهر الواحـــدة بعد الأخرى . وابتداء من هذه النقط ، ينتشر الضوء، وينبسط على سطوح تزداد اتساعا ، حيث تلحق بالمسطح المضيء الكبير.

جاليـــو : كيف تفسرّ نقط الضوء هذه؟

سجريـــدو : هذا غير ممكن .

جاليــو : نعم ، هذه جبال.

سجريــدو : جبال فوق نجم !

جاليــو : جبال هائلة ، قِمَمها ذَهّبَتْها الشمسُ المشرقة، بينما حولها لا يزال الليل يلقى ظلامه على السفوح. ما تراه هو الضوء الذى ينزل من أعلى القمم إلى عمق الأودية.

سجريــدو : لكن هذا يتناقض مع عشرين قرنا من علم الفلك!

جاليــو : تماما . ما تراه لم يره أحد من قبــل ، غيرى أنا . وأنت ثانى إنسان .

سجريــدو : لكن من المستحيل أن يكون القمر أرضاً ذات جبال وأودية ، كما أنه من المستحيل أن تكون الأرض نجمــاً .

جاليــو : من الممكن أن يكون القمر أرضــا ذات جبــال وأودية ، ومن الممكن أن تكون الأرض نجما: مجرد جرم سماوى، بين آلاف الأجرام ، ولا شيء أكثر من هذا . هل أنت ترى الجزء المظلم مظلما تماما؟

سجريــدو : كلا . الآن وقد ركزت انتباهى فانى أرى فيــه ضوءا ضعيفا ، ضوءا رماديا .

جاليــو : وهذا الضوء ماذا عسى أن يكون ؟

سجريــدو : ؟

جاليــو : انه قادم من الأرض .

سجريدو : غير معقول . كيف يتأتى للأرض أن تكون مضيئة ، بجبالها وغاباتها وأنهارها ، وهي جسم بارد ؟

جاليليو : بنفس الطريقة التي بها القمر مضيء . لما كان كلا الكوكبين مضيئا بالشمس ، فهذا يجعلهما مضيئين وما القمر بالنسبة الينا الا كما نحن بالنسبة الى القمر . والقمر يرانا أحيانا على هيئة هلال ، وأحيانا نصف دائرة ، وأحيانا دائرة كاملة ، وأحيانا لا يرانا أبدا .

سجريدو : اذن لا فارق بين القمر والأرض ؟

جاليليو : لا فارق ، كما يظهر .

سجريدو : منذ أقل من عشر سنوات ، أُحرِق رجل في روما . وكان اسمه جوردانو برونو ، وكان هذا تماما هو ما قرره .

جاليليو : بالتأكيد . ونحن نرى الأمر بوضوح . ركز عينك في العدسة ، يا سجريدو ، ما تراه هو أنه لا فرق بين السماء والأرض . نحن اليوم في العاشر من يناير سنة ١٦١٠ . والانسانية سجّلت في سجلّها : « اليوم حذفنا السماء » .

سجريدو : هذا مخيف .

جاليليو : لقد اكتشفتُ شيئا آخر ، شيئا ربما كان أكثر اثارة للدهشة .

السيدة سارتي : (وهي تدخل) : المدير !

(المدير يدخل في لهفة)

المديـــر : معذرة عن المجئ في ساعة متأخرة . سأكون ممتنا إذا استطعتُ الكلام معك وحدك .

جالليـــو : يا سيد بريولى ، كل ما أستطيع سماعه يستطيع السيد سجريدو أيضا سماعه .

المديـــر : ربما لايسرك أن يسمع هذا السيد الحكاية . انـــه لأمر مع الأسف لايمكن أبدا تصديقه .

جالليـــو : اعلم أنه حين يكون السيد سجريدو معى فانه متعود على سماع أمور لايمكن تصديقها .

المديـــر : أنا خائف من الأمر ، خائف تماما . (وهو يشير الى المقراب :) هذا هو الجهاز اياه ! هذا الجهـــاز تستطيع أن تلقى به في المهملات . لافائدة منه ، أبداً .

سجريـــدو : (وكان يتمشى باضطراب محموم) : وكيف ؟

المديـــر : هل تعرف أن اختراعك هذا المزعوم ، الـــذى قدمته على أنه ثمرة سبعة عشر عاما من البحـ ث ، يمكن شراؤه باسكوديات قليلة في كل أنحـــاء ايطاليا ؟ وفوق هذا ، هو مصنوع في هولنده . وفي هذا الوقت بالذات هناك سفينة هولندية تفـــرغ في الميناء مجموعة من خمسمائة وحدة من جهازك هذا .

جاللیـــو : صحيـــح ؟

المديـــر : أنا لا أفهم السر في هدوئك يا سيدى .

سجريـــدو : ماذا يحزنك ؟ اعلم أن السيد جالليو قد استطاع بهذا الجهاز أن يكتشف في هذه الأيام اكتشافات عن عالم النجوم ستقلب كل شيء .

جاليليو : (ضاحكا) : يمكنك أن تنظر ، يا بريولى .

المدير : اذن فلتعلم أن اكتشافي يكفيني : أنا الذى وافقت على مضاعفة مرتب السيد الجليل جاليليو ، من أجل هذه القطعة من الحديد الخردة . والسادة أعضاء المجلس ، الذين اعتقدوا أنهم بهذه الآلة قد أمّنوا للجمهورية امتلاك شيء لايمكن صناعته الا هنا ، ويمكنهم اذا نظروا فيها أن يشاهدوا بائعا جوالا بسيطا مكبرا سبع مرات وهو يبيع في أقرب زواية من الشارع ، هذه الأنبوبة نفسها تباع بما يساوى ثمن قطعة من الخبز .

(جاليليو يضحك ضحكة رنانة)

سجريدو : يا سيدى بريولى العزيز ، لاشك في أننى لا أستطيع الحكم الصحيح على القيمة التجارية لهذه الآلة ، لكن قيمتها بالنسبة الى الفلسفة كبيرة جدا الى حد..

المدير : بالنسبة الى الفلسفة ! وما شأن السيد جاليليو بالفلسفة ، وهو عالم رياضيات ؟ يا سيد جاليليو ؟ لقد اخترعت منذ مدة للمدينة مضخة ماء جيدة ، وجهاز الرىّ هذا يعمل بكفاية تامة . والنساجون هم الآخرون لايتحدثون عن ماكينتك هذه الا بكل خير . فكيف كنتُ أتوقع منك مثل هذه الضربة؟

جاليليو : رفقا ، يابريولى . ان الطرق البحرية لاتزال بطيئة ، قليلة الأمان ، وغالية التكاليف . ويعوزنا نوع من الساعات في السماء ، يمكن الاعتماد عليه ، من أجل تبيين الطريق للسفن . وعندى من الأسباب

ما يجعلني أفترض أنه بفضل هذا المقراب يمكن رصد بعض النجوم ذوات الحركات المنتظمة جدا . خرائط جديدة للسماء ، يابريولى ، ستوفر للملاحة الملايين من الاسكوديات .

المديـــر : كفى ، كفى . كفانى أنى سمعت كلامك مرة أكثر مما ينبغى . وبدلا من أن تشكر لى فضلى جعلت منى هُزْأةَ المدينة . وستبقى ذكراى عند الناس ذكرى مدير احتيل عليه بعدسة هى سلعة رديئة . لك الحق في أن تضحك ! أنت ، لقد حصلت على الخمسمائة اسكودى التى طالبت بها . أما عن نفسى فانى أستطيع أن أقول لك ، ومن يقول لك هذا هو رجل شريف : ان العالم الذى أعيش فيه يثير في نفسى الاشمئزاز .

(يخرج قارعاً الباب من خلفه)

جاليليـــو : في غضبه يصير شِبْه لطيفٍ . هل سمعتَ : عالَمٌ يستحيل فيه عقد صفقات مادية ، هذا العالم يثير في نفسه الاشمئزاز !

سجريـــدو : هل كنت على علم بهذه الالآت الهولندية ؟

جاليليـــو : نعم ، بالسماع . لكنى صنعت لهؤلاء الأشخاص أعضاء المجلس الأعلى آلة أفضل بعشر مرات . كيف يمكننى أن أشتغل ، والمُحْضِر في غرفتى ؟ وفرجينيا ، وقد آن الأوان لاعداد جهازها ، انها قليلة الحظ من الذكاء . ثم انى أحب شراء الكتب ، وليس فقط في علم الطبيعة . كما أنى أحب الأكل

الجيد . ففى أثناء الطعام الجيد تنثال علىّ الأفكارُ . ياله من عصر فاسد ! إنهم لم يعطونى حتّى مقدار ما يعطونه الحوذى الذى ينقل براميل الخمـــر . أربعة أحمال حطب وقوداً من أجل دروس لمدة ساعتين أسبوعيــا في الرياضيات ! والآن قـــد انتزعت منهم خمسمائة اسكودى ، لكن بقيت علىّ ديون مطلوبٌ دفعها ، بعضُها مستحق من عشرين سنة . كل ما أريده هو خمس سنـــوات من الهدوء للقيام بأبحاثى . وحينئذ سأحصل على كل البراهين ، أود أن أريك شيئا آخر .

سجريـــدو : (وهو يتردد في الاقتراب من المقراب) ياجالليو ، أشعر بما يشبه الخوف .

جالليـــو : سأريك الآن واحدا من هذه الضبابات الـــلامعة اللبنية التى تكوّن المجرةّ . قل لى ، من أى شىء تتكون ؟

سجريـــدو : من نجوم ، يستحيل احصاؤها .

جالليـــو : فقط في كوكبة الجوزاء يوجد خمسمائة نجم ثابت. هذه هى العوالم العديدة ، العوالم التى لا حصر لها ، والنجوم البعيدة التى تكلم عنها هذا الذى أحرقوه . انه لم يرها ، ولكنه توقعها .

سجريـــدو : لكن حتى لو فرضنا أن هذه الأرض التى نحن عليها هى كوكب ، فاننا لا نزال بعيدين عن أقـــوال كوبرنيكوس الذى يرى أنها تدور حول الشمس . اذ لا يوجد في السماء كوكب يدور حول كوكب

آخر . لكن، بحسب علمي، حول الأرض يـــدور القمـــر .

جاليـــو : انى أسائل نفسى ، ياسجريدو . منذ أمس وأنـــا أسائل نفسى . خذ المشترى (يصوّب المقراب) هناك بالقرب منه أربعة نجوم أصغر منه لا يمـــكن رؤيتها إلا بالمقراب . شاهدتها يوم الاثنين ، لكن دون أن التفت إلى مواقعها . وبالأمس عـــاودت النظر اليها . وكان في وسعى أن أقسم على أن النجوم الأربعة غيرّت مواقعها . سحبت مواقعها . فتغيرت مواقعها أيضا . ماذا يحدث ؟ ومع ذلك رأيـــت أربعة .

(بدهشة كبيرة) : انظر ، وقل لى .

سجريـــدو : أرى ثلاثة .

جاليـــو : أين الرابع اذن ؟ هذه هى الرسوم . لابد أن نحسب الحركات التى قامت بها .

(يجلسان في اهتياج شديد ويأخذان في العمـــل . المسرح يصبح مظلما ، لكن لا يزال يشاهد في الأفق المشترى وتوابعه . وحينما يضاء من جديد ، يُرَى الرجلان لا يزالان جالسين . وهما يلبسان معاطف شتوية) .

جاليـــو : تم البرهان . الامكان الوحيد هو أن النجم الرابع انتقل إلى الجانب الآخر من المشترى بحيث لم يعد مرئيا . وهكذا لديك كوكب يدور حول كوكب آخر .

سجريــدو : والغلاف البلّوري الذى يوجد فيه المشترى ؟

جالليــو : صحيــح ، أين هو الآن ؟ في أى شيء يوجــد المشترى ، إذا كانت هناك نجوم أخرى تــدور حوله ؟ ليس في السماء نقطة ارتكاز وليس في الكون مرساة ! لدينا شمس جديدة .

سجريــدو : هدّئ نفسك ! أنت تتعجل البرهنة .

جالليــو : كيف أتعجل ؟ تحمس ! فان ما تراه هناك لم يره أحد من قبل . لقد كانوا على صواب .

سجريــدو : من ؟ أنصار كوبرنيكوس ؟

جالليــو : وكذلك الرجل الآخر . العالم كله كان ضدهــما ، وهما اللذان كانا على صواب . هذا شيء من أجل اندريا . (في حماســة شديدة يهــرع إلى الباب ويصرخ صائحا) : سيدة سارتى ! سيدة سارتى !

سجريــدو : ياجاالليو ، هدئ روعك .

جالليــو : ياسجريدو ، تحمس . سيدة سارتى !

سجريــدو : (مزيحا المقراب) ألا تتوقف عن النهيق عاليــا كالمجانين ؟

جالليــو : وأنت ألا تتوقف عن القبوع هناك كالحطبــة ، في الوقت الذى فيه انكشفت الحقيقة ؟

سجريــدو : لست قابعا كالحطبة ، بل أنا أهتز من فكرة أن هذه ربما كانت الحقيقة .

جالليــو : مــاذا ؟

سجريدو : هل فقدت كل عقلك ؟ هل صرت عاجزا عن فهم ما تخاطر بالوقوع فيه لو صح ما ترى ، ولو رحت تصيح في كل مكان أن الأرض جرم سماوى ، وليس مركز العالم ؟

جاليليو : نعم ، وأنه ليس كل هذا الكون الهائل ، بكل أجرامه السماوية ، هو الذى يدور حول أرضنا الصغيرة جدا ، كما كان الكل يعتقدون .

سجريدو : وإذن ليس هناك غير أجرام سماوية ! — إذن أين الله ؟

جاليليو : ماذا تريد أن تقول ؟

سجريدو : والله ؟ أين الله ؟

جاليليو : (غاضبا) انه ليس هناك في أعلى ، على كل حال ! لن نعثر عليه هناك في أعلى ، كما أن الناس الذين في أعلى لن يجدوه ها هنا .

سجريدو : وفي هذه الحالة ، أين الله ؟

جاليليو : هل أنا لاهوتى ؟ أنا رياضى .

سجريدو : قبل كل شيء ، أنت انسان . وأنا أسألك : أين الله في نظامك هذا ؟

جاليليو : في داخل نفوسنا ، أو ليس في أىّ مكان .

سجريدو : (صائحا) مثل ما قال ذلك الذى أحرقوه ؟

جاليليو : نعم ، كما قال ذلك الذى أحرقوه .

سجريــدو : انهم أحرقوه لهذا السبب عينه ، منذ أقل من عشر سنوات !

جاليــو : لأنه لم يقدم الدليل . كان يقرر فقــط . ياسيدة سارتى !

سجريــدو : جاليو ، لقد عرفتك دائما رجلا ماكرا . طوال سبع عشرة سنة في بادوا وثلاث سنوات في بيزا كنت تدرس ، دون تبرّم — لمئات التلاميذ نظام بطلميوس الذى أعلنته الكنيسة وأيده الكتاب المقدس الذى هو أساس الكنيسة . لقد كنت ترى هــذا النظام زائفا ، متفقا في ذلك مع كوبرنيكوس ، وبالرغم من هذا كنت تقوم بتدريسه .

جاليــو : لأنه لم يكن عندى أدلة .

سجريــدو : (غير مقتنع) وهل تظن أن هذا يحدث فرقا ؟

جاليــو : فرق هائل جدا . أنت ترى ، ياسجريدو ، أننى أثق بالانسان ، ومعنى هذا أننى أثق بعقله . وبدون هذه الثقة لن تكون لدىّ القدرةُ على النهــوض في الصباح من فراشى .

سجريــدو : أما أنا فأقول لك عن نفسى : اننى لا أثق . أربعون عاما قضيتها بين الناس قد جعلتنى دائما أتبين أنهم لا يستمعون لصوت العقل . أرهِم الذّنب الأحمر لنجم مُذَنَّب ، وأثِرْ فيهم جزعــا صامتا — تجدهم يقفزون من النافذة ويكسرون سيقانهــم . لكن قل لهم شيئا معقولا ، وسق لهم عــشرات البراهين ، تجدهم يسخرون منك .

جاليـــو : هذا خطأ فاحش ، وافتراء . ولا أفهم ، وأنت تعتقد هذا الاعتقاد ، كيف تستطيع أن تحب العلم . الموتى وحدهم هم الذين لا تؤثر فيهم الـــبراهين والأدلة .

سجريـــدو : كيف تخلط بين خبثهم المثير للشفقة وبين العقل ؟

جاليـــو : أنا لا أتكلم عن خبثهم ودهائهم . أنا أعلم جيدا أنهم يسمون الحمار فرسا حين يريدون بيعـــه ، ويسمون الفرس حمارا حين يريدون شراءه : هذا هو كل خبثهم . أما العجوز التى تعطى البغـــل حزمة زائدة من العلف بيدها الخشنة عشية السفر ، والملاح الذى يتوقع حدوث العاصفة والســـكون الساكن ، حينما يشترى الزاد للسفينة ، والطفـــل الذى يكبس طاقيته حين يشار له بأن المطرسيسقط — هؤلاء الناس هم أملى ، انهم عقلاء . نعم ، لدىَّ ثقة في الضغط الرقيق الذى يمارسه العقل عـــلى الناس . وبمرور الزمن لا يملكون شيئا ضده . لن يسكت أحد (يرمى بحصاة فتسقط على الأرض) إذا سقطت الحصاة وقلت : انها لم تسقط . لا لن يستطيع أحد ذلك ، أن الاغراء الصادر عن برهان لا يمكن أن يقاوم . الكل تقريبا لابد أن يسلموا بـــه في نهاية الأمر . ان التفكير يؤلف جزءا من أكبر اللذات التى يستشعرها الجنس البشرى .

السيدة سارتى : (وهى تدخل) هل أنت في حاجة إلى شىء ، ياسيد جاليو ؟

جاليـــو : (وقد عاد إلى المقراب وأخذ يسجل ملاحظات ، بلهجة ودية للغاية) : نعم ، أنا في حاجة إلى اندريا .

السيدة سارتي : اندريا ؟ هو في فراشه بسبيل النوم .

جاليـــو : ألا تستطيعين ايقاظه ؟

السيدة سارتي : لكن ماذا تريد منه ؟

جاليـــو : أريد أن أطلعه على شيء يسره . سيرى شيئا لم يره إنسان من قبل ، منذ أن وجدت الأرض ، فيمـــا عدانا نحن الاثنين .

السيدة سارتي : لابد أنه شيء مما يرى بأنبوبتك هذه .

جاليـــو : تماما . بأنبوبتي . ياسيدة سارتي .

السيدة سارتي : ومن أجل هذا عليّ أن أوقظه في جنح الليل ؟ هل أنت مجنون ؟ انه في حاجة الى الليل لينام . أمـــا أن أوقظه ، فهذا مستحيل .

جاليـــو : صحيح ؟

السيدة سارتي : أبدا

جاليـــو : في هذه الحالة ، يـــاسيدة سارتي ، ربما تستطيعين أنت أن تساعديني . لقد وقعنا على مسألة لم نصـــل فيها الى اتفاق ، ربما لأننا قرأنا الكثير من الكتب . مسألة تتعلق بالسماء ، مسألة تتعلق بالنجوم . وها هي ذي : ما هو الأكثر احتمالا : أن يدور الشيء الكبير حول الصغير ، او الصغير حول الكبير ؟

السيدة سارتي : (بتشكك) : معك ياسيد جاليو لايشعر المـــرء أبدا باطمئنان. هل هذا سؤال جاد ، أو تريد فقط

أن تسخر مني ؟

جاليـــو : المسألة جـــد .

السيدة سارتي : اذن فخذ الجواب في الحال . هل أنت الذى تقدم لى الطعام ، أو أنا الذى أقدم لك الطعام ؟

جاليـــو : أنت التي تقدّمين الى ّطعامى . وبالأمس كان شائطا.

السيدة سارتي : ولماذا كان شائطا ؟ لأنك ألزمتني باحضار حذائك حينما كنت مشغولة بطهى الطعام . ألم أحضر لك حذاءك ؟

جاليـــو : ممكـــن .

السيدة سارتي : من بين كلينا أنت الذى درست ويمكن أن تدفـــع الأجرة للآخـــر .

جاليـــو : فاهم ، فاهم ، هذا ليس صعبا . صباح الخـــير ياسيدة سارتي . (السيدة سارتي تخرج مبتهجة) . وبعد هذا يقال ان ناسا مثلها لا يستطيعون ادراك الحقيقة ؟ انهم متعطشون لها كأنها خبز جيـــــد . (ناقوس يبدأ في الدق معلنا عن القداس الأول . تدخل فرجينيا متدثرة بمعطف وفي يدها مصباح) .

فرجينيـــا : صباح الخير ، يا أبي .

جاليـــو : لمـــاذا استيقظت ؟

فرجينيـــا : أنا ذاهبة مع السيدة سارتي لحضور قداس الساعة السادسة صباحا . ولودفكو سيذهب أيضا . هـــل كانت الليلة حسنة ياوالدى ؟

جاليـــو : كانت صافية .

فرجينيا : هل يمكنني النظر فيه ؟

جاليليو : لماذا ؟ (فرجينيا لا تعرف بماذا تجيب) . هذه ليست لعبة .

فرجينيا : لا ، يا والدي .

جاليليو : ثم ان هذه الانبوبة خدعة كبيرة ، هكذا ستسمعين الناس يقولون في كل مكان . انها تباع في الشارع بثلاثة اسكوديات ، وقد سبق اختراعها في هولنده.

فرجينيا : ألم تطلعك على شيء جديد في السماء ؟

جاليليو : لاشيء يشوقك . مجرد بقع صغيرة غامضة على يسار نجم كبير ، ولابد لى من أن أجد الوسيلة للفت النظر اليها . (وهو يتحدث الى سجريدو من فوق رأس فرجينيا) . أستطيع أن أسميها الكواكب المدتشية ، باسم الدوق الكبير في فيرنتسه . (مخاطبا فرجينيا :) قد يهمك يافرجينيا أن تعلمى أننا راحلون الى فيرنتسه . كتبت رسالة الى هناك أسأل فيها هل لدى الدوق الكبير وظيفة من أجلى ، رياضياً في البلاط .

فرجينيا : (مبتهجة) : في البلاط ؟

سجريدو : جاليليو !

جاليليو : ياصديقى ، أنا في حاجة الى الفراغ ، أنا في حاجة الى براهين . وأريد نصيبي من صحن العدس . في هذا المنصب لن أعود في حاجة الى تكرار نظام بطلميوس في دروس خصوصية . سيكون عندى

الوقت ، الوقت لنفسى ، ياسجريدو ، من أجل تحرير براهيني . لأن ماعندى حتى الآن غير كاف . لاقيمة له ، مجرد أعمال غير منسقة ، لا أستطيع بها أن أتقدم الى العالم . لم أعثر بعد على أى برهان ، على أن ثم جرما سماويا يدور حول الشمس . لكنى سآتى بالبراهين ، البراهين التى ستفرض نفسها على كل الناس ، من الأم سارتى حتى البابا على عرشه . الشئ الوحيد الذى يقلقنى هو أن البلاط لا يعطينى منصبا .

فرجينيا : من المؤكد أنك ستُعْطَى منصبا ، يا أبى ! مع النجوم الجديدة والباتى !

جاليليو : اذهبى لحضور القداس . (فرجينيا تخرج) . من النادر أن أكتب الى شخصيات كبيرة . أتظن أننى أحسنت ؟

(يعطى الرسالة الى سجريدو)

سجريدو : (يقرأ — بصوت عال — نهاية الرسالة التى أعطاه اياها جاليليو) : « . . . اذليس أعز عندى من أن أكون بقربكم ، يامن شمسه البازغة ستكون نور الدنيا بأسرها ». الدوق الكبير عمره تسع سنوات.

جاليليو : تماما . يبدو لى أنك تجد رسالتى مليئة بالتذلل . وأنا على العكس من ذلك أسائل نفسى هل فيها من التذلل ما ينبغى ، وعما إذا كان فيها تحفظ ، وكأنه يعوزنى الاخلاص الكافي . مَنْ برهن على نظرية أرسطو له الحق في أن يستخدم أسلوبا متحفظا

أما أنا ، فلا . بل لابد لرجل مثلي أن يزحف على بطنه ليصل إلى مكانة محترمة . وأنت تعلم جيـــدا أنني أحتقر أولئك الذين لاتستطيع عقولهم أن تملأ بطونهم .

(السيدة سارتى وفرجينيا تمران بالقرب منهمـــا دون أن تتوقفا وهما في طريقهما الى القداس)

سجريـــدو : يا جاليلو ، لا تذهب الى فيرنتسه .

جاليـــو : لمـــاذا ؟

سجريـــدو : لأن الرهبان هم السادة هناك .

جاليـــو : في بلاد فيرنتسه علماء مشهورون .

سجريـــدو :ناس مستعدون لعمل أى شيء .

جاليـــو : سأمسك بهم من آذانهم وأجرهم الى هذه الأنبوبة. وحتى الرهبان، ياسجريدو ، هم بشر . هم أيضا ينهارون أمـــام اغـــراء البراهـــين . ولاتنس أن كوبر نيكس التمس منهم أن يثقوا بحساباتـــه بعيونهم . حين يكون الحق ضعيفا غير قادر عـــلى الدفاع عن نفسه ، فلا بد له أن ينتقل الى الهجوم . سأمسك بهم من آذانهم وأرغمهم على النظر بهذه الأنبوبة .

سجريـــدو : يا جاليلو ، أراك تسلك طريقا مروعا . اللعنة على الليلة التى فيها يرى الانسان الحقيقة ! لحظةعمى ، تلك التى فيها يثق بعقل الانسان ! عمن يقال انه يمشى مفتوح العينين ؟ عمن يسعى الى هلاكـــه .

وأنىّ للأقوياء أن يدعوا حرا من يعرف الحقيقة ، حتى لو كانت هذه لا تتعلق الا بالنجوم القصيّة ؟ لو قلت للبابا انه مخطئ ، فهل تعتقد أنه سيستمع الى حقيقتك لا الى قولك له « أنت مخطئ » ؟ وهل تعتقد انه سيكتفى بأن يسجل على ألواحه : « ١٠ يناير سنة ١٦١٠ الغاء السماء » ؟ كيف يخطر ببالك أن تترك هذه الجمهورية ، والحق في جيبك ، لتلقى بنفسك والأنبوبة في يدك ، في حبائل الأمراء والرهبان ؟ أنت القليل الثقة فيما يتعلق بالعلم ، ما بالك ساذج كالطفل في كل ما يبدو أنه يساعدك على ممارسته ؟ ! أنت لا تثق بأرسطو ، أما الدوق الكبير فأنت تثق به . منذ قليل وأنا أشاهدك بالقرب من أنبوبتك تشاهد النجوم الجديدة ، خيل الىّ أنى أراك تتلوى على حطب مشتعل ، وحينما قلت : « أنا أثق بالبراهين » ، خيّل الى أننى أتنسم رائحة اللحم المشوى . أنا أحبّ العلم ، لكنى أحبك أكثر ، يا صديقى القديم ، يا جاليلو ، لاتذهب الى فيرنتسه .

جاليلو : اذا أرادونى ، فانى سأذهب .

(على ستارة تبدو الصفحة الأخيرة من الرسالة)

« وحين أجرؤ على أن ألقب النجوم الجديدة التى اكتشفتها بلقب أسرة مدتشى ، لايفوتنى أن ألاحظ أنه اذا كان الانتساب الى السماء ذات النجوم يضفى المزيد من المجد على الآلهة والأبطال ، فان

الاسم السامى لآل مدتشى هو الذى سيضمن لهذه النجوم شهرة لاتمحى . وأما عن نفسى ، وأنــا أذكركم بأننى واحد من أخلص خادميكم ، فإنى سأعد دائما أن أعز ما أعتز به هو أننى ولدتُ واحداً من رعاياكم . اذ ليس أعز عندى من أن أكــون بقربكم ، يا من شمسه البازغة ستكون نور الدنيا بأسرهـــا » .

جاليـــو جاليــلاى

★★★

(٤)

(غيّر جاليليو مقامه في جمهورية البندقية إلى بلاط فيرنتسه . وهناك اصطدمت اكتشافاته التى توصل اليها بمقرابه – بالانكار من جانب العلماء) .

« أنا ما قد كان دوما » :

هكذا قال القديم .

« صِرْتَ لا تَصْلُحُ ، فاذْهَبْ » :

هكذا قال الجديد .

منزل جاليليو في فيرنتسه . في مكتب جاليليو ، السيدة سارتى تهيىء كل شىء من أجل استقبال مدعوين . وابنها اندريا جالس يرتب خُرَطاً للسماء) .

السيدة سارتى : منذ وصولنا إلى فرنتسه هـذه ، ولم نفرغ من المجاملات والنفاق . كل المدينة تمر أمام هـذه الأنبوبة ، وبعدها أستطيع التنظيف . وكل هـذا لا يؤدى إلى شىء . لو كان في هذه الاكتشافات ذرة من الحقيقة ، فمن أولى بمعرفتها من رجـال الكنيسة ؟ لقد اشتغلت أربع سنوات عند مونسنيور فلبو ، ولم أفرغ أبدا من تنظيف التراب المتراكم على كتبه . مجلدات ترتفع حتى السقف ، وليس فيها قصائد . وهذا المنسنيور الهمام كان في مقعدته رطلان من الجروح الناجمة عن استمراره قاعدا

على كل هذا العلم . أفمثل هذا الرجل لا يعرف أين الحقيقة ؟ واليوم هو يوم التفتيش الكبير وغدا لن أجروٌ مرة أخرى على التطلع في وجه اللبّان . كنت أعرف ما كنت أقوله حين نصحته أن يقدم وليمة عظيمة لهؤلاء السادة، وفخذة فخمة من اللحم الضأن ، قبل أن ينظروا في انبوبته . أنت تتكلم ! (تقلد جاليليو) : « عندى لهم شيء آخر » (قرع على باب الشارع . السيدة سارتى تتطلع في مرآة النافذة) : يا الهى ، ها هو الدوق الكبير نفسه ! وجاليليو لا يزال في الجامعة ! (تنزل السلم بسرعة وتدخل دوق تسكانيا الكبير ، كوزمودى مدتشى ، يصحبه كبير الياوران ووصيفتان) .

كوزمـــو : أريد أن أرى الأنبوبة .

كبير الياوران : هل يتفضل سموك فينتظر حتى يحضر السيد جاليليو وباقي السادة ؟ (مخاطبا سارتى) : السيد جاليليـــو أراد أن يقوم السادة علماء الفلك بفحص النجوم التى اكتشفها والتى تسمى الكواكب المديتشية .

كوزمـــو : انهم لا يعتقدون في الأنبوبة أبدا . أين هى ؟

السيدة سارتى : هناك فوق ، في قاعة المكتب .

(الولد يشير برأسه ، ويشير إلى السلم ، وباشارة من السيدة سارتى يصعد السلم بسرعة)

كبير الياوران : (وهو رجل عجوز جدا) ياصاحب الســـمو ! (مخاطبا السيدة سارتى) : هـــل من الضرورى

صعود هذا السلم ؟ لقد أتيت فقط لأن المـــربى مريض .

السيدة سارتى : لا خطر بالنسبة إلى السيد الفتى ، وابنى موجود فوق .

كوزمـــو : (وهو يدخل الغرفة العليا) مساء الخير !

(ينحنى الصبيان باحترام . صمت . ثم يأخـــذ اندريا في العمل) .

اندريـــا : (بنفس لهجة أستاذه جاليليو) الزحام هنا كما في برج الحمام .

كوزمـــو : كثير من الزوار ؟

اندريـــا : انهـــم يأتون إلى ها هنا ، يجـــررون شحمهم ، ويفتحون عيونهم هكذا ، ولكنهم لا يفهمـــون في الأمر شيئا .

كوزمـــو : فاهم . أهذه هى . . .

(يشير إلى الأنبوبة)

اندريـــا : نعم ، ها هى ذى . لكن ، حاسب . لاتمسسها !

كوزمـــو : وهذا ، ما هذا ؟

(يشير إلى النموذج الخشبى لنظام بطلميوس)

اندريـــا : هذا نظام بطلميوس .

كوزمـــو : انه يبين كيف تدور الشمس ، أليس كذلك ؟

اندريـــا : نعم ، هذا ما يقولونه .

كوزمـــو : (وقد جلس على كرسى ، وأخذ النموذج الخشبي على ركبتيـــه) ان معلمى مصاب بزكام . لهـــذا استطعت المجيء مبكرا . هذا المكان لطيف .
(اندريا لا يقف في مكانه ، ويدور في الغرفـــة بخطى مترددة ، ناظرا إلى هذا الصبي الذى لا يعرفه نظرة غير مطمئنة . وأخيرا ، حين لم يتمالك مقاومة الاغراء ، سحب من خلف كومة من الخرائـــط نموذجا آخر ، هو نموذج نظام كوبرنيكوس) .

اندريـــا : لكن بالطبع الأمر يجرى على هذا النحو .

كوزمـــو : أى أمر ؟

اندريـــا : (مشيرا إلى النموذج الذى مع كوزمو) يظـــن الناس أن الأمر يجرى هكذا ، ولكن (وهـــو يشير إلى النموذج الذى معه) الحقيقة أنه يجرى هكذا . الأرض هى التى تدور حول الشمـــس ، فاهم ؟

كوزمـــو : تعتقد حقا ؟

اندريـــا : وكيف ! لقد ثبت هذا بالبرهان .

كوزمـــو : صحيح ؟ أود أن أعرف لماذا لم يسمحوا لى بالدخول عند العجوز . بالأمس كان مع مدعوين إلى العشاء .

اندريـــا : يبدو أنك لا تصدق هذا ؟

كوزمـــو : بلى ، بالتأكيد .

اندريـــا : (مشيرا فجأة إلى النموذج الذى يحمله كوزمو على

ركبتيه) هات هذا ، أنت لا تستطيع حتّى أن تفهم هــذا .

كوزمــو : لست في حاجة إلى الاثنين في وقت واحد .

اندريــا : أعطني هذا . انه ليس لعبة للأطفال الصغار .

كوزمــو : انى لا أمتنع من اعطائك إياه ، لكن عليك أولا أن تكون مؤدبا ، فاهم ؟

اندريــا : أنت أبله ، وبأدب أو بغير أدب ، أعطني هــذا وإلا أريتك .

كوزمــو : لا تمسسنى ، فاهم ؟

(يتضاربان وبعد قليل يتمرغان على الأرضية)

اندريــا : سأريك كيف يعامل النموذج . استسلم !

كوزمــو : لقد انكسر . لقد لويتَ يدى .

اندريــا : سنرى من هو الذى على صواب . قل انه يدور ، والا لكمتك .

كوزمــو : ابدا . آخ ، يا أشعل ! سأعلمك الأدب .

اندريــا : أشعل ؟ أنا أشعل ؟

(يواصلان معركتهما في صمت . في أسفل يدخل جــاليو وكثير من أســاتذة الجامعة . وخلفهم فدرتسونى) .

كبير الياوران : ياسادة ، توعك خفيف منع السيد سوريو ، معلّم صاحب السمو ، من مصاحبة صاحب السمو .

اللاهــوتى : أرجو ألا يكون مرضه خطيرا .

كبير الياوران : لا خطر منه أبدا .

جاليـــو : (وعليه أمارات خيبة الأمل) وصاحب السمـــو ؟ هل هو موجود ؟

كبير الياوران : صاحب السمو موجود فوق . من فضلكم لاداعي للتأخير . البــلاط يتحرق من أجل معرفة رأى الجامعة الشهيرة في الآلة العجيبة التى اخترعها السيد جاليو ، وفي الكوكبــة (المجموعة الكوكبية) الجديدة .

(يصعدون . الصبيان لا يزالان على الأرضيــة وقد سكنا حينما سمعا الضجة في أسفل)

كوزمـــو : ها هم أولاء . دعنى أنهض .

(ينهضان بسرعة)

الـــزوار : (وهم يصعدون) كلا ، كل شيء على مايرام : كلية الطب تقرر تقريرا قاطعا أن الحالات الــتى لوحظت في المدينة القديمــة لا يمكن أن تكـــون حالات طاعون . والأبخرة ستتجمد بالضرورة ، وذلك نظرا للحرارة الموجودة — أسوأ شيء في هذه الحالة هو أن يتملك الناس الذعر — مجرد موجــة الزكام المعتادة في مثل هذا الفصل من السنة . لا شيء مشتبه فيه — كل شيء على مايرام .

(لما وصلوا إلى أعلى ، ألقوا التحية)

جاليـــو : أنا سعيد ، ياصاحب السمو ، أن أستطيع أن أطلع

رجالات الجامعة ، في حضرتكم ، على الاكتشافات الجديدة .

(كوزمو ينحني بأدب رسمي متجها إلى كل النواحي ، وحتى أمام اندريا) .

اللاهوتي : (وقد شاهد النموذج المحطم لنظام بطلميوس) يبدو أن ثم شيئا قد تحطم . (كوزمو ينحني بسرعة ويعطي اندريا النموذج بأدب ، بينما جاليليو يرتب شأن النموذج الآخر خلسة) .

جاليليو : (أمام المقراب) سموك يعلم من غير شك ، أن حساباتنا نحن الفلكيين تصطدم منذ زمان بعيد بصعوبات كبيرة . ونحن نستعمل فيها نظاما قديما جدا ، يلوح أنه على اتفاق تام مع مبادىء الفلسفة ، لكنه مع الأسف لا يتفق مع الوقائع . وفقا لهذا النظام ، نظام بطلميوس ، يعزى إلى حركات النجوم تعقيد شديد . فوفقا له ، الكوكب فينوس (الزهرة) مثلا يقوم بحركة من هذا النوع . (يرسم على لوحة مدار الزهرة وفقا لنظام بطلميوس) . لكن حتى لو أقررنا بحركات معقدة كهذه ، فإننا لن نستطيع التنبؤ بمواقع النجوم ، إذ لا نجدها في المواقع التي ينبغي أن تكون فيها . يضاف إلى هذا بعض الحركات السماوية التي لا يستطيع نظام بطلميوس تفسيرها . فهذا شأن الحركات التي تقوم بها النجوم الصغيرة التي اكتشفتها بالقرب من جوبتر (المشتري) . هل تودون ، ياسادة ، أن

نبدأ بالقاء نظرة على توابع المشترى [1] ، المسماة بالكواكب المدتشية ؟

اندريـــا : (مشيرا إلى الكرسى المستدير أمام المقراب) : تفضل اجلس .

الفيلسوف : شكرا ، ولدى ، أخشى ألا يكون الأمر بهـــذه البساطة . ياسيد جاليلو ، قبل الانتقال إلى تطبيقات مقرابك الشهير هذا ، هل تسمح بالدخول فـــى مناقشة ؟ موضوعها : هل يمكن وجود مثل هذه الكواكب ؟

الريـــاضى : نعم ، مناقشة منظمة .

جاليلـــو : كنت أتصور أنكم ستكتفون بالقاء نظرة من خلال هذه العدسة ، ثم تحكمون بأنفسكم .

اندريـــا : على هذا الكرسى ، من فضلك .

الريـــاضى : مؤكد ، مؤكد . انك لاتجهل أنه من رأى الأوائل أنه من المستحيل تصور وجود كواكب دورانهـــا لاتتخذ الأرض مركزا لها ، وكذلك وجود نجوم دون ارتكاز في السماء .

جاليلـــو : من غير شك .

الفيلســـوف : وحتى دون أن أتوقف للبحث فيما اذا كان مـــن

---

(١) معظم الكواكبالسيارة لها توابع تتناسب معقدر الكوكب : فلكل من زحل والمشترى ـ وهما اكبر الكواكب السيارة التسعة ـ توابع ، ولاورنوس توابع وهكذا والمعتقد هو ان التوابع هي فى الاصل قطع انتزعت من الكواكب الســيارة ، كما انتزعت الكواكب السيارة من الشمس .

المتصور وجودها ، وهو ما يبدو أن زميلي الرياضي (ينحني في اتجاه الرياضي) يضعه موضع الشك ، فاني أود بكل تواضع ، بوصفي فيلسوفا ، أن أثير السؤال التالي : هل مثل هذه النجوم ضرورية ؟ ان الكون عند أرسطوطاليس الالهي[1] . . .

جاليليو : أو ليس الأولى بنا أن نستعمل اللغة الجارية ؟ ان زميلي السيد فدرتسوني لايفهم اللاتينية .

الفيلسوف : هل من المهم أن يفهمنا ؟

جاليليو : نعم .

الفيلسوف : معذرة . كنت أعتقد أنه مجرد صَقّال عدساتك .

اندريا : السيد فدرتسوني صقال عدسات . وفي نفس الوقت عالم .

الفيلسوف : شكرا يا ولدي . اذا كان السيد فدرتسوني حريصا .

جاليليو : أنا ، أنا حريص على هذا .

الفيلسوف : ستفقد المحاجّة روعتها ، لكن هذا البيت بيتك . ان الكون كما وصفه أرسطو الالهي ، بما فيه من انسجام سري يؤلفه أفلاكه وقبابه البلورية ، وبالدورة الدائرية لأجرامه السماوية ، وبميل المدار الشمسي ، وبأسرار ألواح حركة التوابع ، وبالعدد الهائل من النجوم التي يثرى منها ثَبَتُ نصفِ الكرة الجنوبي ، وبالبناء اللماع لكرة أورانوس —

(١) هذه الجملة الاخيرة ، للاتينية : Aristotelis divini universum

هذا الكون بناء محكم الترتيب فائق البهاء الى حد ينبغي معه الا تُخِلّ بما فيه من انسجام .

جاليليو : ومع ذلك ، فهل يتفضل صاحب السمو بالنظر الى هذه النجوم التى يقولون انه لايمكن تصورها ولا داعى لها ، النظر اليها من خلال هذه العدسة ؟

الرياضى : هذا يغرى بالرد عليك بأن أنبوبتك هذه ، وهى ترى شيئا لايمكن وجوده ، هى آلة غير جديرة بالثقة . فاهم ؟

جاليليو : ماذا تريد بهذا التعريض ؟

الرياضى : انظر ياسيد جاليليو : انه يفيدك أكثر لو تسوق البراهين التى تحملك على افتراض أنه في الفلك الأعلى لسماء الثوابت يمكن أن تتحرك نجوم دون أن تكون مثبتة في شىء .

الفيلسوف : براهينك ، ياسيد جاليليو ، براهينك !

جاليليو : براهينى ؟ تكفى نظرة واحدة الى النجوم نفسها ، وأرصادى التى سجلتها ، من أجل ايضاح المسألة. ياسيدى العزيز ، ان المناقشة صارت غير معقولة .

الرياضى : لو كنا واثقين أنك لن تزداد انفعالا ، لقلنا ان بين ما يوجد في أنبوبتك وما يوجد في السماء يمكن أن يكون هناك فارق .

الفيلسوف : هذه أرقّ طريقة للتعبير .

فدرتسونى : هم يظنون أن الكواكب المدتشية نحن الذين رسمناها على العدسة .

جاليليو : هل تتهمانني بالاحتيال ؟

الفيلسوف : أنىّ لنا أن نفعل ذلك ، ونحن بحضرة صاحب السمو؟

الرياضى : آلتك ، سواء كانت ابنتك ، أو لنقل بالأحرى ابنتك المتبناة ، بارعة الصنع من غير شك .

الفيلسوف : ونحن واثقون ، ياسيد جاليليو ، أنه لا أنت ولا أى انسان ما كان له أن يتجرأ على أن يُزين بالاسم المجيد لبيت أمراءٍ نجوما وجودها ليس بمنأى عن كل شك .

(الجميع ينحنون انحناءة عميقة أمام الدوق الكبير)

كوزمو : (موجها الخطاب للوصيفات) : هل في كواكبي شيء من الاختلال ؟

كبرى الوصيفات : كلاّ ، كل شيء على مايرام في كواكب سموك . ان هؤلاء السادة يتساءلون فقط عما اذا كانت هذه الكواكب موجودة حقا .

(صمت)

صغرى الوصيفات : أَوَلا يقولون انه يمكن بهذه الآلة رؤية عجلات « المَركبة » ؟ (١)

فدرتسونى : نعم ، وكذلك كل ما عند « الثور » ! (٢)

جاليليو : اذن ياسادتى هل تريدون أن تنظروا ، أَوْ لا ؟

الفيلسوف : بكل تأكيد ، بكل تأكيد .

الرياضى : بكل تأكيد .

---

(١) ويسمى الدب الاكبر وهي مجموعة كوكبية شكلها يشبه المركبة .

(٢) برج من البروج بين الحمل والتوأمين حافل بالنجوم وابرز مجموعاته الثريا

(صمت . فجـأة يدير أندريـا ظهره راغبا في الخروج ، مخترقا القاعة بشكل آلى . أمّه تقفه عند الباب)

السيدة سارتى : ماذا جرى لك ؟

اندريـا : انهم مغفلون جدا .
(يتخلص منها ويهرب)

الفيلسـوف : هذا الولد جدير بالشفقة .

كبير الياوران : ياصاحب السمو ، يا سادة ، هل أذكركم بـأن حفلة الرقص الكبرى في القصر ستبدأ بعد ثلاثـة أرباع الساعة ؟

الريـاضى : فيم كل هذه البهلوانيات؟ عاجلا أو آجلا لابـد للسيد جاليليو من الرضوخ لكلمة الحق . ان توابع المشترى من شأنها أن تخرق غلاف الفلك . هـذا أمر واضح بنفسه .

فدرتسـونى : ستندهش من قولى : لايوجد غلاف فالك .

الفيلسـوف : أى كتاب مدرسى سيقول لك انـه موجـود ، يا صاحبى .

فدرتسـونى : اذن فلتؤلف كتب مدرسية أخرى .

الفيلسـوف : ياصاحب السمو ! ان زميلى الجليل وأنا نستند الى قول أرسطوطاليس الالهى هو نفسه .

جاليليـو : (في شبه اذعان) : يا أصحابى ، ان الثقة بأرسطو العظيم شىء ، والوقائع الملموسة شىء آخر . أنـتم تقولون انه تبعا لأرسطو العظيم ثـمّ أغلفة بلورية

وأن بعض الحركات مستحيلة اذن ، لأن النجوم في هذه الحالة من شأنها أن تخرق الأغلفة. لكن اذا تهيأ لكم أن تشاهدوا هذه الحركات بأنفسكم — فما قولكم ؟ ربما دعاكم هذا الى التفكير في أن الأغلفة البلورية هذه لا وجود لها . يا أصحابي الأعزاء ، أرجوكم بكل تواضع أن تثقوا في عيونكم .

الرياضي : ياعزيزى جالليو ، يحدث لى أحيانا أن أقرأ أرسطو — وإن بدا هذا أمرا عفّى عليه — وأؤكد لك أننى أثق بعينىّ .

جالليو : تعودت أن أرى السادة في كل الكليات يغلقون عيونهم أمام الوقائع ، وكأنها غير موجودة . أريهم أرصادى فيبتسمون ، وأدعوهم الى استعمال عدستى حتى يقتنعوا ، فيذكرون لى أرسطو . لكن أرسطو لم تكن لديه هذه العدسة !

الرياضي : ليكن ، ثم ماذا ؟

الفيلسوف : (بجلال) : اذا أريد ها هنا تمريغ أرسطو في الوحل ، وهو الحجة التى اعترف بها ليس فقط كل كبار العقول في العصر القديم ، بل وأيضا آباء الكنيسة أنفسهم ، فانه يبدو لى من اللغو ، على كل حال ، أن نتابع المناقشة . انى أرفض الخوض في مناقشة تخلو من الأمانة . لقد قلتُ .

جالليو : الحقيقة بنت زمانها ، وليست بنت السلطة . ان جهلنا لاحدّ له ، فلنقلل منه بمقدار مليمتر مكعب !

وفيم الاصرار على ادعاء أننا عقول كبيرة ، اذا كان في وسعنا الآن أن نكون أقل بلاهة ؟ لقـــد واتانى حظ لامثيل له ، بأن وقع بين يدىّ آلـــة جديدة تمكّن من فحص جزء ضئيل من الكـــون على نحو أدق ، ولا أقول أدق كثيرا . فاستخدموها اذن !

الفيلســوف : يا صاحب السموّ ، سيداتى ، سادتى ! انى أسائل نفسى حقا الى أى شئ سيفضى بنا هذا كله .

جاليلــو : يبدو لى ، بوصفنا علماء ، أننا لسنا بحاجة الى أن نتساءل الى أى شئ تؤدى الحقيقة .

الفيلســوف : (منفجرا) : يا سيد جاليلــو ، الحقيقة يمكن أن تفضى الى بعيد جدا .

جاليلــو : يا صاحب السموّ ! في هذه اللحظة ، وكل ليلة ، في ايطاليا من أقصاها الى أقصاها ، تصوّب عدسات الى السماء . وتوابع المشترى لاتجعل ثمن اللبن أقل. لكنها لم تُرَ أبدا ، ومع ذلك فهى موجودة . ورجل الشارع يستخلص من ذلك ، أن أشياء أخرى كثيرة ستوجد ، لو أنه صمم على أن يفتح عينيه ! ومن حقه عليكم أن يجد منكم التأييد . وما يجعل الآذان ترعى السمع لايطاليا ليس حركات بعض النجوم البعيدة عنا ، بل النبأ العظيم الذى يقول ان نظريات كانت تعد راسخة قد أخذت تتهاوى ، والكـــل يعلم أن الكثير من المذاهب حاله هكذا ! ســـادتى الأعزاء ، لا ندافعن عن مذاهب متداعية !

فدرتسونى : عملكم أنتم يا أساتذة أن تثيروا هذا التداعى والتزعزع .

الفيلسوف : أود لو أن مريدك هذا أعفانا من نصائحه في مناقشة علمية .

جاليو : يا صاحب السموّ ! ان عملى في الترسانة الكبرى في البندقية قد جعلنى أحتك كل يوم بالرسامين ، والبنائين ومُركّبي الآلات . هؤلاء الناس علمونى طرقا جديدة . لم يقرأوا شيئا ، ولكنهم وثقوا بشهادة حواسهم ، وفي الغالب دون أن يهتموا بماذا عسى أن تفضى اليه هذه الشهادة . . .

الفيلسوف : ياللفظاعة !

جاليو : كما فعل ملاحونا حين غادروا ، منذ مائة عام ، شواطئنا دون أن يدروا ماذا عسى ستكون الشواطئ التى سيبلغونها ، ولا حتى هل سيبلغون شاطئا . وكأنه قد صار علينا اليوم ، في سبيل استعادة هذا التطلع الرفيع الذى كان السبب في مجد يونان القديمة ، أن ننشده في الورش والترسانات .

الفيلسوف : بعد كل الذى سمعناه في هذا البيت لم يعد عندى شك أبدا في أن السيد جاليو يجد معجبين به في الورش والترسانات .

كبير الياوران : يا صاحب السمو ! أنا متأسف ، لكن يظهر لى أن هذه المناقشة المفيدة جدا قد طالت بعض الطول . ولابد لصاحب السمو أن يستريح قليلا قبل الرقص

(بناء على اشارة وجهت اليه ، انحنى الدوق الكبير أمام جاليو . وبدأت الحاشية في الرحيل بسرعة . والسيدة سارتى ، وقد اعترضت طريق الدوق الكبير ، تقدم اليه صحنا من الفطائر) .

السيدة سارتى : كعك باللوز ياصاحب السموّ .

(كبرى الوصيفات تقتاد الدوق الكبير الى الباب)

جاليو : (ملحا عليهم) : ياسادة ، لم يكن عليكم الا أن تنظروا بهذه الآلة .

كبير الياوران : سمو الأمير سيستشير فيما تقول أكبر علماء الفلك اليوم وهو الأب كرستوفر كلافيوس الفلكى الأول في المجتمع البابوى بروما .

* * *

(٥)

(استمر جاالليو في أبحاثه دون خوف ، حتى من الطاعون) .

(أ)

مكتب جالليو في فيرنتسه

(الصباح الباكر . جالليو ، والأرصاد أمامه ، ينظر من خلال المقراب . تدخل فرجينيا وهى تحمل حقيبة سفر) .

جالليو : فرجينيا ! ماذا جرى ؟

فرجينيا : المدرسة أغلقت ، وكان علينا العودة حالا الى بيوتنا. في فيرولى خمس حالات طاعون .

جالليو : (مناديا) : يا أم سارتى !

فرجينيا : وهنا أيضا ، شارع السوق مغلق منذ هذه الليلة. يلوح أن ثم ميتين في الحىّ القديم ، وثلاثة آخرين في المستشفى على وشك الموت .

جالليو : مرة أخرى كتموا عنا كل شئ حتى آخر لحظة .

السيدة سارتى : (وهى تدخل) : ماذا أتى بك ها هنا ؟

فرجينيا : يوجد طاعون .

السيدة سارتى : يا الهى ! ساذهب لحزم الامتعة .
(تجلس)

جالليــو : لا ، لاتحزمى أمتعة ! خذى فرجينيا واندريــا . وسأقوم أنا بأرصادى . (يعود بسرعة الى مكتبــه ويجمع أوراقه بلهفة . السيدة سارتى تلبس اندريا معطفا ، وهذا يصل مهرعا ، ويخرج ويحضر بعض الأغطية والزاد . يدخل خادم الدوق الكبير) .

الخــادم : نظرا الى انتشار الوباء ، غادر صاحب السموّ المدينة متجها شطر بولونيا . لكنه حرص على تمكين السيد جالليو من أن يكون في أمان . ستكون العربة أمام الباب بعد دقيقتين .

السيدة سارتى : (موجهة الخطاب الى فرجينيا واندريا) : اخرجا حالا . احمل هذا !

اندريــا : لماذا ؟ اذا لم تقولى لى لماذا ، فلن أرحل .

السيدة سارتى : يوجد طاعون ، يابنى .

فرجينيــا : نريد انتظار الوالــد .

السيدة سارتى : يا سيد جالليو ، هل انتهيت

جالليــو : (واضعا المقراب في الغلاف) : أجلسى فرجينيا واندريا في العربة . وانا قادم فورا .

فرجينيــا : لا . لن نخرج من هنا بدونك . لن تنتهى ابــدا اذا اخذت في حزم كتبك .

السيد سارتى : العربة حضرت .

جالليــو : كونى عاقلة يافرجينيا : اذا لم تأخذى مكانك في العربة ، فسيرحل السواق . والطاعون وباء خطير .

فرجينيا : (وهى تحتج بينما السيدة سارتى تقتادها هى واندريا) : ساعديه في حزم كتبه ، والا لن يحضر .

السيدة سارتى : (عند المدخل ، وهى تصيح) : ياسيد جالليو! السواق يقول انه لن ينتظر .

جالليو : ياسيدة سارتى! أعتقد أنه يجب علىّ ألا أرحل. فكل شيء مختلط ، ثلاثة أشهر من تدوين مذكرات ، لن يكون فيها فائدة اذا لم أستمر في العمل ليلة أو ليلتين أخريين . ثم ان هذا المرض منتشر في كل مكان .

السيدة سارتى : يا سيد جالليو ! تعال معنا في الحال . لقد فقدت صوابك .

جالليو : عليك أن ترحلى مع فرجينيا واندريا . وسأحضر فيما بعد .

السيدة سارتى : بعد ساعة لن يسمحوا لأحد بالرحيل . عليك بالحضور ! (تتسمع :) انه مضى . يجب علىّ أن ألحق به .

(تخرج . جاللیو يتجول في الغرفة . تعود السيدة سارتى ، شاحبة جدا ، وبدون لفتّها)

جاللیو : ماذا تنتظرين ؟ العربة وفيها الولدان سترحل من دونك .

السيدة سارتى : لقد رحلوا . ارادت فرجينيا ان تقفز من العربة ، وكان لابد من الامساك بها بالقوة . في بولونيا

سيجد الولدان العناية. أما أنت ، من الذى سيهيء لك الطعام ؟

جاالليــو : هل فقدت عقلك ؟ . . تبقين في هذه المدينة لمجرد طهو الطعام ! (يلوح بمذكراته) لاتظني ياسيدة سارتى أننى مجنون . سأستطيع أن أترك هــذه الأرصاد على حالها . ان لى أعداء أقوياء جــدا ، ولابد لى من تحصيل البراهين على أشياء أقررها .

السيدة سارتى : لست في حاجة الى الاعتذار. لكن ما تفعله ليــس من العقل في شيء .

— ب —

(أمام بيت جاالليو في فيرنتسه . يخرج جاالليو ويلقى نظرة صوب أسفل الشارع . تمر راهبتان)

جاالليــو : (مخاطبا اياهما) : هل تستطيعان ، يا أختيّ ، أن تخبرانى أين أستطيع الحصول على خبز ؟ ، لم تأت بائعة اللبن في هذا الصباح ، وخادمتى رحلت .

احدى الراهبتين : فقط في أسفل المدينة توجد بعض المحلات المفتوحة

الراهبة الأخرى : أنت خارج من هذا البيت ؟ (جاالليو يشير بنعم) انه في هذا الشارع !

(الراهبتان ترسمان علامة الصليب ، وهما ترطنان بنشيد « سلام لك يامريم » وتهربان . يمر رجل)

جاالليــو : (مخاطبا اياه) هل أنت الخبّاز الذى يأتى لنــا بالخبز الأبيض ؟ (الرجل يشير بنعم) هل رأيت خادمتى ؟ انهــا لابد رحلت بالأمس . لم تكــن موجودة هذا الصباح .

(الرجل يهز رأسه . نافذة تفتح من الجانب الآخر من الشارع . امرأة تطل برأسها ، وتنظر) .

المـــرأة : (صائحة) : امش بسرعة ! عندهم طاعون !

(الرجل يهرب فزعـــا)

جالليـــو : هل تعلمين شيئا عن خادمتى ؟

المـــرأة : خادمتك وقعت هكذا دفعة واحدة ، في أعــــلى الشارع . ولابد أنها كانت تعرف ماذا أصابهـــا . ولهذا رحلت . لم تفكر أبدا في غيرها !

(تغلق النافـــذة بعنف . أولاد يأتون من أقصى الشارع . يشاهدون جالليو فيهربون صارخـــين . جالليو ينحرف . في هذه اللحظة يأتى جندیان بسلاح کامل)

الجنديـــان : ادخل فورا في بيتك .

(برماحهما الطويلة يدفعان جالليو الى داخل بيته . ويصفقان الباب خلفه)

جالليـــو : (من النافذة) : هل تستطيعان أن تخبرانى مـــاذا فعلوا بتلك المرأة ؟

الجنديـــان : هم يُدْفَنون في المقبرة المشتركة .

المـــرأة : (وقد أطلت من النافذة من جديد) : لكن مادام الشارع الخلفى مملوءا بالطاعون ! . . . ماذا تنتظران لاغلاقه ؟ (الجنديان يمدان حبلا في عرض الشارع) لكن بهذه الطريقة لن يستطيع أحد الدخـــول . أنتم لاحاجة بكم الى اغلاق الشارع هنا . الناس جميعا

هنا في صحة جيدة . توقفوا توقفوا ! اسمعــوا . زوجي في المدينــة ، ولن يستطيع اذن العودة الى البيت . متوحشون ، شر ذمة من المتوحشين !

(تسمــع في الداخــل أنّات وصيحات . يمضي الجنديان . من نافذة أخرى تطل امرأة عجوز)

جاليــو : هناك في الخلف نار ، من غير شك .

المرأة العجوز : الآن ، حين يظنون أنــه يوجد طاعون فانهم لا يطفئون النار . الفكرة الوحيدة عندهم الآن هــي الطاعون .

جاليــو : هذه طريقتهم ! وكل نظام حكومتهم هكذا ! انهم يقضون علينا كما يقضى على الغصن المريض فــي شجرة التين ، الغصن الذى لا يعود يثمر .

المرأة العجوز : لا ينبغي التكلم هكذا . انهم فقط لا يعرفون ماذا يعملون .

جاليــو : هل أنت وحدك في بيتك ؟

المرأة العجوز : نعم . ابنى بعث إليّ بكلمة. والحمد لله انه بالأمس عرف في الوقت المناسب أنه قد مات في الشارع الخلفى شخص ، لهذا لم يعد . في هذه الليلة كان في الحى احدى عشرة حالة .

جاليــو : انى ألوم نفسى لأننى لم أرحل خادمتي حين كان لا يزال في الوقت متسع . كان عنــدى عمــل مستعجل ، ولكن لم يكن لديها اى داع للبقاء .

المرأة العجوز : على كل حال، لا نستطيع نحن أيضا أن نرحــل .

إذ من هو الذى سيرحب بنا ؟ لاداعى للوم نفسك .
انها رحلت في هذا الصباح ، حوالى الساعة السابعة .
ولابد انها كانت مريضة : فانها لما راتنى أخرج لآخذ الخبز ، تَجَنَّبَتْنى . وأظن أنها كانت تريد الا يطوق بيتك . لكنهـم ينتهى بهـم الأمر أن يعرفوا .

(يُسمع قرع طبول)

جاليلـيو : ما هـذا ؟

المرأة العجوز : انهم يحدثون ضوضاء من أجل ابعاد الغيوم الـتى تحمل جراثيم الطاعون .
(قهقهة عالية من جاليلو) ومع هذا أنت تضحك !
(رجل ينزل الشارع ويجده مسدودا)

جاليلـيو : يارجل ! كل شىء هنا مطوّق ، وليس في البيت شىء يؤكل . (اختفى الرجـل وهـو يعدو) .
ياناس ، ياناس ! لا تدعونا نموت من الجـوع هنـا .

المرأة العجوز : ربما أحضروا شيئا . والا ففى وسعى أن أضع أمام بابك قدرا من اللّبن إذا لم يكن هذا ليروعك ، ولكن ليس قبل مجىء الليل .

جاليلـيو : ياناس ، ياناس ! لكن ليس من المعقـول ألا يكونوا يسمعوننا .
(عند الجانب الآخر من الحبل يظهر اندريا فجأة ويرى من وجهه أنه بكى)

جاليلـيو : يا اندريا ؟ كيف استطعت المجىء إلى هنا ؟

اندريـــا : لقد مررت في هذا الصباح ، وقرعت البـــاب ولكنك لم تفتح . والناس قالوا لى . . .

جالليـــو : اذن أنت لم تكن رحلت ؟

اندريـــا : بلى، لكنى في أثناء الطريق افلحت في الوثوب من العربة . ولكن فرجينيا بقيت فيها ، ألا أستطيع الدخول ؟

المراة العجوز : كلا ، ليس هذا ممكنا . لابد لك أن تذهب إلى دير الراهبات الارسوليات . وربما كانت أمك هناك .

اندريـــا : لقد ذهبت إلى هناك . لكن منعونى من رؤيتهـــا . انها مريضة جداً .

جالليـــو : لقد جئت من مكان بعيد جدا ؟ لأنك رحلت منذ ثلاثة أيام .

اندريـــا : لا تغضب منى إذا كنت قد أمضيت كل هـــذا الوقت . ذلك أنهم أوقفونى مرة في الطريق .

جالليـــو : (متضايقا) يجب عليك أن تكف عن البـــكاء الآن . لقـــد اكتشفت الكثير من الأشياء منـــذ رحيلك . هـــل أحكى لك ؟ (اندريا ، وهـــو يتنهد ، يهز رأسه علامة الموافقة) . انتبه جيدا ، والا لم تستطع الفهم ، أتذكر أننى أريتك كوكب الزهرة ؟ لا تستمع إلى الضجة التى هناك ، انهـــا ليست بشىء .

أتذكر ؟ أتعرف ما رأيته ؟ انها مثل القمر . لقـــد شاهدتها على شكل نصف كرة ، وشاهدتها عـــلى

شكل هلال . فما رأيك في هذا ؟ وبوسعى أن أريك هذا بواسطة كرة صغيرة ومصدر ضوء . وهذا دليل على أن هذا الكوكب لا يستمد نوره من ذاته . أليس هذا مدهشا ؟

اندريـــا : (متنهدا) بالتأكيد ، ثم ان هذه حقيقة .

جاليلـــو : (بصوت خفيض) لست أنا الذى طلبت اليها أن تبقى (اندريا لا يجيب) لكن من المؤكد أنه لو لم أبق أنا ، لما حدث ما حدث .

اندريـــا : والآن ، هل سيضطرون إلى تصديقك ؟

جاليلـــو : الآن ، جمعت كل الأدلة . حينما تنتهى هـــذه الحكاية ، سأذهب إلى روما لأقدم اليهم الأدلـــة . (من أقصى الشارع يأتى رجلان يلبسان برنسا ومعهما عصوان وجرادل . ومن النوافذ يقدمان إلى جاليليو ، ثم إلى المراة العجوز خبزا على أطراف عصيهم)

المرأة العجوز : هناك في البيت المواجه توجد امراة وأولادهـــا الثلاثة . اتركوا لهم شيئا .

جاليلـــو : أما أنا فليس عندى ما أشربه . ليس في البيت ماء . (الرجلان يهزان أكتافهما) . هل ستأتيان غـــدا أيضا ؟

أحد الرجلين : (بصوت محتبس ، بسبب الشاش الموجود أمام فمه) هل يعرف أحد ماذا سيحدث غدا ؟

جاليـــو : لو جئتما هل تستطيعان أن تحضرا لى كتابا صغيرا أحتاج اليه في بحثى ؟ ·

الرجـــل : (بضحكة مختنقة) يريد كتابا ! احمد ربك إذا جىء لك بخبز !

جاليـــو : لكن هذاالصبى هناك ، وهو تلميذى ، سيكون موجودا وما عليك الا أن تعطيه الكتاب من أجلى . انه خريطة مبين فيها مدة دورة عطارد ، يااندريا ، ولا أدرى أين وضعته . هل تحضره من المدرسة ؟ (الرجلان رحلا)

اندريـــا : بالتأكيد ، سأذهب لاحضاره ياسيد جاليو .

(يخرج . جاليو ينصرف . من المنزل المواجـــه تخرج المرأة العجوز وتضع أمام باب جاليـــــو كـــوزا) .

***

(٦)

(سنة ١٦١٦ : الكلية الرومانية ، وهى معهد
أبحاث في الفاتيكان ، تؤيد أكتشافات جاليلو .
في هذا العالم ما أندر
أن يقبل شيخ يتعلم .
كلافيوس ، المخلص لله
قد أعطى الحق لجاليلو .

قاعة في الكلية الرومانية بروما . الوقت ليل .
جماعات من كبار رجال الكنهوت ومن الرهبان
والعلماء . وفي ناحية : جاليلو وحده . يسود الجو
سرور غامر . قبل بداية المنظر ، تسمع قهقهات)

كاهن بدين : (وهو يمسك بجنبيه) : يا للبلاهة ! ياللبلاهة السعيدة ! أود أن يخبرنى أحد بقول واحد لم يجد من يصدّقه .

عالم : هذا القول مثلا يا صاحب النيافة : أنك تكره أطايب الطعام كراهية شديدة .

الكاهن البدين : هناك من يصدقون ذلك ، وسيوجد من يصدقون ذلك . فقط الأشياء المعقولة هى التى لايصدقها الناس . وجود الشيطان ، يشك فيه الناس ، أما أن الأرض تدور حول نفسها مثل سدادة في مجرى — فهذا يصدقونه . يا للبساطة المقدسة !

راهب : (يمثل دور المازح) : الدوران يسبب لى دوارا . الأرض تدور بسرعة . يا أستاذ اسمح لى أن أستند اليك !

(يتظاهر بأنه يترنح ، ويمسك بعالم)

العالم : (مقلدا اياه) : آه ، نعم ، لاتزال سكرى، هذه العجوز العزيزة .

(يمسك بآخر)

الراهب : توقف ! نحن ننخلع ! توقف ، قلت لك .

عالم ثان : ها هى ذى الزهرة مقلوبة . النجدة ، لا أرى منها غير نصف مؤخرتها .

(رهبان يتلاصقون ، ويتضاحكون ، ويتظاهرون بأنهم يتماسكون حتى لايقعوا من سفينة عصفت بها العاصفة) .

راهب ثان : بشرط ألا يلقى بنا على القمر ! يا اخوانى ، يبدو أن فيه جبالا ذوات ابر مخيفة .

العالم الأول : ما عليك الا أن تشد ساقك .

الراهب الأول : ولا تنظر الى أسفل . الدوران يجعلنى مريضا .

الكاهن البدين : (يرفع صوته عن قصد متلفتا نحوجالليو) : دوران؟ دعك من هذا ! لا أحد يقدر على أن يجعل الكلية الرومانية تدور !

(ضحك . من باب في العمق يدخل فلكيان من أعضاء الكلية الرومانية . الكل يسكت) .

راهب : امتحانكم طويل جدا ! هذه فضيحة !

أحد الفلكيين : (متضايقا) : امتحاننا نحن — كيف ؟

الفلكي الثاني : الى أين سيفضى بنا هذا ؟ انى لا أفهم هذا الرجل الطيب كلافيوس. سيكون عجبا أن نصدق كل ما قيل خلال هذه السنوات الخمسين الأخيرة ! في سنة ١٥٧٢ لمع نجم جديد في أعلى الأفلاك، الفلك الثامن، فلك الثوابت، وهو بالأحرى أشد لمعانا وأكبر من كل النجوم المجاورة، لكن لم تكد تمضى ثمانية عشر شهرا حتى اختفى من جديد وصار فريسة العدم. أهذا سبب للتساؤل : أين أزلية السماء وثباتها ؟ »

الفيلسوف : لو تركناهم يعملون مايشاءون، فسينتهى بهم الأمر الى أن يحطموا السماء ذات النجوم على رؤوسنا .

الفلكي الأول : نعم، الى أين نحن ذاهبون ؟ بعد خمس سنوات حدد تيشوبراهى، الفلكى الدانيمركى، طريق نجم مذنب. منشوءه تحت القمر، وقد خرق كل الأغلفة الفلكية الواحد تلو الآخر، وهذه الأغلفة هى الحوامل المادية لحركة الأجرام السماوية ! لا مقاومة، ولا انحراف لضوئه. فهل هذا سبب للتساؤل : « أين الأفلاك الآن ؟ »

الفيلسوف : لكن هذا مستحيل ! كيف يتأتى لكرستوفر كلافيوس، أعظم فلكى في ايطاليا وفي الكنيسة أن يتنازل لفحص هذه الترهة ؟

الكاهن البدين : هذه فضيحـــة ؟

الفلكى الأول : على كل حال هو يفحصها . انه يجلس هنـــاك ، ويفتح عينيه أمام هذه الأنبوبة الشيطانية .

الفلكى الثانى : هذا يناقض المبادئ ! لابد من خنق الشر وهو في البيضة . والأصل في هذا كله هو أنه منذ سنوات ونحن نحسب آلاف الأشياء ، ومدة السنة الشمسية ، وموعد كسوف الشمس وخسوف القمر ، ومواقع الأجرام السماوية اعتمادا على لوحات كوبرنيكوس مع أنه رجل مبتدع (هرطيق) .

راهـــب : أريد أن أضع هذا السؤال : ماهو الأفضل ؟ أن يحدث خسوف القمر بعد ثلاثة أيام من الموعد المذكور في التقويم ، أو لا ننال النجاة الأبدية ؟

راهب نحيف جدا : (يتقدم ومعه الكتاب المقدس مفتوحا ، وبعصبية يربت على موضع منه باصبعه) : ماذا يقول الكتاب المقدس ها هنا ؟ « قفى أيتها الشمس فوق جبعون ، وأنت ، أيها القمر ، توقف على وادى عجلون » . كيف يتأتى للسماء أن تتوقف إذا كانت لا تدور ، كما يدعى هؤلاء المبتدعة ؟ هل كذب الكتاب المقدس ؟

الفلكى الثانى : هناك ظواهر أمرها مشكل علينا نحن الفلكيين ، لكن هل من الضرورى أن يفهم الانسان كل شىء؟ (يذهب الفلكيان)

الراهـــب : مكان ميلاد النوع الانسانى يريدون أن يضعوه في

مرتبة كوكب جوال . فالانسان والحيوان والنبات والتربة التى تحمله — كل هذا يحملونه على عربة ويجعلونه يدور حول نفسه خلال سماء خاوية. الأرض والسماء — لايوجدان في نظر هؤلاء الناس لم يعد ثم أرض ، لأنها جرم سماوى ، ولم يعد ثم سماء ، لأنها مؤلفة من أجرام مشابهة للأرض . ولم يعد ثم تمييز بين الأعلى والأسفل ، بين السرمدى والزائل ، أما أننا زائلون ، فنحن نعرف ذلك . لكنهم يقولون لنا الآن إن السماء هى الأخرى زائلة . الشمس ، والقمر ، والنجوم ونحن ، نحن مقيمون على الأرض : هذا ما كان يقال دائما ، وما يقوله الكتاب المقدس ، أما الآن فالأرض هى الأخرى جرم سماوى ، تبعا لما يقوله هذا الرجل ، لم يعد هناك غير أجرام سماوية . وسنرى اليوم الذى سيقولون فيه : « لافارق بين الانسان والحيوان ، الانسان هو نفسه حيوان ، وليس ثم غير دواب » .

(في أثناء هذه الخطبة أخرج جاليليو من جيبه حجره وراح يلعب به ، ثم تركه يسقط)

العالم الأول : ياسيد جاليليو ، لقد سقط منك شئ على الأرضية .

جاليليو : (وهو ينحنى لالتقاط الحجر) : على السقف ، ياصاحب النيافة ، لقد تركته يسقط على السقف .

الكاهن البدين : (ملتفتا) : ياله من وقح !

(يدخل كردينال عجوز جدا ، يستند إلى راهب ، يخلى أمامه المكان باحترام)

الكردينال الهرم : ألا يزالون في الداخل ؟ ألا يستطيعون الاجهاز على هذه المسألة بسرعة ، وهى مسألة في غاية التفاهة ؟ كلافيوس هذا لابد أنه يعرف الفلك جيدا . وبحسب ما قيل لى فان السيد جاليليو هذا يزيح الانسان من مركز الكون إلى أطراف لست أدرى ما هى . اذن هو عدو للجنس البشرى ، وبشكل فاضح . ولا بد أن يعامل على أنه عدو . إن الانسان تاج الخليقة ، وفي وسع أى طفل أن يقرر هذا ، وأسمى وأعز مخلوقات الله . مثل هذه الأعجوبة ، ثمرة مثل هذا الجهد ، كيف يتسنى لله أن يلقى به على حصاة صغيرة تائهة ، تركض باستمرار خلال السماء ؟ أيرسل الله ابنه إلى مثل هذا المكان ؟ وهل يمكن أن يوجد ناس فسدت عقولهم إلى حد أن يثقوا بعبيد ألواحهم الحسابية هؤلاء ؟ أى مخلوق من مخلوقات الله يسمح لنفسه بأن يهان هكذا ؟

الكاهن البدين
(هامسا) : الرجل الذى تشير اليه موجود هنا في القاعة .

الكردينال الهرم : (مخاطبا جاليليو) : أهو أنت ؟ اسمع : بصرى ليس قويا ، لكن ثم شيئا أراه : ذلك الشخص الذى أحرقناه منذ مدة ، ما اسمه ؟ انك تشبهه شبها مدهشا .

الراهـــب : ياصاحب النيافة لا تتحمس هكذا . فان الطبيب ...

الكردينال الهرم : (وهو يتخلص ، يخاطب جاللیو) : أنت ترید أن تحط من قدر الأرض ، مع أنك تعيش عليها وتدين لها بكل شيء . انك تدنّس عشك . ولكني ، على كل حال ، لن أسمح لنفسى بأن أهان . (يزيح الراهب بعنف ، ويأخذ في المشى باعتزاز رائحا جائيا .) أنا لست أى شيء على تراب كوكب ما ، أدور لمدة لحظة في مكان ما ! أنا أمشى على أرضٍ راسخة بخطاً ثابتة ، والأرض لا تتحرك بل هى النقطة المركزية لكل ماهو موجود ، وأنا في النقطة المركزية وعين الخالق ترعانى أنا وحدى . ومن حولى ، النجوم الثابتة ، ترسم دوائرها ، وهى مثبتة في ثمانية أغلفة بلورية ، والشمس الرائعة قد خلقت لاضاءة كل شيء حوالىّ ، وإنارتى أنا ، حتى يستطيع الله أن يرانى . إذن من الواضح وضوحا لا مجال أبدا لانكاره أن كل شيءٍ يتعلق بى ، بى أنا الانسان ، ثمرة مجهود الله ، أنا المخلوق المركزى ، المصنوع على صورة الله ، باق ، و . . .

(ينهـــــــار)

الراهـــب : صاحب النيافة قد وثق كثيرا بقواه .

(في هذه اللحظة يفتح الباب الذى في العمق . يدخل كلافيوس العظيم على رأس فلكييه . ودون أن ينطق بكلمة ،ودون أن يلتفت برأسه ، يخترق

القاعة بخطوة سريعة . وعلى وشك الخروج يقول لأحد الرهبان :

كلافيوس : صحيح .

(يخرج ، يتبعه الفلكيون . باب العمق يظل مفتوحا. صمت تام . الكردينال الهرم يفيق)

الكردينال الهرم : ماذا ؟ هل أصدروا قرارهم ؟

(لايجروء أحد على الكلام)

الراهب : لابد أن نصحب صاحب النيافة .

(يقتاد الهرم الى الباب الخارجي . الكل ، وهم في حيرة تامة ، يغادرون القاعة . راهب قصير في لجنة كلافيوس يتوقف قرب جاليليو) .

الراهب القصير : (خلسة) : يا سيد جاليليو ، ان الأب كلافيو س قال قبل أن يرحل : » الآن على اللاهوتيين أن يعملوا على لصق كراتهم السماوية ! « لقد كسبت أنت .

جاليليو : (محاولا ايقافه) : لم أكسب أنا ، بل العقل هو الذى كسب .

(الراهب القصير صار بعيدا. جاليليو بدوره يرحل. على عتبة الباب يلتقى بكاهن كبير ، هو الكردينال المكلف بالتفتيش . يصحبه فلكى . جاليليو ينحنى . وقبل أن يخرج يهمس بالسوأل للحاجب .)

الحاجب : (مجيبا بنفس اللهجة) : صاحب النيافة الكردينال كبير المكلفين بالتفتيش .

(الفلكى يقود الكردينال الى المقراب) .

(٧)

(لكـــن محكمـــة التفتيش تقـــرر حرمان نظام كوبرنيكوس) في ٥ مارس سنة ١٦١٦

في روما كان جَلِلْيــو

ضيفا في قصر نيافتـــه

بالأكل الفاخـــر والخمـــر

نفحوه ، مقابل هيّنـــــة

قصر الكردينال بِلّرْمين [1] في روما . حفلـــة راقصة في أوجها . في الدهليز ، حيث كاتبـــان دينيان يلعبان بالشطرنج ويكتبان ملاحظات عـــن المدعوين ، جاليلو يُتَلَقّى بتصفيق من جماعـــة صغيرة من السيدات والسادة اللابسين الأقنعـــة . تصحبه ابنته فرجينيا وخطيبها لودفكو مرسيلي .)

فرجينيـــا : لن أرقص الا معك ، يالودفكـــو .

لودفكـــو :دبّوس الكتف غير محكـــم .

جاليـــو : « دعـــى الغـــلالـــة ، ياتاييس ، تنزلق

---

(١) روبرت بلرمين . Robert Bellarmin (١٥٤٢ ـ ١٦٢١) : يسوعي ، عين فى سنة ١٥٩٢ مديرا للكلية الرومانية فى روما ، وصار فى سنة ١٥٩٩ كردينالا . وفى سنة ١٩٣٠ رسم قديسا . وله كتاب أثار مساجلات شديدة ، عنوانه : «مناقشات حول الشبه الموجهة ضد العقيدة المسيحية وذلك ردا على المبتدعة فى هذا العصر » .

لاتعدليها ، ففى إخلالها فِتَنٌ للراقصين على ضوء الشموع ، ولىتدعو الى ظلمة الأيكات والظّلَل »

فرجينيا : تحسّس قلبى .

جاليليو : (واضعا يده على قلبها) : انه يخفق .

فرجينيا : أود أن أبدو جميلة .

جاليليو : بأى ثمن ، والا فسيكفون عن تصديق أن الأرض تدور .

لودفكو : لكنك تعلم جيدا أنها لاتدور . (جاليليو يضحك) روما لم تكن تتحدث الا عنك . ولكن ابتداء من هذا المساء فسيكون الحديث ، ياسيدى ، عن ابنتك .

جاليليو : يقولون انه ليس من الصعب أن يبدو المرء جميلا في روما ابان فصل الربيع . وحتى الآن تبدو علىّ هيئة أدونيس، مع شيء من الكرش . (للكاتبين) : طلبوا الىّ أن أنتظر هنا صاحب النيافة . (لفرجينيا ولودفكو :) اذهبا ، واستمتعا .

(يذهبان للاشتراك في الرقص من باب العمق . ثم تعود فرجينيا مسرعة)

فرجينيا : يا أبى ، حلاّق شارع النصر حلق لى قبل غيرى وترك أربع سيدات جميلات ينتظرن . لقد تعرّف اسمك في الحال .

(تخرج)

جاليـــو : (وهو ينظر الى الكاتبين يلعبان الشطرنج) : كيف لا تزالان تلعبان الشطرنج على الطريقة القديمــة ؟ المجال فيها محدود . ها كما كيف يلعب اليــوم : تُجْرَى الحجارةُ على طول ساحة الشطرنــــج ، الطابية هكذا (يمثل بحركة) ، والمجنون هكذا ، والملكة هكذا ، وهكذا . بهذا يتسع المجـــال ، ويمكن تركيب عمليات وخطط .

احد الكاتبين : هذا ليس في متناول مرتباتنا . نحـــن لانستطيع الا نقلات خفيفة .

(ينقل حجرا من خانة)

جاليـــو : بالعكس ياصاحبي ، بالعكس ! لوعشت على قدم كبيرة ، دفعوا لك ثمن أحذية طويلة . لابد مـــن التمشى مع الزمن ، يا سادة . كفوا عن مساحلــة الشواطئ ، واندفعوا في عُرْض البحر .

(الكردينال الهرم يخترق المسرح ، بصحبة راهب. يلمح جاليو ، يمر بالقرب منه ، ثم يلتفت، وعليه أمارات التردد ، و يحيي. يجلس جاليو . ومن قاعة الرقص يصل مطلع القصيدة [1] المشهورة التى ألفها لورنتسو الماجد ، لورنتسو دى مدتشى ، وهى قصيدة في أن كل شئ مآله الزوال ، ويغنيهـــا صبيان :

الصبيـــان : (يغنـــون) :

---

(1) هي قصيدة كورنتو Corinto

أنا من رأيت الورد يذبل أو يمـوت
أوراقه النضرات يلحقها الذبـول
وعلى تراب البرد شاحبة ، فقلت :
كمْ خادعٌ صَلَفُ الشباب !

جاليـو : روما . حفلة عظيمة ؟

الـكاتب : هذا أول كرنفـال بعد سنوات الطاعـون . كل البيوتات الكبيرة في ايطاليا ممثلـة هذا المساء : آل فلاّني ، آل نوكولى ، آل سـولدانييرى ، آل كانى ، آل لكّى ، آل استنسى ، آل كولومبينى

الكاتب الثانى : (مقاطعا اياه) صاحبا النيافة ، الكردينال بلرمين والكردينال بربرينى .

(يدخل الكردينال بلّرمين ، والكردينال بربرينى وبواسطة يد يمسكان أمام وجهيهما بقناع خروف وقناع حمامة .)

بربريـنى : (مشيرا بالسبابة الى جاليو) : « الشمس تشرق ثم ترحل عائدة الى مكانها » .

هكذا قال سُلَيْمان ، فما قولك يا جاليو ؟

جاليـو : حينما لم أكن أطول من هكذا (حركة بيـده) ، ياصاحب النيافة ، كنت على سفينة فصحـت قائلا : « الشاطئ يتحرك ! » . واليوم أنا أعلم أن الشاطئ كان ساكنا ، وأن السفينة هى التى كانت تتحرك .

بربريني : لا بأس ، لابأس . ما يشاهد ، يا بلّرمين ، مثلا قبة السماء التى تدور ، ليس من الضرورى أن يكون صحيحا ، كما في مثل السفينة والشاطئ... لكن ما هو صحيح ، مثل أن الارض تدور ، هذا مالا يمكن أن يشاهد . لابأس ! وفي تلك الأثناء فان توابع المشترى ستتحطم عليها أسنان الفلكيين. كان من سوء حظى ، يا بلّرمين ، أن أدرس شيئا من علم الفلك . انه يلتصق بالجلد مثل الجرب .

بلّرمين : لنمش مع زماننا ، يا بربريني . اذا كانت الخرائط السماوية المبنية على أساس افتراض جديد من شأنها أن تجعل الملاحة أسهل على بحّارتنا . فمن رأيى أنه لا بأس عليهم من استخدامها . لكن الشيء الذى لانحبه هو الآراء التى تُكَذّب الكتاب المقدس .
(يحيى بيده في اتجاه قاعة الرقص)

جاليليو : الكتاب المقدس ؟ « من يحتفظ بحَبّته ، يلعنه الناس » — (هكذا تقول) أمثال سليمان .

بربريني : « الرجل العاقل يستر علمه » (هكذا تقول) أمثال سليمان .

جاليليو : « أينما تكن الثيران ، تكن القذارة . لكن قوة الثيران فيها فائدة كبيرة »

بربريني : « من يكبح عقله أفضلُ ممن يستولى على المدن »

جالليــو : « لكن حين تضعف الروح ، يجف نخاع العظام »
(بعد برهة صمت :) « أولا يرفع الحق صوته؟»

بربريــنى : « أيمكن المرء أن يمشى على فحم متقد دون أن تحترق قدمه ؟ » مرحبا بك في روما ، يا عزيــزى جالليو . هل تعرف تاريخ نشأتها ؟ تقول الخرافة ان طفلين تلقيا الغذاء والسكن من ذئبة . ومنذ ذلك اليوم ، فان على كل أبنائها أن يدفعوا للذئبة ثمــن اللبن الذى يشربونه . وفي مقابل ذلك فان الذئبــة تهيء كل ألوان اللذات ، السماوية منها والأرضية : من مناقشة صديقى العلامة بلّرمين ، حتى ثــلاث أو أربع غوان ذوات شهرة دولية . هل تريــد أن أعرفك بهن .

(يقتاد جاللیــو الى الداخل ليرى قاعة الرقص . جاللیو يتبعه كارها)

بربريــنى : ألا تريد حقا ؟ تود مناقشة جادة . ليكن ! هــل أنت واثق ، ياعزيزى جاللیــو ، انكــم معشر الفلكيين ، لاتَسْعون الى مجرد تسهيل الأمــور ؟ (يقتاده الى مقدم المسرح .) في نظرك الامر كله يرجع الى دوائر أو قطاع ناقصة ، وسرعـــات منتظمة ، وبالجملة الى حركات بسيطة ، متصورة على صورة عقلك . لكن لو كان الله قــد شاء أن يحرّك نجومــه هكذا ؟ (باصبعه يرسم في الهــواء شكلا في غاية التعقيد، وذلك بتغيير سرعة الحركة) فماذا عسى ستكون قيمة حساباتكم ؟

جاليلو : يا صاحب السيادة ! لو كان الله قد بنى العالم هكذا (يكرر الحركة التي رسمها بربريني) ، لكان أيضا قد بنى أمخاخنا هكذا (يكرر نفس الحركة) ، بحيث يكون هذا المسار هو أبسط المسارات . ان لى في العقل ثقة .

بربريني : أنا أرى أن للعقل حدودا . انه لايقول شيئا . إنه من الاحتشام بحيث لايريد أن يجيب بأن عقلى أيضا له حدود .

(يضحك ويعود الى الشرفة)

بلرمين : العقل ، يا صديقى العزيز ، لايذهب بعيدا . ونحن لانرى من حولنا غير الاشتباه والشر والضعف . فأين الحق في هذا كله ؟

جاليلو : (بغضب) : انى أثق بالعقل .

بربريني : (مخاطبا السكرتيرين) : لا ، لا ، لاتسجل شيئا . هذا حديث بين أصدقاء في موضوع علمى .

بلرمين : فكر فيما اقتضاه آباء الكنيسة وآخرون كثيرون من جهد وتأمل لادخال بعض المعنى في مثل هذا العالم (أتجادل في أنه عالم فظيع ؟) . فكر في وحشية أولئك الذين يجعلون الفلاحين وهم نصف عراة يركضون في مزارعهم في مقاطعة كمبانيا والسياط تلسع ظهورهم ، فكّر في بلاهة هؤلاء المساكين الذين يقبلون أقدامهم شكرا لهم .

جاليلو : هذا عار ! وأنا قادم الى هنا ، شاهدت . . .

بلّرمين : كان لابد أن نعزو حكمة الى مثل هذه الظواهر التى لانفهمها (وهى مادة الوجود نفسها) لهذا أحلنا مسئوليتها على موجود فوقنا ، وقلنا انها تخدم غرضا محددا ، وان كل شئ يتم وفقا لخطةرائعة. لا لأن هذا قد أعاد الطمأنينة الى النفوس ، لكنكم الآن تتهمون هذا الموجود الأعلى بأنه ليس لديه أفكار واضحة عن حركات العالم السماوى، بينما أنتم لديكم عنه أفكار واضحة كل الوضوح . فهل هذا انصاف ؟

جاليليو : (شارعا في التفسير) : أنا ابن للكنيسة مطيع . . .

بربريني : هذا رجل مخيف حقا ! انه يريد ، بكل براءة، أن يقرر أن الله هو الذى ارتكب أسوأ الأخطاء في علم الفلك . والخلاصة ، هل الله لم يدرس فلكه بعناية قبل أن يؤلف الكتاب المقدّس ؟ يا صاحبى !

بلّرمين : ألا يقول لك الاحتمال ، لك أنت ، ان الخالق لابد يعرف عن خليقته خيرا مما يعرف المخلوقون؟

جاليليو : لكن ، يا سادة ، في وسع الانسان أن يسيء تفسير الكتاب المقدس ، وحركة الأفلاك معا .

بلّرمين : لكن طريقة تفسير الكتاب المقدس : هذا ميدان يرجع في نهاية الأمر الى اللاهوتيين التابعين الى أمنا المقدسة : الكنيسة . هل نحن متفقون على هذا ؟ (جاليليو يصمت .) أنت ترى جيدا : ها أنت ذا تسكت . (يوجه اشارة الى الكاتبين .) يا سيد جاليليو ! ان الديوان المقدس قرر في هذه الليلة أن

نظام كوبرنيكوس – الذى يجعل من الشمس المركز الثابت للعالم ، بينما الأرض متحركة وليست مركز العالم – هو رأى أحمق غير معقول ، مبتدع ، ويسىء الى الايمان . وأنا مكلف بتحذيرك كى تتخلى عن هذا الرأى (مخاطبا الكاتب) : – أعِدْ ما قلتُه .

الكاتب : أبلغ صاحب النيافة الكردينال بلرمين المذكور أعلاه جاليلو جاليلاى بأن : الديوان المقدس قرر أن نظام كوبرنيكوس ، الذى يجعل من الشمس المركز الثابت للعالم ، بينما الأرض متحركة وليست مركز العالم – هو رأى أحمق ، غير معقول ، مبتدع ، ويسىء الى الايمان . وأنا مكلف بتحذيرك كى تتخلى عن هذا الرأى .

جاليلو : ما معنى هذا ؟

(من قاعة الرقص تسمع مقطوعة أخرى من القصيدة تنشدها جوقة من الصبيان)

الصبيان :

قلتُ : أبهى العُمْرِ يمضى وبسرعهْ
فاقطفِ الوردَة إبّان الربيعْ

(بربرينى يشير على جاليلو بالسكوت حتى ينتهى الغناء . يصغون) .

جاليلو : لكن الوقائع ؟ لقد فهمت أن الفلكيين فى الكلية الرومانية قد اعترفوا بأن أرصادى صحيحة .

بلّرمين : وعبرّوا عن رضاهم العميق بعبارات كلها اطراء لك .

جاليو : لكن توابع المشترى ؟ وأطوار الزهرة ؟

بلّرمين : ان المجمع المقدس جدا لما قرر قراره لم يأخذ في حسابه هذه الاعتبارات الخاصة .

جاليو : ومعنى هذا أن كل بحث علمى من الآن فصاعدا . .

بلّرمين : مكفول تماما ، ياسيد جاليو . وهذا يوافق مذهب الكنيسة الذى يقول اننا عاجزون عن المعرفة ، لكن البحث مباح لنا . (يحيى لحظة أحد المدعوين في قاعة الرقص) . هذا النظام ، شأنه شأن أى نظام آخر ، لك مطاق الحرية في أن تبحث فيه على شكل افتراض رياضى . ان العلم هو الابن الشرعى والحبيب للكنيسة ، ياسيد جاليو . ولا أحد منا يفترض جديا أنك تريد أن تقضى على الثقة التى يوليها الناس للكنيسة .

جاليو : (متضايقا) : ان الثقة تفنى من كثرة الالتجاء اليها .

بربرينى : آه ، هكذا ؟ (يربتّ على كتفه وهو يقهقه . ثم ينظر اليه بتعال ويقول له بشيء من التودد :) لاترمِ الطفلَ مع ماء الحوض ، يا عزيزى جاليو . وهذا أيضا ليس من شيمتنا . اننا أحوج اليك منك الينا .

بلّرمين : انى أتحرق الى تقديم أكبر رياضى في ايطاليا الى مندوب الديوان المقدس الذى يحمل لك أعلى التقدير .

بربريني : (ممسكا بالذراع الآخر لجالليو) : بهذه الكلمات صار حملا وديعا . وأنت ، يا عزيزى ، للظهور هنا كان عليك أن تتخفى فى زى مفسر برىء للحقائق المقررة . وقناعى هو الذى يخول لى اليوم بعض الحرية . فى هذا الزى تستطيع أن تسمعنى أهمس قائلا : « لو لم يوجد الله لكان علينا اختراعه ». والآن فلتستعد القناع . يا لجالليو المسكين، انه لا يلبس قناعا .

(يحيطان بجالليو ويقتادانه الى قاعة الرقص)

الكاتب الأول : هل سجلت الجملة الأخيرة ؟

الكاتب الثانى : أنا بصددها . (يكتبان بانشغال شديد .) هل سجلت الجملة التى قال فيها انه يثق بالعقل ؟

(يدخل الكردينال كبير محكمة التفتيش)

كبير محكمة التفتيش : هل جرت هذه المحادثة ؟

الكاتب : (كأنه انسان آلى) : أولا السيد جالليو جاء مع ابنته . وهذه خطبت اليوم الى السيد . . . (كبير محكمة التفتيش يقطع كلامه بحركة منه) ثم ان السيد جالليو أخبرنا بالطريقة الجديدة للعب بالشطرنج ، وهذه الطريقة تخالف كل القواعد ، وفيها الأحجار تحرك خلال كل لوحة الشطرنج .

كبير محكمة التفتيش : (مقاطعا) : المحضر !

(الكاتب يقـــدم اليه المحضر . يجلس الكردينال لتصفّحِه . سيدتان شابتان مُقنّعتان تخترقـــان المسرح ، وتنحنيان انحناءة خفيفة حين مرورهما أمام الكردينال) .

احداهمـــا : من هـــذا ؟

الأخـــرى : الكردينال كبير محكمة التفتيش .
(تمضيان وهما تحاولان كتم ضحكة شديدة. تدخل فرجينيا ، تتلفت حواليها باحثة عن شخص)

كبير محكمة التفتيش : (وهو في زاوية) : ماذا يا ابنتى ؟

فرجينيـــا : (ولم تكن قـــد أبصرته ، تقفز مفزعة) : أوه ، ياصاحب السيادة !

(كبير محكمة التفتيش ، دون أن يرفع بـــصره، يقدم اليها يده اليمنى . فرجينيا تقترب، وتركـــع وتقبّل الخاتم) .

كبير محكمة التفتيش : ليلة رائعة . اسمحى لى بأن أتقدم اليك بالتهـــانى بمناسبة خطبتك : خطيبك من أسرة عظيمة . هل ستبقين عندنا ؟

فرجينيـــا : ليس في الحال ، ياصاحب السيادة . هناك الكثير من الاستعدادات للزواج .

كبير محكمة التفتيش : اذن سترحلين الى فيرنتسه مع السيد والدك . أنـــا

سعيد لهذا كل السعادة . وأتصور أن السيد والدك في حاجة شديدة اليك . والرياضة رفيقة عبوس ، أليس كذلك ؟ في مثل هذا الجو فان مخلوقة مليئة بالحياة كفيلة بتغيير كثير من الأشياء . ومن السهل جدا أن يضل المرء في كل هذه العوالم السماوية ، التى تبدو شاسعة حين يكون المرء عقلا كبيرا .

فرجينيا : (وقد خنقها الانفعال) : كم أنت كريم ، ياصاحب السيادة ! انى كما تعرف لا أفهم شيئا تقريبا في هذه الأمور .

كبير

محكمة التفتيش : حقا ؟ (يضحك) أسرة صانع الحلوى لا تأكل الفطائر ، أليس كذلك ؟ وسيسر السيد والدك أن يعلم أنى أنا ، يا بنيتى العزيزة ، الذى علمك ما تعلمين عن العوالم السماوية . (و هو يتصفح المحضر :) أرى هاهنا أنه تبعا لرأى المجددين المحدثين ، ووالدك هو زعيمهم المعترف به في كل مكان ، وهو عقل كبير من بين كبارالعقول ، فان تصوراتنا الحالية لأهمية أرضنا العتيقة العزيزة مبالغ فيها . ومنذ عصر بطلميوس ، وهو حكيم قديم ، حتى يوم الناس هذا كان يقدر مجموع الخليقة ، أعنى مجموع كرة البلّور التى فيها تحتل الأرض المركز ، بحوالى عشرين ألف مرة قطر الأرض . وهى مساحات جميلة ، لكنها في نظر هؤلاء المجددين صغيرة جدا . وفي نظرهم

أن الكون أوسع بكثير جدا ، وأن المسافة بين الأرض والشمس ، وهى مسافة محترمة جدا ، فيما كان يبدو لنا ، صارت بهذا ضئيلة جدا جدا اذا ما قورنت بالمسافة التى تفصل بين أرضناالمسكينة وبين النجوم الثابتة في الغلاف الاقصى ، بحيث يمكن اسقاطها من حساباتنا ! وهنا ينبغى أن نقول ان المجددين لايعيشون على قدم كبيرة .

(فرجينيا تضحك ، وكذلك يضحك كبير محكمة التفتيش)

كبير

محكمة التفتيش : (مواصلاً كلامه) : والواقع أن مثل هذه الصورة للعالم ، تبدو بالنسبة اليها تلك التى نقر بها حتى الآن مجرد صورة مصغرة جدا ، لاتصلح الا لتزيين جيدٍ جميل مثل جيد بعض الفتيات ، ولهذا فإن هذه الصورة للعالم ، قد أثارت ثائرة الأعضاء البارزين في الديوان المقدس . انهم يخشون أن يضل السبيل في هذه المساحات الشاسعة أحد الكهنة أو أحد الكرادلة أنفسهم . بل البابا نفسه ، بكل سلطانه ، قد يضل في مثل هذا النظام . نعم ، فى هذا ما يثير الضحك ، لكنى مع ذلك سعيد بأن أراك في كنف أبيك العظيم ، الذى نُكِنّ له جميعاً كلّ احترام ، يا بنتى العزيزة . وأنا أسائل نفسى عما اذا كنت أعرف من يتلقى منك الاعتراف . . . .

فرجينيا : الاب كرستوفورو ، في كنيسة القديسة أورسولا .

كبير محكمة التفتيش : نعم ، أنا سعيد جدا ان أعلم أنك ستكونين في صحبة والدك . انه في حاجة اليك ، ربما يصعب عليك أن تتصوري السبب في هذا ، لكن سيأتى اليوم عاجلا أو آجلا . أنت لاتزالين صغيرة ، مملوءة بالحيوية ، وليس من السهل دائما تحمل العظمة بالنسبة الى أولئك الذين وهبهم الله اياها . لا ، ليس من السهل دائما . لا ، مهما يكن عظيما . فإنه في حاجة الى الدعاء — أليس كذلك ؟ ولكن هأنذا أعوقك ، يا بنيتى العزيزة ، وأثير الغيرة في نفس خطيبك ، وربما أيضا في نفس أبيك ، وأنا أحدثك عن النجوم بعبارات ربما صارت عتيقة ، وهذه هى الطامّة الكبرى . عودى لاستئناف الرقص بسرعة ، لكن لاتنسى أن تحيي باسمى الأب الطيب كرستوفورو .

(فرجينيا تمضى مسرعة ، بعد انحناءة عميقة)

* * *

(٨)

(مناقشة .

في سجلّ « الحرمان » ألفاه يقــرأ
راهبــا يقرأ القرار الرهيبــا
راهبا ينشر العلوم ويبغــى ،
وهو إبن الفلاح ، علما جديــدا

في روما . بقصر سفير فيرنتسه ، جاليلو يصغى الى الراهب الشاب الذى بلّغه – بعد جلسة الكليـــة الرومانية ، – كلمة الفلكى البابوى)

جاليـــو : هيا ، تكلم ! الثوب الذى تلبسه يخول لك أن تقول أى شيء .

الراهب الشاب : درستُ الرياضيات ، يا سيد جاليلو .

جاليـــو : سيكون هذا أمرا حسنا ، لو أن هذا دعــاك الى الاقرار بأن ٢ + ٢ تساوى أحيانا ٤ .

الراهب الشاب : يا سيد جاليلو ! منذ ثلاث ليال وأنا لاأستطيع النوم. ذلك أنى لم أستطعْ التوفيق بين القرار الذى قرأته، وبين توابع المشترى التى شاهدتها . لهذا قــررت اليوم أن أتلو قدّاسى ثم أجيء اليك .

جاليـــو : لتقول لى ان المشترى ليست له توابع ؟

الراهب الشاب : كلا. لقد اقتنعت بالأسباب الموجبة للقرار. لقد كشف لى الأخطار التى تتعرض لها الانسانية من جراء البحث المنطلق بغير قيود، وقد قررت أن أترك علم الفلك. لكنى حرصت على أن أعرض عليك الدواعى التى يمكن أن تحمل حتى الفلكى نفسه على التخلى عن اتمام بناء النظرية التى تعرفها.

جاليلو : أعتقد أن في وسعى القول بأن هذه الدواعى معروفة لدى.

الراهب الشاب : أنا أقدر شعورك المرير. أنت تفكر في تلك الوسائل الاستثنائية التى تملكها الكنيسة.

جاليلو : لا تفزع من النطق بالكلمة : أدوات التعذيب.

الراهب الشاب : لكنى أود أن أذكر دواعي أخرى. واسمح لى أن أتحدث عن نفسى : لقد نشأت في أسرة فلاحين في اقليم كمبانيا. وهم قوم بسطاء جدا، يعرفون كل ما يمكن معرفته عن أشجار الزيتون، وفيما عدا هذا لايكادون يعرفون شيئا. والآن، حين أشاهد دورات الزهرة، يخيل الى أن أهلى يجلسون في صحن الدار مع أختى وهم يشربون حساء بالجبن. ومن فوقهم أرى ألواح السقف التى سودها الدخان طوال مئات السنين، وأرى تفاصيل اياديهم الهرمة التى شوهها العمل، والملفقة بين أصابعهم. ليست حياتهم بالسعيدة، لكن في ثنايا شقائهم نفسه ثم مبدأ للنظام. هناك أدوار مختلفة : دور للتنظيف الكبير، ودور للمواسم في مزارع الزيتون،

ثم دور دفع الضرائب . وثم انتظام في كل هـــذه المصائب التى تنقض عليهم . واذا كان ظهر أبى ينحنى فلايتم هذا دفعة واحدة ، بل التدريج مــع كل ربيع يقضيه في مزارع الزيتون ، كمـــا أن الولادات التى تقلل شيئا فشيئا من أنوثة أمى ، تتم في فترات محددة . والقدرة على جر السلال على طول الطريق الحافل بالحصباء ، والقدرة على انجاب الأولاد ، بل والقدرة على الأكل — هما يستمدانها من الشعور بالدوام والضرورة ، هذا الشعور الذى يوَلّده في نفسيهما منظر الشمس ، ومنظر الأشجار التى تخضرّ كل عام ، والكنيسة الصغيرة ، وآيات الكتاب المقدس التى يستمعون اليها في أيام الآحاد . لقد تلقوا توكيدا بأن الله ينظر اليهم نظرة متسائلة ، شبه قلقة ، وبأن مسرح هـــذا العالم قد نظّم مـــن حولهم ، حتى يستطيعوا ، وهـــم الممثلون ، أن يبرهنوا على حسن أدائهم لأدوارهم ، صغـــيرة كانت أو كبيرة . فماذا عسى أن يقول أهــــلى لو سمعونى أقول انهم يعيشون على حصاة صغيرة تدور باستمرار في الفضاء وتدور حول نجم آخر ، حصاة بين حصى عديد جدا ، حصاة لا أهميـــة كبيرة لها ؟ فيم يعملون اذن ، وفيم يتحلون بكل هذا الصبر ، وفيم يتعلقون كل هذا التعلق بشقائهم ؟ وما الفائدة بعدُ في الكتاب المقدس ، الذى فسّر كل شىء ، وبرر كل شىء على أنـــه ضرورى : العرق ، والصبر ، والجوع ، والخضوع ، بينمـــا

اليوم يكتشف فيه الكثير من الأخطاء ؟ كـــلا ، يخيّل الىّ أنى أشاهد نطرتهم اللهيفة والملفقة تسقط على حجر الأرضية ، وأشاهد كيف يحسون بأنهم خُدعوا وغُرِّر بهم . سيقولون : « واذن لأحد يرعانا ؟ أعلينا نحن أن نرعى أنفسنا ونحن جهلة ، عجائز ، مستهلكون ؟ ألا دور لنا غير دورنـــــا البائس هذا على الأرض ، هذا الجرم السمـــاوى الصغير جدا الذى لايستقل بوجوده وليس محورا لشيء ؟ أليس هناك معنى اذن لشقائنا : فالجـــوع سيكون فقط مجرد نتيجة لكوننا لم نأكل ، وليس امتحانا لقوتنا ، والمجهود ، سيكون مجرد نتيجة للانحناء وحمل الأثقال ، وليس مصدرا للفضائل والحسنات ؟ — أتفهم الآن لماذا أقرأ في قرار المجمع المقدس شفقة سخية ، واحسانا لاحد له ؟

جاليـــو : الشفقة ! الاحسان! لعلك تريد أن تقول : « لاشيء لهم ، كل الخمر قد شرب ، وشفاههم جفت — اذن فليقبلوا ثوب رجل الدين » . لكن لماذا ليس ثم شيء لهم ؟ ولماذا النظام في هذا البلاد ليس شيئا آخر غير نظام الخزانة الفارغة ، والضرورة ليس الا أن يقتل المرء نفسه في الشغل ؟ وكل هذا وسط بساتين كروم حافلة بالعناقيد على تخوم حقول قمح وفير ؟ ! ان فلاحيكم في اقليم كمبانيا يدفعون ثمن الحروب التى يشنها خليفة يسوع الرقيق الوديع ، يشنها في أسبانيا وألمانيا . لمـــاذا يجعل من الأرض

مركزا للكون كله ؟ من أجل أن يصبح عرش القديس بطرس على الأرض مركز كل شيء ! النقطة الثانية هي المهمة . أنت على حق : ليس المهم هو الكواكب ، بل الفلاحون في كمبانيا . ولا تحدثني بعد هذا عن جمال الأشياء التي ذهّبتها وخضّرتها السنون . أتعرف كيف ينتج المحار اللؤلؤي لؤلؤته ؟ ابان مرض يمكن أن يموت منه يدخل المحار في كرة من المخاط جسما غريبا يهيجه ، حبة رمل مثلا . ويكاد يموت في هذه العملية . ومن رأيي أني أفضل المحار السليم ، وتبا للؤلؤة . انالفضائل ليستمرتبطة بالشقاء، ياصديقي. لو كان أهلك يعيشون في رخاء ويسر ، لكان في وسعهم أن يمارسوا فضائل الرخاء واليسر . ان فضائل المنهوكين تنشأ من الأراضي المنهوكة ، وهذا شيء لا أريده . ياعزيزي ، مضخات الماء التي اخترعتها يمكن أن تحدث معجزات أفضل من عملهم الوضيع ، عمل المستعبد ، العمل الذي يتجاوز طاقة البشر . — « تناسلوا تكاثروا » لأن الحقول بقيت عقيمة والحروب تقضي عليكم . هل يجب عليّ أن أكذب على هؤلاء الناس ؟

الراهب الشاب : (في حالة تأثر شديد) : انها أسباب عالية جدا تفرض علينا أن نسكت : الطمأنينة الباطنة للذين يتألمون !

جاليليو : هل تريد أن ترى ساعة من صنع اتشلّيني Cellini ، وضعها سائق الكردينال بلّرمين هنا هذا الصباح؟ يا صديقي العزيز ، ان السلطة تقدم الىّ — من أجل مكافأتي على ترك أهلك الأعزاء في طمأنينة ، مثلا — أقول ان السلطة تقدم الىّ الخمر الذى حصده أهلوك بعرق جبينهم ، جبينهم الذى خلق على صورة الله كما هو معلوم . لو وافقت على أن أسكت ، فسيكون ذلك لأسباب حقيرة خسيسة : هى أن أعيش في سلام ، دون اضطهاد ، الخ . . .

الراهب الشاب : يا سيد جاليليو ! أنا قسيس .

جاليليو : وأنت أيضا عالم طبيعة . ولقد شاهدت بعينيك أن للزُّهَرة أطوارا. تعال انظر من النافذة (يشير الى النافذة) أترى هناك برياب[1] الصغير على شاطئ الينبوع ، بالقرب من شجرة الغار ؟ اله البساتين ، والطيور واللصوص ، هذا الجلف الفاجر الذى عمره أكبر من ألفي سنة ! . . . انه لم يقل مثل هذا القدر من الأكاذيب . ليكن ، لانتحدثن عن هذا ، أنا أيضا ابن للكنيسة . لكن ، هل تعرف الأهجية الثانية لهوراس ؟ انني أقرؤها هذه الأيام ، فانها تحدث شيئا من الاتزان . (يتناول كتابا صغيرا). انه يجعل برياب هذا يتكلم ، وكان تمثالا صغيرا في حدائق الاسكولينو . وهذا مطلعها :
« جذع من شجر التين ، وخشب قليل الفائدة

---

(١) برياب Piriape اله الخصب عند اليونان واله البساتين والكروم والولادة .

هكذا كنت حينما تساءل النجار

هل يصنع برياب أو كرسيا

واختار أن يصنع الاله . . . »

هل تعتقد أن هوراس كان سيوافق على أن يُمْنَع مثلا من الكرسى ، ويوضع في قصيدته مقعد ؟ كذلك يا سيدى ، سيجرح احساسى بالجمال اذا حرمت الزهرة من أطوارها ، في تصورى للعالم ! اننا لانستطيع أن نخترع ميكانيكا لدفع وضخّ الماء من الأنهار اذا لم ندرس الميكانيا الكبرى ، تلك التى تتجلى أمام عيوننا ، ميكانيكا الأجرام السماوية. ومجموع زوايا المثلث لايمكن أن يعدل تبعا لهوى وحاجات الكلية المقدسة . ومدارات الأجرام التى تجول في الفضاء لا أستطيع أن أحسبها بطريقة توضح أيضا أشواط جرى الساحرات على أيادى المكانس .

الراهب الشاب : أو لا تظن أن الحقيقة ، اذا كانت هى الحقيقة ، ستفرض نفسها حتى بدوننا ؟

جاليليو : لا ، لا ، لا . لايفرض نفسه الا الجزء من الحقيقة الذى نفرضه نحن ، ان انتصار العقل هو انتصار الذين يفكرون . ان فلاحيكم في كمبانيا أنت تصفهم كما تصف الطحالب على سقوف أكواخهم ، هذا ما أنت عليه ! فمن ذا الذى سيخيل اليه أن مجموع زوايا المثلث يمكن أن يتعارض وحاجات هؤلاء الناس ؟ حتى لو لم يتحركوا ، ولو لم يتعلموا

كيف يفكرون ، فان أروع أجهزة الريّ لـــن تفيدهم في شيء . فليذهب الى الشيطان صَبْرُ أهلك الالهى . لكن أين غضبهم الالهى ؟

الراهب الشاب : انهم متعبـــون .

جاليلـــو : (راميا اليه بمخطوط كبير) : هل أنت فزيائى ، يابنى ؟ في هذا الكتاب عرفت الأسباب التى مـــن أجلها يتحرك المحيط في المد والجزر . لكن عليك ألا تقرأ ، فاهم ؟ أوه ، ها أنت ذا تقرأ ؟ اذن أنت فزيائى (الراهـــب الشاب أكب عـــلى قـــراءة المخطوط .) تفاحة تسقط من شجرة المعرفـــة ، وها هوذا يبتلعها . لقد حكم على نفسه بالهـــلاك الأبدى ، لكن الأمر أقوى منه ، وها هـــو ذا يبتلعه ، هذا المسكين . ويخطر ببالى أن أقدر أنـــنى لأأمانع في أن أحبس نفسى في كهف تحت الأرض بعشرات الامتار ، في سجن لاينفذ اليه النـــور ، لو تعلمت بهذا الثمن ما هو النور . وأسوأ مـــا في الأمر أن ما أعرفه هو أقوى منى ، وعليّ أن أقوله للآخرين . مثل عاشق ، أو سكران ، أوجاسوس. هذا فساد تام . هذه رذيلة ، ولا شئ غير هذا ، وهذا سينتهى نهاية سيئة . كم من الوقت سأقـــدر على اعلان ما أعرف ، وان كان في ذلك اذكـــاء النار التى ستحرقنى ؟ تلك هى المسألة .

الراهب الشاب : (وهو يريه صفحة من المخطوط) : هنا عبـــارة لا أفهمها .

جاليلـــو : سأشرحها لك ، سأشرحها لك .

(٩)

(بعد ثماني سنوات من الصمت ، كان تولى بابا جديد ، هو في الوقت نفسه عالم ، مشجعا لجاليو على استئناف أبحاثه في الموضوعات المحرّمة : بقع الشمس .

كتَمَ الحقيقـــةَ مُدّةً
ولسانهُ لم ينطـــق
إبّانَ أعـــوامٍ ثمـــا
نيةٍ ، ولكن لم يُطِقْ .
للحقّ صاح مُرَدداً :
يأيهـــا الحـــق انطلـــق

في فيرنتسه في منزل جاليـــو . تلاميذ جاليـــو : فدرتسوني ، والراهب الشاب ، واندريا ســـارتى وقد صار الآن شابا ، اجتمعوا لمشاهدة تجربـــة . جاليو ، وهو واقف ، يقرأ كتابا ، وفرجينيـــا والسيدة سارتى تخيطان ثياب العرس .)

فرجينيـــا : خياطة ثياب العرس أمر مسلّ . هذا المفرش سيصلح لمائدة كبيرة في المآدب . ان لودفكو يحب دعـــوة الضيوف . لكن لابد من اتقانه ، لأن أمه تلاحظ أقل غرزة رديئة . انها غير راضية عن كتب والدى تماما مثل الأب كرستوفورو .

السيدة سارتي : انه لم يؤلف كتبا منذ سنوات .

فرجينيا : اعتقد أنه أدرك أنه أخطأ . في روما ، شرح لى رجل دين كبير جدا كثيرا من الأشياء المتصلة بعلم الفلك . ان المسافات أوسع مما ينبغي .

اندريا : (وهو يكتب على السبّورة برنامج اليوم) : « يوم الخميس بعد الظهر : الأجسام الطافية » . لابد لنا من ثلج ، و كمية من الماء في حوض وميزان، وابرة من الحديد .

(يذهب للبحث عن هذه المواد . والآخرون يدرسون درس اليوم في كتب . يدخل فيلبو موشيوس ، وهو عالم في منتصف العمر ، مشيته تدل على شيء من الاختلال) .

موشيوس : هل تستطيعين أن تخبرى السيد جاليليو بأنه لابد له أن يستقبلني ؟ انه يُدِينني دون أن يسمع كلامى .

السيدة سارتي : لكن ما دام لايريد أن يقابلك ؟

موشيوس : اذا طلبت منه ذلك ، جزاك الله خيرا . لابد لى من التكلم معه .

فرجينيا : (وقد مضت الى أسفل السلم) : يا أبى !

جاليليو : مـاذا ؟

فرجينيا : انه السيد موشيوس .

جاليليو : (متضايقا ، يرفع بصره عن كتابه ، يذهب صوب السلم ، يتبعه تلاميذه) ماذا تريد منى ؟

موشيوس : ياسيد جاليليو ! اسمح لى أن أشرح لك المواضع

في كتابي التي يبدو أنها تدين مذهب كوبرنيكوس في دوران الأرض . عندي فقط . . .

جاليليو : وأي مجال للشرح بعد ؟ أنت توافق تماما على القرار الصادر من المجمع المقدس في سنة ١٦١٦ . ولك الحق في هذا كل الحق . لقد درست هنا الرياضيات ، أنا لا أعارض في هذا ، لكن هذا لا يعطينا الحق في ارغامك على أن تقول ان ٢ + ٢ = ٤ . لك الحق تماما في أن تقول ان هذه الحصاة (يخرج من جيبه حصاة صغيرة ويلقي بها على بلاط الأرضية) قد طارت إلى السقف .

موشيوس : ياسيد جاليليو ، أودّ . . .

جاليليو : لا تتكلم عن صعوبات . أنا ، رغم الطاعون ، استمررت في اجراء ملاحظاتي .

موشيوس : ياسيد جاليليو ، هناك ما هو أسوأ من الطاعون .

جاليليو : أقول لك : ان من لا يعرف الحقيقة ، هو مغفل فقط. ولكن من يعرفها ويصفها مع ذلك بأنها كذب، هذا مجرم . اخرج من هذا البيت !

موشيوس : (بصوت خال من النبرة) أنت على صواب .

(يخرج . جاليليو يعود إلى مكتبه)

فدرتسوني : نعم ، الأمر هكذا ! انه ليس عبقريا ، ولعله كان لا يساوي شيئا إذا لم يتتلمذ عليك . هم طبعاً يقولون : « هذا الرجل استمع إلى كل ما علّمه

جالليو ، ويرى نفسه مضطرا إلى الاقرار بأنه خطأ كله » .

السيدة سارتى : هذا السيد المسكين يثير الشفقة في نفسى .

فرجينيا : لقد كان أبي يحبه كثيرا !

السيدة سارتى : يافرجينيا ! منذ مدة وأنا أريد أن أحادثك بشأن زواجك . أنت لا تزالين صبية ، وليس لك أم ، وأبوك يمضى وقته في جعل قطع صغيرة من الثلج تعوم على المـاء . على كل حال ، لا أنصحك بأن تسأليه أبدا فيما يتعلق بالزواج. والالبقى ثمانية أيام ينطق بأشياء في غاية الفظاعة، ويفضل ذلك عند تناول الطعام، حين يكون الشباب هنا، لأنه ليست لديه ذرة من الحياء. على كل حال ليس عن هذه الأمور أود أن أحدثك ، بل فقط عن مستقبلك . لست أدرى وأنا امرأة غير متعلمة ، ولكن في مسألة مهمة مثل هذه ينبغى على المرء ألا يسير فيها خبط عشواء . حقا أعتقد أنه يجب عليك أن تذهبي لاستشارة فلكيّ من الجامعة ، ليحسب لك طالعك ، وبهذا تعرفين ما سيحصل لك غدا . لماذا تضحكين ؟

فرجينيا : لأننى قمت بهذا فعلا .

السيدة سارتى : (بشغف) وماذا قال ؟

فرجينيا : يجب عليّ أن احتاط لمدة ثلاثة أشهر ، لأنه في هذه المدة تكون الشمس في برج الجدى ، لكن بعد هذا تتحسن حالى تماما وتتبدد الغيوم . وإذا لم أنس

الاهتمام بالمشترى ، ففى وسعى أن أقوم بأية رحلة ، لأن برجى هو الجدى .

السيدة سارتى : ولودفكو ؟

فرجينيا : برجه الأسد . (صمت قصير) مزاجه عاشق . (صمت) أنا أعرف هذه الخطوة ، انه السيد جافونى ، المدير .

(يدخل جافونى ، مدير الجامعة)

جافونى : جئت فقط من أجل احضار كتاب ربما يهمّ أباك . وأرجوك ، بحق السماء ، ألا تزعجى السيد جاليو . ذلك أنى أعتقد أن كل دقيقة تؤخذ من وقت هذا الرجل العظيم ، دقيقة مسلوبة من ايطاليا. وهكذا أودع الكتاب برفق بين يديك ، وأعود أدراجى على أطراف أصابع قدمىّ .

(يخرج . فرجينيا تعطى فدرتسونى الكتاب) .

جاليو : في أى موضوع ؟

فدرتسونى : لا أدرى . (يقرأ حرفا حرفا) : « في البقع الشمسية » .

اندريا : البقع الشمسية . كتاب آخر في هذا الموضوع أيضا ! (فدرتسونى يعطيه الكتاب غاضبا) اسمع الاهداء : « إلى أكبر حجة بين الأحياء في الفيزياء ، إلى جاليو جاليلاى . » (يغرق جاليو في قراءة كتابه) قرأت الرسالة التى كتبها فبريسيوس عن البقع ، وهو هولندى . انه يعتقد أن هذه البقع

هي أسراب من الأجرام السماوية تمر بين الأرض والشمس .

الراهب الشاب : أليس هذا أمرا مشكوكا فيه تماما ، ياسيد جاليليو ؟

(جاليليو لا يحير جوابا)

اندريـــا : في باريس وبراج يعتقدون أنها أبخرة متصاعـــدة من الشمس .

فدرتســـونى : آه !

اندريـــا : فدرتسونى يشك في هذا كثيرا .

فدرتســـونى : إذا كان هذا لا يضايقك ، دعني خارج المعركة . لقد قلت : « آه ! » وهذا كل شيء . أنا أصقل العدسات ، أنا صاقل عدسات ، أما أنتم فتلاحظون السماء ، وما تشاهدونه ليس بقعا ، بل Maculis [1] فأنىّ لى أن أشك في أى شيء ؟ وكم من المرات علىّ أن أقول لكم انني لا أستطيع قراءة الكتب : انها مكتوبة باللاتينية .

(في غضبه تبدو منه حركات ، والميزان في يده . تسقط كفّة على الأرضية جاليليو يخترق المسرح ويلتقطها (في صمت) .

الراهب الشاب : نحن نقول : « طوبى للذين يَشُكّون . » وأنـــا أتساءل لماذا .

اندريـــا : منذ أسبوعين ، وفي كل يوم تسطع فيه الشمس ، كنت أتسلق إلى الغرفة العليا تحت قرميد السقف . ومن ثقوب القرميد لا يمر غير شعاع رفيع جدا ،

(١) باللاتينية : بقع

مما يسمح بتلقى الصورة المقلوبة للشمس على ورقة . وشاهدت بقعة كبيرة مثل الذبابة ، رخوة مثـــل السحابة الصغيرة . وكانت تنتقل . لماذا لا ندرس بقع الشمس ، ياسيد جالليو ؟

جالليـــو : لأننا نبحث في الأجسام الطافية .

اندريـــا : عند أمى سلال كبيرة مملوءة بالخطابات ، كل أوربا تريد أن تعرف رأيك . ان شهرتك ارتفعت إلى درجة لا تستطيع معها أن تسكت بعد .

جالليـــو : إذا كانت روما قد تركت شهرتى تتصاعـــد ، فذلك لأنى اعتصمت بالصمت .

فدرتســـونى : لكنك اليوم لا تستطيع بعدُ أن تسمح لنفســـك بالاستمرار في الصمت .

جالليـــو : لكنى لا أستطيع أيضا أن أسمح لنفسى بأن أُشْوى على نار الخشب ، مثل قديد الخنزير .

اندريـــا : أتظن اذن أن للبقع علاقة بهذه الحكاية ؟ (جالليو لا يجيب) . حسن ، لنقتصر على قطع الثلج ، فهذا لن يسبب لنا أذى .

جالليـــو : بالضبط . ما الذى افترضناه يا اندريا ؟

اندريـــا : فيما يتلق بطفو الأجسام ، سنفترض أنه لا يتوقف على شكلها ، بل على ثقلها وتفاوته بالنسبة إلى ثقل المـــاء .

جالليـــو : ماذا يقول أرسطو ؟

الراهب الشاب : « Discus latus planusque »

جاالليــو : ترجم !

الراهب الشاب : « لوح الثلج العريض المسطح يمكن أن يطفو على الماء ، بينما ابرة الحديد تغوص إلى القاع »

جاالليــو : لماذا لا يغوص الثلج تبعا لأرسطو العظيم ؟

الراهب الشاب : لأنه عريض ومسطح ، وتبعا لذلك هو عاجز عن ازاحة الماء .

جاالليــو : طيب (يأخذ قطعة من الثلج تقدم اليه ، ويضعها في الحوض) . والآن بضغط كبير ، أجعل الثلج ينزل حتى قاع الحوض . أتوقف عن الضغــط بيديّ . فماذا يحدث ؟

الراهب الشاب : يصعد الثلج من جديد .

جاالليــو : تماما . يبدو أنه من أجل الصعود قادر على زحزحة الماء . فلجنتسيو !

الراهب الشاب : لكن ، لماذا يطفو ؟ ان الثلج أثقل من الماء ، لأنه ماء مكثف .

جاالليــو : لكن لو كان هو ماء أقل كثافة ؟

اندريــا : لابد أنه أخف من الماء ، والا لما طفا .

جاالليــو : ياسلام ، ياسلام !

اندريــا : كما أن ابرة الحديد لا تطفو . كل ما هو أخف من الماء يطفو ، وكل ما هو أثقل من الماء يغوص . وهو المطلوب .

جالليـــو : يلزمك يا اندريا أن تتعلم كيف تبرهن بدقـــة واحتياط . أعطنى ابرة الحديد . ثم هات ورقة . هل الحديد أثقل من الماء ؟

اندريـــا : نعـــم .

(جالليو يضع الابرة على قطعة ورق ويضع الورقة على الماء . صمت)

جاللـيـــو : ماذا يحدث ؟

فدرتســـونى : الابرة تطفو ! أى أرسطو المقدس ! انهم لم يحققوا هذا أبدا !

(يضحكون)

جاللـيـــو : كثيرا ما يكون السبب في عدم تقدم العلم توهـــم الوصول إلى الغرض . ان هدفهم ليس فتح بـــاب على لا نهائية المعرفة ، بل رسم حد للانهائية الخطأ . سجل ما حصل .

فرجينيـــا : ماذا جرى ؟

السيدة سارتى : في كل مرة يضحكون ، هذا يجعلنى أقفز . انى أتساءل : « مم يضحكون ؟ »

فرجينيـــا : أبى يقول دائما : « إن لـــلاهوتيين قرع نواقيسهم وللفزيائيين ضحكهم . »

السيدة سارتى : على كل حال أنا راضية لأنه لم يعد ينظر كثيرا في أنبوبته . لقد كان ذلك شيئا فظيعا .

فرجينيـــا : كل ما يفعله الآن هو أن يضع قطع ثلج في الماء . وهذا أمر لا يمكن أن ينجم عنه شر كبير .

السيدة سارتى : لست متأكدة من هذا .

(يدخل لودفكومرسيلى بملابس السفر ، يتبعه خادم يحمل أمتعة . فرجينيا تهرع اليه وتقبله)

فرجينيا : لماذا لم تكتب إلىّ أنك قادم ؟

لودفكو : كنت قريبا من هنا وأنا أتفقد مزارع الكروم في ناحية برتشيولى ، فلم أتمالك أن أمنع نفسى من المجيء .

جاليليو : (وكأنه قصير النظر) من هذا ؟

فرجينيا : هذا هو لودفكو .

الراهب الشاب : أولا تراه ؟

جاليليو : آه ، صحيح! لودفكو ! (يغدو في اتجاهه) وما حال الخيول ؟

لودفكو : في أحسن حال ، يا سيدى .

جاليليو : سارتى ، استراحة . اذهبى فأحضرى ابريقا من ذلك النبيذ الصقلّى الفاخر ، العتيق .

(السيدة سارتى تخرج بصحبة اندريا)

لودفكو : (مخاطبا فرجينيا) : أنت شاحبة . الحياة في الريف ستفيدك . أمى تنتظرك في سبتمبر .

فرجينيا : انتظر ، سأريك ثوب زفافي .

(تخرج مسرعة)

جاليليو : اجلس .

لودفكــو : بحسب ما قيل لى ياسيدى ، لديك أكثر من ألــف طالب في المحاضرات التى تلقيها في الجامعة . فيم تشتغل الآن ؟

جاليلــو : العمل اليومى المعتاد : هل مررت بروما ؟

لودفكــو : نعم . آه، قبل أن أنسى : أمى تهنئك على حصافتك النموذجية في هذه المعركة القائمة حول البقــع الشمسية ، والتى يصول فيها الآن الهولنديــون ويجولــون .

جاليلــو : (بجفاف) : شكرا جزيلا .

(السيدة سارتى واندريا يحضران النبيذ والأقداح . يتحلقون حول المــائدة) .

لودفكــو : أهل روما لديهم موضوع جديد للحديث طــوال شهر فبراير : وكرستوفر كلافيوس قد عبر عن خوفه من أن حكاية البقع قد تؤدى الى اســتئناف الجدل حول مسألة دوران الأرض حول الشمس .

اندريــا : لاخطــر .

جاليلــو : وأىِ جديد في المدينة الخالدة (روما) ، فيما عدا الأمل في ارتكابى لخطايا جديدة ؟

لودفكــو : أنت تعلم من غير شك أن أبانا المقدس (البابــا) يعالج سكرات المــوت ؟

الراهب الشاب : يا الهــى !

جاليلــو : عــمّن يتحدثون لخلافته ؟

لودفكــو : في الغالب عن الكردينال بربرينى

جاليليو : بربريني !

اندريا : السيد جاليليو يعرف بربريني .

الراهب الشاب : الكردينال بربريني رياضيّ .

فدرتسوني : عالم على عرش البابوات !

(صمت)

جاليليو : حسن . انهم الآن في حاجة الى رجل مثل بربريني ممن درسوا بعض الرياضيات . بدأت الامور تتحرك . يافدرتسوني ، ربما يقدر لنا أن نعيش في عصر لن نحتاج فيه الى الاستتار والتخفي كالمجرمين حين نعلن أن ٢ + ٢ = ٤ . (مخاطبا لودفكو :) أنا أجد هذا النبيذ جيدا يالودفكو . وأنت ، ما رأيك فيه ؟

لودفكو : انه جيد .

جاليليو : أنا أعرف مزرعة الكرم (التي من عناقيدها اعتصر) . المنحدر وعر وفيه حصباء ، والعنب شبه أزرق . انى مغرم بهذا النبيذ .

لودفكو : نعم ، ياسيدى .

جاليليو : ان فيه مايشبه الظل القليل ، ويكاد يكون حلوا ، « يكاد » فقط . يا اندريا ! ارفع هذه الأشياء : الثلج ، والحوض ، والابرة . انى أُقَدّر مُتَع الحواس . ولا أحتمل النفوس الضعيفة التي تحسب هذا نوعا من الضعف . انى أقرر أن الاستمتاع فعل كريم .

الراهب الشاب : ماذا قررت أن تفعل ؟

فدرتسوني : سنستأنف معركة دوران الأرض حول الشمس .

اندريا : (وهو يدندن) :

قال « الكتاب » بأن الأرض ثابتة
والعالمون أبانوا ذاك تكرارا
والبابا يمسكها من أصل أذنيها ،
بالرغم من ذا ، تدور الأرض دورتها !

(اندريا وفدرتسوني والراهب الشاب يهرعون الى منضدة التجارب وينظفونها مما عليها) .

اندريا : ونحن نستطيع أن ندرك أن الشمس هي الأخرى تدور . فماذا يطيب لك ، يالودفكو ؟

لودفكو : لماذا تتحمس كل هذه الحماسة ؟

السيدة سارتي : لكنك لن تستأنف كل هذه الحكايات الشيطانية ، يا سيد جاليلو ؟

جاليلو : الآن أعرف لماذا بعثت بك أمك الى . بربريني نجمه في صعود . العلم سيصير وجدانا ، والبحث شهوة . كلافيوس على صواب : بقع الشمس هذه تهمني كثيرا وتشوقني . هل وجدت نبيذي جيدا ، يا لودفكو ؟

لودفكو : قلت لك ذلك من قبل ياسيدي .

جاليلو : صحيح ، تجده جيدا ؟

لودفكو : (بتصلب) : نعم ، أجده جيدا .

جاليـو : هل تتنازل وتقبل نبيذ أو بنت رجل دون أن تطالبه باطراح عمله ؟ ما العلاقة بين فلكى وبين بنـتى ؟ ان أطوار الزهرة لاتغير شيئا في استدارة أردافها .

السيدة سارتى : لا تكن جلفا هكذا . سأذهب فورا لاحضار فرجينيا

لودفكـو : (مانعا اياها) : ان الزواج ، في أسرة مثل أسرتى ، لايقوم فقط على اعتبارات جنسية .

جاليـو : اذن منعوك من الزواج بابنتى طوال ثمانى سنوات ، لتجعلنى في أثناء هذه المدة موضوعا للملاحظـة والمراقبـة .

لودفكـو : ينبغى أن تحدث زوجتى ، في قريتى ، أثرا طيبـا وهى جالسة على كرسيها في الكنيسة .

جاليـو : تريد أن تقول ان فلاحيك جعلوا دفع الايجـارات مشروطا بقداسة زوجة صاحب الأرض ؟

لودفكـو : بمعنى من المعانى .

جاليـو : اندريا ، فولجنتسيو ، اذهبا وأحضرا المرآة النحاسية والستارة ! سنسقط عليها صورة الشمس ، لنخفف على أعيننا : وهذه الطريقة أنت الذى اكتشفتها ، يا اندريـا !

(اندريا والراهب الشاب يذهبان لاحضار المـرآة والستارة)

لودفكـو : في روما ، تعهدت ياسيدى بألا تخوض بعد ذلك في حكاية الأرض التى تدور هذه .

جاлليو : آه ، صحيح ! لكن في ذلك الوقت كان عندنا بابا رجعى ّ !

السيدة سارتى : تقول : « كان » ! والبابا لم يمت بعد !

جاليليو : على وشك ، على وشك ، ضعوا على الستارة شبكة ذات عيون مربعة . سنسلك بنظام منهجى . ثم نستطيع بعد ذلك أن نرد على رسائلهم ، أليس كذلك يا اندريا ؟

السيدة سارتى : « على وشك » ! انه يزن ويعيد وزن قطع الثلج خمسين مرة ، لكن حين يتعلق الأمر بشئ يناسبه وييسر أموره ، فانه يصدقه تصديقا أعمى .

(يضعون الستارة)

لودفكو : لو مات قداسة البابا ، ياسيد جاليليو ، فان البابا الذى سيخلفه ، مهما يكن ، ومهما كانت مشاعره نحو العلوم طيبة ، فانه لن يستطيع أن يسمح لنفسه بإهمال مشاعر الأسر الكبيرة في البلاد نحوه .

الراهب الشاب : انظر يا لودفكو ! الله صنع الكون الطبيعى ، والله صنع المخ البشرى والله سمح بدراسة علم الطبيعة .

السيدة سارتى : جاليليو ، أود أن أقول لك شيئا . لقد شاهدت ابنى يقع في الخطيئة بسبب كل « تجاربك » ، و « نظرياتك » و « مشاهداتك » ، ولم أستطع أن أفعل شيئا . لقد وقفت في وجه السلطة ، وهى قد حذّرتك . وكبار الكرادلة راحوا يعظونك كما يصنع مع الفرس المريض . وكان لهذا أثره مدة

من الزمان ، لكن منذ شهرين ، بعد عيد الحَمْل بلا دنس بأيام، فاجأتك وأنت تقوم بـ « مشاهداتك » خفية . وفي غرفة السطوح أيضا ! لم أشأ التكلم في هذا ، لكنى فهمت على الفور . وفي الحال هرعت لاشعال شمعة على اسم القديس يوسف . وهـــذا فوق طاقتى . حين أكون وحدى معك ، تظهـــر عليك أمارات العقل السليم وتقول لى ان من اللازم أن تبقى هادئا . لأن هذا خطر ، لكن اجراء تجارب لمدة يومين يعيد الأمور من جديد . اذا كنت أحرم نفسى من النجاة في الآخرة لأنى أبقى مع مبتـــدع هرطيق فهذا شأنى أنا ، لكن ليس من حقك أن تحطم سعادة بنتك بأقدامك الغلاظ .

حاليـــو : (متضايقا) : هات المقراب (التلسكوب)

لودفكـــو : يا جوزبّه ، أعد الأمتعة الى العربة

(يخرج الخـــادم)

السيدة سارتى : انها لن تتحمل هذا . تستطيع أن تقول أنت لهـــا هـــذا .

(تمضى ، والجرة في يدهـــا)

لودفكـــو : أرى أنك قد اتخذت قرارك . يا سيد جاليـــو ، اننا ، أمى وأنا ، نمضى ٩ أشهر كل عام في مزرعتنا في كمبانيا ، ونحن واثقون أن فلاحينا لم يضطربو ا بسبب رسائلك عن توابع المشترى . ان عملهـــم شاق جدا . ومع ذلك فربما تشوشت أفكارهـــم

لو عرفوا أن هجمات طائشة على عقائد الكنيسة المقدسة تبقى بدون عقاب . ولا تنس أن هؤلاء الناس المساكين وهم على ما هم فيه من حيوانية ، يخلطون بين الأمور . انهم فعلا كالأنعام . ولا تكاد تتصور أحوالهم . يكفى أن تنطلق اشاعة تقول انه عثر على كمثرى في شجرة تفاح ، لكى يطلقوا لأنفسهم العنان في التخيلات .

جاليليو : (باهتمام) آه ، هكذا !

لودفكو : دواب حقا . حينما يأتون إلى البيت للشكوى من أتفه الاشياء ، تضطر أمى إلى الأمر بضرب كلب بالسياط أمام عيونهم ، إذ لا وسيلة أخرى لردهم إلى النظام والأدب . وأنت ، ياسيد جاليليو ، تلقى نظرة من بعيد إلى حقول الذرة الفاخرة من نافذة عربتك ، وتأكل زيتوننا وجبننا وعقلك بعيد في عالم آخر ، وليست لديك أية فكرة عما يقتضيه انتاج هذا كله من مشقة ومراقبة في كل وقت .

جاليليو : أيها الشاب ، انى حين آكل زيتونى ، لا يكون عقلى بعيدا في عالم آخر .
(بعنف وشراسة) : أنت تضيع وقتى (يصيح إلى بعيد) : هل معكم الستارة ؟

اندريا : نعم . هل أنت حاضر ؟

جاليليو : أنت لا تضرب فقط كلابا ، ياسيد مرسيلى ليحافظوا على النظام ؟

لودفكو : ياسيد جاليليو ، ان عقلك عجيب . ياللخسارة !

الراهب الشاب : (مندهشا) انه يهددك .

جاليليو : نعم ، ان في استطاعتى اشاعة الاضطراب في عقول فلاحيه ، وتوجيههم إلى أفكار جديدة . وكذلك خدمه ومعاونيه .

فدرتسونى : وكيف ذلك ؟ ليس فيهم واحد يعرف اللاتينية .

جاليليو : في وسعى أن أكتب بلغة الشعب ، وللجمهور ، وليس باللاتينية لعدد قليل من الخاصة . نحن في حاجة إلى أناس يعملون بأيديهم من أجل تحقيق الأفكار الجديدة . ومَن غير هؤلاء يريدون أن يعرفوا أسباب الاشياء ؟ إن الذين لايرون الخبز الا على موائدهم لايريدون أن يعرفوا كيف عجن وخبز ، هؤلاء الاوغاد يفضلون ان يشكروا الله على أن يشكروا الخباز الذى خبز هذا الخبز . لكن الذين يصنعون الخبز يعرفون أنه لا شىء يتحرك إلا إذا حركه شخص . وأختك التى تعمل في معصرة الزيتون ، يافولجنتسيو ، لن يغمى عليها ، بل ستضحك ملء شدقيها حين يقال لها ان الشمس ليست شكلا مرسوما على درع ، بل هى رافعة : إذا كانت الأرض تتحرك فما ذلك إلا لأن الشمس تحركها .

لودفكو : لن تكون أبداً غير عبد لشهواتك . قدم اعتذاراتى لفرجينيا ، أعتقد أن الأفضل ألا أراها في الوقت الحاضر .

جاليليو : البائنة تحت تصرفك ، في أية لحظة .

لودفكو : مساء الخير !

(يخرج)

اندريا : وبلغ احتراماتنا لكل آل مرسيلي في العالم .

فدرتسوني : الذين يأمرون الأرض بألا تتحرك ، خوفا من أن تنهار قصورهم .

اندريا : وبلغها أيضا لآل اتشنشي Cenci ،وآل فلاّني Villani

فدرتسوني : وآل تشرفيلي Cervilli !

اندريا : وآل لكي Lecchi !

فدرتسوني : وآل برليوني Pirleoni !

اندريا : الذين لا يريدون أن يقبلوا نعل البابا الا إذا استعمله لسحق الشعب والدوس عليه .

الراهب الشاب : (وهو منهمك في العمل حول الأجهزة) البابا الجديد سيكون سلطانا مستنيرا .

جاليلو : سنأخذ الآن في ملاحظة بقع الشمس هذه التي تهمنا جدا ، ولنتحمل النتائج ، دون أن نحسب حسابا لحماية بابا جديد .

اندريا : (مقاطعا اياه) مع التوكيد الراسخ على تشتيت أسراب النجوم التي قال بها فابرتسيوس وكذلك الأبخرة الشمسية التي تقول بها براج وباريس، واثبات دوران الشمس .

جاليلو : رفقا ! وللبرهنة بشيء من التأكيد على دوران الشمس . فليس قصدي أن أبرهن على أنني كنت على صواب حتى الآن ، بل النظر فيما اذا كنت

على صواب . وأقول لك : يامن تدخل طريق الملاحظة ، تخلّ عن كل أمل . ربما كانت أبخرة ، وربما كانت بقعا ، لكن قبل افتراض أنها بقع وهو يوافق نظريتنا ، نحن نفضل أن نفترض أنها أجنحة ذباب . نعم ، سنعيد النظر في المسألة كلها من جديد ، ولن نتقدم بخطاً واسعة ، بل بخطاً الحلزون . وما نجده اليوم سنمحوه غدا ، ولن نسجله من جديد إلا بعد أن نجده مرة ثانية . وما نرجو العثور عليه ، سننظر اليه ، حين نعثر عليه ، بتشكك وعدم ثقة . اذن سنأخذ في رصد الشمس ونحن عازمون عزما راسخا على اثبات أن الأرض ثابتة ! وفقط حين نخفق في هذا ، وحين ننهزم انهزاما تاما لا أمل في تغييره ، ولا يعود أمامنا الا أن نلعق جراحنا ، حينئذ وحينئذ فقط سنتساءل ونحن محزونون ، عما اذا كنا على صواب بالرغم من كل شيء ، وعما إذا كانت الأرض لا تدور . (وهو يحد نظره) : لكن إذا ذابت بين أصابعنا كل نظرية أخرى ، حينئذ لن نرحم أولئك الذين لم يبحثوا ومع ذلك يسمحون لأنفسهم بفتح أفواههم . أزيلوا غلاف هذه الأنبوبة وصوّبوها نحو الشمس !

(يرتب المرآة)

الراهب الشاب : لقد كنت فهمت أنك بدأت العمل فعلا . فهمت ذلك حينما لم تتعرف السيد مرسيلي .

(يبدأون البحث في هدوء وصمت . وحينما تظهر صورة الشمس المتوهجة على الستارة، تأتى فرجينيا مسرعة وهى بثوب الزفاف)

فرجينيـــا : هل طردته يا أبى؟

(يغمى عليها. اندريا والراهب الشاب يندفعان نحوها)

جاليـــو : لابد أن أعرف .

★ ★ ★

(١٠)

(خلال العشر السنوات التالية انتشر مذهب جاليليو بين عامة الناس . وفي كل مكان كان أصحاب الرسائل والمغنون الجوالون يرددون الافكار الجديدة . وابان كرنفال سنة ١٦٣٢ اتخذ الكثير في مدن ايطاليا من الفلك موضوعا لمواكب النقابات .

ميدان عام بهلوان وزوجته جائعان ، ومعهما بنت عمرها خمس سنوات وطفل رضيع — يصلون إلى الميدان ، حيث جمهور ، بعضه يلبس الأقنعة ينتظر موكب آخر أيام الكرنفال. الزوجان يجران حزمة أمتعة وأشياء أخرى تتصل بعملها) .

المغني الجوال : (وهو يقرع الطبل) أيها الناس الكرام ، سادتي وسيداتي ! نقدم اليكم ، قبل موكب النقابات الكبير ، أحدث المحدثات في فيرنتسه ، أغنية تنتشر بسرعة هائلة ، في كل ايطاليا الشمالية ، وقد استوردناها هنا نظير تضحيات هائلة . عنوانها : النظريات والآراء المخيفة التي يقول بها الأستاذ جاليليو جاليلاي ، عالم الطبيعة الكبير في بلاط توسكانيا ، أو ، إذا شئتم ، نفحة من المستقبل . (يغني) :

حينما قال اله الكون : « كن »

صاح في الشمس : » وهاكِ واجبك :
حول هذى الأرض ، كالخادم
ياشمس أديرى شعلتك
ذاك أن الله قد شاء لكل أن يدور
دائما حول الذى يسمو عليه
ولذا يُلْفَى الصغار
دائما حول الكبار
دائرين
والخوالف
دائما حول الطلائع
هكذا في الأرض أو أعلى السماء
حول البابا يدور الكرادلة
وحول الكرادلة يدور الأساقفة
وحول الأساقفة يدور الكتبة
وحول الكتبة يدور أعيان المدينة
وحول أعيان المدينة يدور الصنّاع
وحول الصنّاع يدور الخدم
وحول الخدم تدور الكلاب والدجاج
والشّحاذون .

هذا ياحضرات الأفاضل ، هو النظام العظيم ، نظام الأنظمة ، كما يقول السادة اللاهوتيون . وقاعدة القواعد، والقاعدة الأزلية ، لكن ماذا حدث أيها القوم الأعزاء ؟

(يغنّى) :

ظهر الدكتور جالليو
(واطّرح كتاب الله
أخذ المقراب وصوّب
نظراته على ذا الكون)
صاح للشمس : أقيمي ساكنه !
في اتجاه العكس ذا الكون يدور
حول خادمتها تدور السيّدة
أيها القوم ، وليس الأمر هزلا !
كلّ يومٍ قحةً يزدادُ أوزاعُ الخدم!
ذاك عين الحق : والنادر قد صار المزاح .
أين ياقوم الذى لا يبتغى
أن يُرَى سيّدَ نفسه؟
هذه الآراء ياقوم خطيرة.

(يغـنّى) :

الخادم يخدع سيّده
والبنت الخادم تتلاعب
كلب القصّاب ربا شحمه
طفل القُداس قد أهمله
بقى التلميذ على فَرْشه.
كلا ياسادة ، لا ، كلاّ !
فكتاب الله هو الجِدّ
حبل المشنقة أعدوه
بالشدّ ، وإلاّ يتحطم!
ذاك عين الحق : والنادر قد صار المزاح .

أين ياقوم الذى لا يبتغى
أن يُرَى سَيِّدَ نفسه ؟

أيها القوم الكرام . ألقوا نظرة على المستقبل كما يتنبأ به العالم الدكتور جالليو جاليلاى :

(يغنّى :)

سيدتا بيت في السوق
في سوق السمك بلا عمل
بائعة السمك على خبزْ
تلتهم هى الأخرى السّمكَ
والبنّا يحفر آساسا
يستخدم أحجار المالك
والبيت اذا تم بناؤه
يأخذه البنا ويسكنه
أيجوز لهذا أن يحدث ؟
كلا ، ياسادة ، لا ، كلا
فالأمر خطيرٌ ، لا هزل
ذاك عين الحق : والنادر قد صار المزاح
أين ياقوم الذى لا يبتغى
أن يُرَى سَيِّدَ نفسه ؟
هذا المستأجر ، بوقاحه
يضرب ذا المالك في ظهره
زوجته تزود باللبن
ابناها وتترك فسيسا
واللبن نصيب القسيس

كلا يا سادة ، لا ، كـلاّ
فكتاب الله هو الجـد
حبل المشنقة أعـدّوه
بالشـدّ ، وإلا يتحطـم
ذاك عين الحق ؛ والنادر قد صار المـزاح
أين ياقوم الذى لايبتغـى
أن يُرَى سَيّدَ نفسـه ؟

زوجة المغـنى :

تركتُ الرقـص في الحَلْبـة
وقلـت لزوجِيَ : اسمعنى
ترى هل ثَم بين الأنْجمِ
نجم ثابت أبـرع .

المغـنىّ :

كلا ، كلا ، أبـدا كلا
جاليلـو ، حسبك ، جاليلـو !
لو كلب أُطلِق من خطمـه
لاسترسل في عض الناس
هذا والله هو الحـق
والمزح الآن هو النادر
أين يا قومُ الذى لايبتغـى
أن يُرَى سـيّد نفسـه ؟

كلاهمـا :

يامن تعيشون في هـم واذلال
استجمعوا كل ما في النفس من قـوة
ثم استمدوا من العلاّم جاليلـو

مبادئُ العيش في رَغَدٍ على الأرض
كانت مصيبتنا في الذل والطاعة
أين ياقوم الذى لايبتغى
أن يُرَى سيد نفسه ؟

المغني : والآن ايها الناس الكرام ، ستشاهدون الاكتشاف العظيم الذى قام به جالليو جاليلاى، وهو: الأرض وهى تدور في مدارها الدائرى حول الشمس .

(يقرع طبلته بعنف . الزوجة والبنت تتقدمان . الزوجة تحمل صورة غليظة تمثل الشمس ، والبنت تحمل على رأسها قرعة مالطية تمثل الأرض، وترسم دائرة حول امها . وبعد ذلك تتقدم البنت ، على ايقاع قرعات منفردة من الطبلة ، بوثبات متدافعة والمغنى ، وهو في حالة وجد ، يشير اليها بذراعه الممدودة ، وكأنها تقوم بقفزة خطرة . وفجأة ، في عمق المسرح ، قرع مستمر للطبول).

صوت عميق ينادى : الموكب !

(يدخل رجلان في أسمال بالية وهما يجرآن عربة صغيرة يجلس فيها على عرش حقير ، « دوق توسكانيا الكبير » وعليه تاج من الكرتون وثوب من الخيش ، ينظر في تلسكوب ، وفوق العرش بطاقة كتب عليها : « ينظر عن ضيق وملال » وبعد ذلك يسير أربعة رجال مقنعين يحملون غطاء عربة كبيرا . يتوقفون ويطلقون في الهواء دمية

تمثل كردينالا . رجل قزم يقف في جانب وهـــو يحمل لوحة كتب عليها : « العصر الجديد » وفي الجمهور يقف شحاذ عل عكازته ويرقص برجليه، ثم يسقط بدويّ شديد . يدخل ما نكان هائل يمثل جاليلو ، المانكان يحي الجمهور وامامــه طفل يحمل نسخة ضخمة من » الكتاب المقدس »مفتوحا عند صفحات معلم عليها بصليب .)

المغــني : جاليلو جاليلاى ، محطم « الكتاب المقدس » !

(الجمهور يقهقه قهقهات عاليــة) .

★★★

(١١)

(سنة ١٦٣٣ . محكمة التفتيش تستدعى الباحث الشهير إلى روما .

في أسفلَ : حر لافح
في أعلى : بَرْدٌ قارس
في الشارع صيحات ضجيج
وبلاط بالصمت يلوذ

غرفة انتظار وسلم في قصر آل مدتشى في فيرنتسه . جاليليو وابنته ينتظران أن يستقبلهما الدوق الكبير) .

فرجينيا : الوقت طال .

جاليليو : نعم .

فرجينيا : هذا الرجل أيضا ، انه كان يتعقبنا .

(تشير إلى شخص يمر كأنه لا يراهما)

جاليليو : (وكان بصره قد ضعف) لا أعرفه .

فرجينيا : لكنى أنا شاهدته عدة مرات في هذه الأيام الأخيرة . ان فيه شيئا يقلقنى .

جاليليو : غير معقول نحن في فيرنتسه ولسنا بين قطاع الطرق في قورسقه

فرجينيا : ها هو ذا السيد جافونى ، مدير الجامعة .

جاليليو : الآن أنا خائف . هذا الأبله سيجرني مرة أخرى إلى مناقشة لا تنتهي . (المدير جافوني ينزل السلم . وعند رؤيته لجاليليو يقفز ويصرف رأسه بسرعة ويمر أمامهما بتزمت صلب ، مكتفيا باشارة من رأسه غير مدركة) ماذا جرى له ؟ ان نظري ضعف . هل حيًّا ؟

فرجينيا : كاد . ماذا في كتابك ؟ هل من الممكن أن يجدوه مبتدعا ؟

جاليليو : أنت تَغْشَينَ الكنائس أكثر مما ينبغي . وبسبب استيقاظك مبكرة والاسراع إلى القدّاس ستفسدين نضارة بشرتك . أنت تصلين من أجلي ، أليس كذلك ؟

فرجينيا : ها هو ذا السيد فانّي Vanni ، صاحب المصانع ، الذي من أجله وضعت مشروع مصنع لصهر الحديد ، لا تنس أن تشكر له ارساله الحَجَل . (نزل انسان من السلم)

فانّي : هل أعجبك الحَجَل الذي أرسلته اليك ، ياسيد جاليليو ؟

جاليليو : الحجل كان ممتازا ، يامعلم فاني ، فشكرا جزيلا لك مرة أخرى .

فانّي : هناك في أعلى كانوا يتحدثون عنك . انهم يعدونك مسئولا عن الرسائل التي كتبت ضد « الكتاب المقدس » ، والتي تباع في كل مكان هذه الأيام .

جاليلـــو : انى أجهل كل شيء عن هذه الرسائل الانتقادية . و « الكتاب المقدس » هو ، وهوميروس من كتبي المفضلة للقراءة .

فانّـــى : وحتى لو لم يكن الأمـــر هكذا . . . فانى أود أن أنتهز هذه الفرصة لأؤكد لك أننا نحن العاملـــين في المصانع نحن معك . لستُ على اطلاع واسع على حركات النجوم ، لكنك في نظرى الرجل الـــذى يناضل في سبيل حرية تعليم الأشياء الجديدة . خذ مثلا تلك الماكينة الزراعية الألمانية التي وصفتها لى . وفي السنة الماضية وحدها نشرت في لندن خمس رسائل وأبحاث في الزراعة . أما نحن هنا ، فاننا نكون راضين لو كان عندنا كتاب عن القنـــوات في هولنده . ونفس الأوساط التي تثير لك المشاكل هى التي تمنع الأطباء في بولونيا من تشريح الجثث لأغراض البحث العلمى .

جاليلـــو : يافانى ، ان لصوتك تأثيره .

فانّـــى : أرجو ذلك : هل تعلم أن في امستردام ولندن سوقا للنقود ؟ ومدارس مهنية أيضا ؟ وصحفاً تظهـــر بانتظام وتخبر الناس عما يجرى من أحداث ؟ أما هنا فليست لدينا الحرية حتى في ايجاد الثروة . انهم يعارضون ويقفون ضد مصانع صهر الحـــديد ، بحجة أن تجمع أعداد كبيرة من العمال في نفس المكان يساعد على انتشار الفساد الخلقى . أنا متضامن مع الرجال من أمثالك ياسيد جاليلو ، في السرّاء

والضرّاء . واذا حاولوا أن يدبروا شيئا ضـــدك ، فتذكر أن لك أصدقـــاء في كل فروع النشاط . سيدى ، ان وراءك مدن شمال ايطاليا تسنـــدك وتشد أزرك .

جالليـــو : بحسب علمى ، ليس في نية أحد أن يدبر شيئـــا ضدى .

فانـــى : صحيح ؟

جالليـــو : نعم .

فانـــى : من رأيى أنك ستكون في أمان أكثر في البندقيـــة . فعدد رجال الكهنوت هناك أقل . ومن هنـــاك تستطيع أن تواصل النضال . ان عندى عـــربة وخيولا ، ياسيد جاللیو .

جالليـــو : لا أريد لنفسى أن أعيش عيشة لاجىء . ويهمنى أن أعيش في رفاهية .

فانـــى : مؤكد . لكن بعد الذى سمعته هناك فوق ، آرى أن الأمر يحتاج إلى التصرف بسرعة . عندى شعور بأنه في هذه الأوقات بالذات هم يفضلون ألا تكون في فيرنتسه .

جالليـــو : غير معقول . ان الدوق الكبير كان تلميـــذى ، وفضلا عن ذلك فان البابا نفسه سيحول دون حدوث أى أذًى بى ، لو حاولوا ، بحجة من الحجـــج ، أن يدبروا لى مكيدة .

فانّــى : يبدو لى ، ياسيد جالليو ، أنك لا تستطيع أن تميز أصدقاءك من أعدائك .

جالليــو : لكنى أستطيع أن أميز القدرة من العجز .

(يمضى بعنف)

فانّــى : طيب . أرجو لك حظا سعيدا .

(يخــرج)

جالليــو : (وقد عاد إلى جوار فرجينيا) في هذا البلد ، كل من له شكوى يريد تقديمها ، يلجأ إلىّ أنا للتعبير عن شكواه ، خصوصا لدى جهات لا يفيدنى هذا خيرا عندها . لقــد ألّفت كتابا في ميكانيــكا الكون ، هذا كل ما في الأمر . وما يستخلــص منه أولا يستخلص – ليس من شأنى أنا .

فرجينيــا : (بصوت عال جدا) لو عرف الناس كم ندمت بما جرى في الكرنفال الأخير من طيش . . .

جاللیــو : صحيح ! أعط عسلا إلى دُبّ ، تفقد ذراعك إذا جاع هذا الحيوان .

فرجينيــا : (بصوت خفيض) لكن هل صحيح أن الــدوق الكبير استدعاك للمثول أمامه اليوم ؟

جاللیــو : لا ، لكنى أنا طلبت مقابلته . ويهمه أن يحصل على الكتاب ، لأنه هو الذى قدّم المال . اسألى الحاجب واشكى له أننا هنا ننتظر منذ مدة طويلة .

فرجينيــا : (تذهب إلى الحاجب ، ووراءها ذلك الشخص) :

ياسيد منتشيو ! هل أبلغ صاحب السمو أن أبي يريد أن يتحدث اليه ؟

الحاجب : وهل أنا أعرف ؟

فرجينيا : ليست هذه اجابة .

الحاجب : صحيح ؟

فرجينيا : كن مهذّبا .

(الحاجب يوليها ظهره ويتثاءب وهو ينظر إلى الشخص)

فرجينيا : (وقد عادت إلى جوار أبيها) انه يقول ان الدوق الكبير لا يزال مشغولا .

جاليلو : سمعت كلمة : «مهذب» . فما هذا الذي كان ؟

فرجينيا : لقد شكرته على جوابه المهذب ، هذا كل ما في الأمر . ألا تستطيع أن تترك الكتاب وتذهب ؟ انك هنا تضيع وقتك.

جاليلو : أصبحت أسائل نفسي هل وقتي ثمين حقا . ربما قبلت دعوة سجريدو لأقضي بضعة أسابيع في بادوا . صحتي ليست على ما يرام .

فرجينيا : انك لا تستطيع أن تعيش من دون كتبك .

جاليلو : ويمكن أن نحمل في العربة بعض النبيذ الصقلّي ، صندوقا أو صندوقين .

فرجينيا : كنت تقول دائما انه لا يتحمل النقل . ثم ان البلاط

لا يزال يدين لك بمرتب ثلاثة أشهر ، وهم لن يرسلوها اليك .

جاليليو : هذا صحيح .

(الكردينال كبير محكمة التفتيش ينزل السلم) .

فرجينيا : الكردينال كبير محكمة التفتيش . (الكردينال وهو يمر أمام جاليليو يحيىّ جاليليو بانحناءة عميقة) . يا أبى ، ماذا جاء بالكردينال ، كبير محكمة التفتيش ، إلى فيرنتسه ؟

جاليليو : لست أدرى . لكن موقفه دل على شيء من الاحترام. كنت أعرف ما كنت أفعل حين رحلت إلى فيرنتسه واعتصمت بالصمت طوال سنوات . لقد رفعوا من شأنى إلى حد أنهم مضطرون اليوم إلى أخذى على علاّتى كما أنا .

الحاجب : (بصوت قوىّ) صاحب السمو الدوق الكبير .

(كوزمو دى مدتشى ينزل السلم ، جاليليو يتقدم نحوه . كوزمو يتوقف ، في شيء من الارتباك)

جاليليو : جئت لأقدم إلى سموكم محاوراتى عن النظم الكبرى . . .

كوزمو : آه صحيح ؟ كيف حال عينيك ؟

جاليليو : ليست على ما يرام ، ياصاحب السموّ . لو يسمح سموّكم ، أحضرتُ الكتاب . . .

كوزمو : حالة عينيك تقلقنى . حقا ، تقلقنى . وأنا أستنتج

من هذا أنك تفرط في استخدام أنبوبتك الثمينـــة . أو أنا غلطان ؟

(يستمر في طريقه دون أن يأخذ الكتاب)

جالليـــو : لم يأخذ الكتاب ، أليس كذلك ؟

فرجينيـــا : أبي ، أنا خائفة .

جالليـــو : (بصوت مختنق ، ولكنه حازم) لا تظهرى شيئا . وبدلا من الذهاب إلى بيتنا سنذهب إلى منـــزل فولبي Volpi ، الزّجّاج . لقد اتفقت واياه على أن يكون في فناء الحانة ، بجوار منزله ، عـــربة مستعدة للرحيل في أى وقت ، وفيها براميل فارغة ، لاقتيادى إلى خارج المدينة . . .

فرجينيـــا : أنت تعرف اذن . . .

جالليـــو : لا تعودى .

(يريدان الخروج)

موظف كبير : (ينزل السلم) ياسيد جالليو ! أنا مكلف باعلانك أن بلاط فيرنتسه لا يستطيع من الآن فصاعدا أن يقاوم الرغبة التى أبدتها محكمة التفتيش المقدســة بارسالك إلى روما لاستجوابك . ياسيد جالليو ! عربة محكمة التفتيش المقدس جدا في انتظارك .

★ ★ ★

(١٢)

(البابـــا
جناح في الفاتيكان . البابا أربان الثامن ، واســـمه الأصلى : الكردينال بربرينى ، استقبل الكردينال كبير محكمة التفتيش . بينما الجلسة مستمـــرة ، يلْبَس ثيابَه . يسمع في الخارج تدافع حشد)

البابـــا : (بصوت جهـــورى) : لا ، لا ، لا !

كبير محكمة التفتيش : في اللحظة التى فيها علماء كل الكليات ، وممثلـــو كل الطرق الرهبانية والكهنوت ، بسبيل الاجتماع ، وقد جاءوا جميعا ، تحدوهم الثقة البنوية في كلام الله كما هو وارد في الكتاب المقدس ، ليسمعـــوا من قداستكم مايؤيد ثقتهم هذه ، في هذه اللحظة اذن تريدون قداستكم أن تخبروهم أن الكتـــاب المقدس لايمكن أن يعد منذ الآن صادقا ؟

البابـــا : لن أعمل على تحطيم ألواح الحساب . لا !

كبير محكمة التفتيش : أما أن الأمر يتعلق بالواح الحساب وليس بروح التمرد والشـــك ، فهذا ما يقولـــه أولئك الناس. والواقع أن الامر لايتعلق بألواح الحساب ، بـــل باضطراب مروّع استولى على العالم . وهؤلاء الناس

يعزون الى الأرض الثابتة اضطراب عقولهم هم . انهم يصيحون : « الأرقام ترغمنا ». لكن ارقامهم من أين جاءت ؟ كل انسان يعرف أنها جاءت من الشك . هؤلاء الناس يشكون في كل شيء . فهل نبني مجتمع الناس على الشك ، لا على الايمان ؟ «أنت سيدى ، لكنى أشك في أن هذا صواب »، هذا بيتك وزوجتك ، لكن عندى شكا : أليس « الأولى أن يكونا لى أنا ؟» ، وفي مجال آخر ، ان ولوع قداستكم بالفنون الجميلة ، هذا الولوع الذى ندين له بمجموعات جميلة ، أفلا يفسر عند البعض تفسيرات مهينة ، كما في هذا المكتوب على كل جدران روما ، وهو : « ما تركه البرابرة في روما ، سرقه آل بربريني » . وفي الخارج ، لقد أراد الله للكرسى الرسولى ، كرسى القديس بطرس ، أن يعانى المحن والتجارب . فهناك قوم مجردون من الفطنة ، قد أساءوا فهم سياسة قداستكم مع أسبانيا ، ويأسفون لنزاعكم مع الامبراطور . ومنذ خمسة عشر عاما وألمانيا صارت مذبحا يمزق الناس فيه بعضهم بعضا ، والكتاب المقدس في فمه يستشهد به والآن والطاعون والحرب والاصلاح الدينى قد جعلت المسيحية تتحلل وتتمزق الى قطعان قليلة العدد ، تسرى اشاعة في كل أوروبا تقول انكم مرتبطون مع السويد ، التى تدين بالمذهب اللوثرى ، في محالفة سرية تهدف الى اضعاف الامبراطور ، وهو كاثوليكى . والآن تجيء هذه

الحشرات من رجال الرياضيات ويصوبون أنابيبهم نحو السماء ويعلنون للعالم أنه حتى فى هذا المجال ، وهو الوحيد الذى لايجادلك بعدُ أحد فيه ، ليست لقداستكم قواعد راسخة . ويحق للمرء أن يتساءل : ما الداعى الى هذا الاهتمام المفاجئ بعلم بعيد مثل علم الفلك ؟ ألا يستوى الأمر أن تدور هذه الأكر في هذا الاتجاه ، أو ذاك ؟ وبالقدوة السيئة التى كانت لهذا الرجل الفيرنتسى (= جاليلو) صار كل انسان في ايطاليا ، حتى أحقر سائس للخيل ، يتحدث عن أطوار الزهرة بترهات ، ولا يوجد شخص لايقصد بالطعن كثيرا من الأمور التى كانت تعد في المدارس راسخة ، ومن شأنها أن تحدث الكثير من الضرر . فماذا عسى أن تكون النتيجة ، لو أن كل هؤلاء الناس ، وجسدهم ضعيف ، وهم مفطورون عل المبالغة والافراط ، لم يعودوا يثقون الا بعقولهم ، عقولهم التى يقول عنها هذا المأفون انها الحكم الوحيد ؟ لو حدث أن أخذوا يشكون في أن يوشع قد أوقف الشمس ، ففى استطاعتهم بعد هذا أن يتناولوا بالشك الخسيس حتى جمع النذور . ومنذ أن انطلقوا في عرض البحار — ولا اعتراض عندى على هذا — صاروا يضعون ثقتهم في كرة من النحاس يسمونها البوصلة ، وليس في الله . وجاليلو هذا ، ابان شبابه ، قد ألف في الماكينات . وهم يريدون بالماكينات أن يصنعوا المعجزات . كيف ؟ لم يعد

بهم حاجة الى الله على كل حال ، لكن عن أى معجزات يتحدثون؟ مثلا ، لن يكون ثم فارق بين الأعلى والأدنى . فهم ليسوا في حاجة الى هذا. وأرسطو العظيم – وهم لايعدونه الا ككلب ميت – قد قال ، وهم يرددون ذلك : « لو أن مكوك النساج ينسج وحده ، ولو أن عصا القيثارة تعزف وحدها ، فلن يصبح أصحاب الورش في حاجة الى صناع ، ولا السادة في حاجة الى خدم » . وها نحن أولاء في هذا الوضع ،هكذا يقولون . وهذا الرجل الفاسد يعرف تماما ما يعمل، حين يؤلف كتبه في الفلك لا باللاتينية ، بل بلهجة بائعات السمك وتجار الأقمشة .

البابا : هذه قلة ذوق منه . سأحدثه في هذا .

كبير
محكمة التفتيش : انه يهيج البعض ، ويغرى البعض الآخر. والمدن التجارية شمالى ايطاليا تلح كل يوم في طلب المزيد من الخرائط السماوية التى رسمها السيد جاليليو للاستعانة بها في الملاحة على سفنها . ولابد من التسليم لهم بهذا ، لأن في ذلك منافع مادية ومصالح.

البابا : لكن هذه الخرائط السماوية قائمة على أساس أقواله المبتدعة ، اذ فيها الكلام عن حركات الكواكب التى نعرفها ، والتى لايمكن أن تحدث لو رفضنا نظريته . فليس من الممكن القول ببطلان النظرية والابقاء مع ذلك على الخرائط .

كبير

محكمة التفتيش : ولم لا ؟ لن نستطيع تجنب ذلك .

البابـــا : دبيب الأقدام يزعجني . واعذرني . اذا كنـت لا أملك الا الانتباه اليه .

كبير

محكمة التفتيش : انه ربمـا يعبر لك خيرا مما أستطيع ، أيهـا البابا الأقدس . وهل يعود كل هؤلاء الناس أدراجهم والشك في قلوبهم ؟

البابـــا : لكن هذا الرجل هو أعظم عالم طبيعة في عصرنا ، وهو نور ايطاليا ، وليس مجرد عقل مختل . ولـه أصدقاء . فكر في بلاط فرنسا . فكر في بلاط فينا . انهم سينعتون الكنيسة المقدسة بأنها حمأة من الأفكار البالية المتعفنة . انى لن أسمح لأحد أن يمسّه .

كبير

محكمة التفتيش : عملياً لن نكون في حاجة معه الى أن ندفع الأمـور شوطا طويلا . ذلك أنـه انسان من لحـم ودم ، وسيستسلم بسهولة .

البابـــا : انه أمهر خبير باللذات عرفته بين الناس . التفكير هو في نظره لذة جسدية . وأمام خمرة معتقـة ، أو فكرة جديدة تراه عاجزا عن الرفض . ومـن ناحية أخرى ، لا أريد إدانة أية وقائع علميـة ، ولا اطلاق شعارات مثل : « هنا أنصار الكنيسة ! » و « هناك أنصار العقل ! » لقد سمحت له بنشر

كتابه على شرط أن يذكر في خاتمته أن الكلمة الأخيرة ليست للعلم ، بل للايمان . وقد وفي الرجل بوعده .

كبير
محكمة التفتيش : لكن على أي نحو ؟ ان كتابه يعرض مناقشة بين مغفل ، يؤيد طبعا آراء أرسطو ، وبين رجل ذكيّ ، يؤيد طبعا آراء السيد جالليو ، والملاحظة الختامية ، أيها البابا الأقدس ، من الذى نطق بها ؟

البابا : ماذا وجدت أيضا ؟ ومن الذى ينطق بالخاتمة ؟

كبير
محكمة التفتيش : ليس الرجل الذكيّ .

البابا : هذه وقاحة . أنا معك في هذا . لكن دبيب الأقدام في الدهاليز لا يحتمل . هل العالم كله قد جاء ؟

كبير
محكمة التفتيش : ليس العالم كله ، ولكن أفضل من فيه .

(صمت . البابا يلبس الآن كل زينة)

البابا : أقصى ما يصل اليه الأمر هو أن تُروه آلات التعذيب .

كبير :
محكمة التفتيش : هذا يكفي ، يا قداسة البابا . فان السيد جالليو يفهم جيدا في أمور الآلات .

(١٣)

(٢٣ يونيو سنة ١٦٣٣ . جالليو ، أمام محكمة التفتيش ، يعلن تبرؤه من نظريته في حركة الأرض

كان يوما عاصفا من شهر يُنْيو
كان يوما حافلا عندى وعندك
خرج العقل من الظلمة ، لكن
ظل طول اليوم عند العتبه

روما . قصر سفير فيرنتسه . تلاميذ جالليو ينتظرون الأخبار . الراهب الشاب وفدرتسونى يلعبان لعبة الشطرنج الجديدة ، ذات التحركات الواسعة . وفي ركن ، ركعت فرجينيا وهي تنشد دعاء « السلام عليك يا مريم ! »)

الراهب الشاب : البابا لم يستقبله . المناقشات العلمية انتهت .

فدرتسونى : كان أمله الأخير . هذا صحيح ، فقد قال له منذ سنوات في روما حينما كان لايزال اسمه الكردينال بربريني : نحن في حاجة اليك . والآن استولوا عليه .

اندريا : سيقتلونه . ولن تتم « الاقوال » Discorsi

فدرتسونى : (وهو ينظر اليه خلسة) : أتعتقد ذلك ؟

اندريا : لأنه لن يتبرأ من مذهبه أبدا .

(صمــت)

الراهب الشاب : في الليل ، حين يتعذر النوم ، يجتر الانسان أفكارا لافائدة منها . ففي الليلة الماضية مثلا ، لم أكُفَّ عن القول لنفسى : لم يكن عليه أبدا أن يغادر جمهورية البندقية .

اندريــا : هناك لم يكن يستطيع أن يؤلف كتابه .

فدرتســونى : وفي فيرنتسه لم يستطع نشره .

(صمــت)

الراهب الشاب : وكنت أسائل نفسى أيضا هل سيترك ون لهحصاته الصغيرة التى يحملها دائما في جيبه ، وكأنها مسنٌّ .

فدرتســونى : للذهاب الى حيث يقتادونه يلبس المـرء ملابس بدون جيوب .

اندريــا : (صائحا) هذا ، لن يجرءوا عليه . وحتى لو فعلوا هذا معه ، فإنه لن يتبرأ من نظريته . « من لا يعرف الحقيقة ، هو مغفل فحسب . لكن من يعرفهــا ويصفها بأنها كذب ، هذا مجرم » .

فدرتســونى : لا أظن ذلك ، ولن أطيق العيش لو فعل ذلك ، لكن الآخرين عندهم القدرة على ذلك .

اندريــا : لا يحصل المرء بالقوة على كل شيء .

فدرتســونى : ربما .

الراهب الشاب : (بصوت هامس) صار له في السجن ثــلاثــة وعشرون يومــا . وبالأمس كان الاستجــواب

الأساسي ، واليوم تنعقد الجلسة . (وقد أدرك أن اندريا يُرْعِي السمع ، يرفع صوته) : لما زرته هنا بعد المرسوم بيومين كنا جالسين في هذا الركن هناك ، وأراني تمثال برياب الصغير في الحديقة ، بالقرب من المزولة ، ويمكن أن تراه من هنـــا ، وشبّه عمله بقصيدة لهوراس ، ولا يمكن اجراء أي تغيير فيهـــا . وكان يتحـــدث عن احساسه بالجمال ، الذى دفعه إلى البحث عن الحقيقـــة . وروى البيت « في الشتاء كما في الصيف ، مـــن قريب أو بعيد ، طالما كنت حيا وبعد ذلك » . وكان يفكر في « الحقيقة » .

اندريـــا : (مخاطبا الراهب الشاب) هل رويت له كيـــف كان في الكلية الرومانية بينما كانوا يمتحنـــون ويفحصون أنبوبته؟ احلِكْ ! (الراهب الشاب يهز رأسه) . تماما كالعادة : كان يضع يـــديه على ركبتيه ، وبطنه مقلوب ، ويقول : « أرجوكم ياسادة شيئا من الإدراك السليم ! »

(يقلد جاليلو ، وهو يضحك . صمت . مشـــيرا إلى فرجينيا) : انها تصلى من أجل أن يتبرأ مـــن نظريته .

فدرتســـونى : دعها ! ان عقلها قد تشوش منذ أن تكلموا معها . لقد أحضروا متلقى اعترافها من فيرنتسه .

(يدخل الشخص الذى شوهد في قصر الـــدوق الكبير)

الشـــخص : السيد جالليو سيكون هنا بعد قليل . وربما سيكون في حاجة إلى سرير .

قدرتســـونى : أطلقوا سراحه ؟

الشـــخص : ينتظرون إلى الساعة الخامسة ، أثناء جلسة محكمة التفتيش ، حين يعلن السيد جـالليو تبروءه مـــن نظريته . وحينئذ سيقرع ناقوس القديس مـــرقس الكبير ، وسيقرأ اعلان التبروء علنا على الناس .

اندريـــا : لا أعتقد ذلك .

الشـــخص : ونظرا إلى التجمهرات في الشوارع ، فان الســـيد جالليو سيقتاد إلى القصر من الباب الخلفى ، باب الحديقة .

اندريـــا : (يرفع صوته فجأة) القمر شبيه بالأرض ، ولا يضىء بنفسه . وكذلك الزهـرة لا تضىء بنفسها : انها مثل الأرض وتنتقل حول الشمس . وهنـــاك أربعة أقمار تدور حول كوكب المشترى ، وارتفاع هذا هو ارتفاع النجوم الثوابت ، وليس مربوطا بأى غلاف . والشمس هى مركز العالم ، وتظـــل ساكنة في مكانها ، لا تتحرك ، والأرض ليست مركز العالم ، وهى تتحرك . وهو الذى بين لنـــا ذلك .

الراهب الشاب : وعبثا يستعملون القوة ، فما شوهد لا يمكن جعله لم يشاهد .

فدرتســـونى : (وهو ينظر إلى المزولة في الحديقة)الساعةالخامسة .

(فرجينيا تصلى وتدعو بحرارة أشد)

اندريـــا : كلا ، لا أستطيع احتمال الانتظار . انهم الآن يضربون الحقيقة على أم رأسها .

(يغلق أذنيه . وكذلك الراهب الشاب . لـــكن الناقوس لا يدق . وبعد برهة مشغولة بتمتمـــات صلوات فرجينيا ، فدرتسونى يقول «لا» برأسه . الآخرون يلقون بأيديهم) .

فدرتســـونى : (بصوت لا نبرة فيه) لا شيء . مضت ثـــلاث دقائق بعد الخامسة .

اندريـــا : انه يقاوم .

الراهب الشاب : انه لن يتبرأ من نظريته .

فدرتســـونى : لا . يالنا من سُعَداء !

(يتعانقون ، وهم في أوج الفرحة)

اندريـــا : وهكذا ، لا تستطيـــع القوة أن تنال كل شيء . وليست قادرة على كل شيء . واذن يمكن هزيمة الحماقة ، الحماقة ليست بمأمن من الطعن ! وإذن الموت لا يخيف الإنسان !

فدرتســـونى : الآن حَقَّ القولُ بأن عصر المعرفة قد بدأ ، في هذه الساعة قد ابتدأ . تصور ، لو أنه تبرأ .

الراهب الشاب : لم أقل ذلك ، لكنى كنت شديد القلق . كنت رجُلا قليل الإيمان .

اندريـــا : أما أنا ، فكنت أعلم .

فدرتسـوني : كما لو كان الليل قد عاد في الضحى ، هكذا كان سيكون شعورنا .

اندريـا : كما لو كان الجبل قد قال : أنا نَهَرٌ .

الراهب الشاب : (جاثيا وهو يبكي) الحمد والشكر لك ياالهي .

اندريـا : لكن تغير الآن كل شيء . رفع الانسان رأسه ، ومخلوق الآلام يقول : « أريد أن أحيا » . هذا ما نكسبه لو أن انسانا واحدا بقي واقفا وقال : لا .

(في هذه اللحظة يرن صوت ناقوس القديس مرقص بنبرة حادة . الكل مستمرون في أماكنهم)

فرجينيـا : (وقد نهضت) ناقوس القديس مرقص ! لن يدان .

(من الشارع يصّاعد صوت المنادى العام ، وهو يقرأ اعلان جاليلو لتبروءه من نظريته) :

صوت المنادى : « أنا جاليلو جاليلاى ، أستاذ الرياضيات والطبيعة في فيرنتسه ، أعلن تبرئى مما علّمته ، وهو أن الشمس هى مركز العالم ، ولا تتحرك من مكانها ، وأن الأرض ليست المركز وأنها تتحرك . أتبرأ من ، وأكره ، وألعن ، بقلب مخلص وإيمان لا مراء فيه ، كلّ هذه الأخطاء والبدع وكذلك كل خطأ آخر وكل رأى آخر يتعارض مع تعاليم الكنيسة ، أمنا ، المقدسة » .

(المسرح يأخذ في الاظلام . وحين يضاء من جديد ، لايزال الناقوس يقرع ، ثم يتوقف ، فرجينيا خرجت وتلاميذ جاليو لايزالون هناك)

فدرتسونى : لم يدفع لك شيئا ذا بال نظير العمل الذى قمت به . ولم يكن في مقدورك أن تشترى لباسا ، ولا أن تنشر شيئا باسمك . وكل هذا قد تحملته لأنه كان « عملا في سبيل العلم » .

اندريا : (بصوت عال جدا) ويل للأمة التى لا أبطال فيها !

(يدخل جاليو ، وقد تغير تماما ، لا يكاد المرء يتعرفه بسبب القضية . سمع الجملة التى قالها اندريا . وبقى عند وصيد الباب بضع لحظات ، منتظرا أن يحيوه . لكن لا أحد يفعل ذلك ، والتلاميذ يبتعدون عنه ، حينئذ يتقدم بخطأ بطيئة ، مترددا بسبب ضعف بصره ، نحو مقدمة المسرح ، حيث يجد كرسيا مستديرا فيجلس عليه) .

اندريا : لا أستطيع بعدُ أن أراه . فليرحل !

فدرتسونى : هَدّىء نفسك .

اندريا : ياخابية النبيذ ! يا مفترس الحلزون ! أنقذت جلدك العزيز ؟ (يجلس) أشعر بغثيان .

جاليو : (بهدوء) أعْطوه كوب ماء !

(الراهب الشاب يذهب ليحضر لاندريا كوب ماء من الخارج . الآخرون لا يهتمون بجاليو ، وجاليو

يستمع دون أن يتحرك من كرسيه المستدير . من بعيد يسمع مرة أخرى صوت المنادى العام)

اندريـــا : الآن أستطيع المشى ، لو ساعدتمونى قليلا .

(يقتادونه نحو الباب . في هذه اللحظة جالليـــو يتكلم) :

جاللــو : لا ! الويل للأمة التى في حاجة إلى أبطال .

نص يقرأ أمام الستارة :

« أليس من الواضح أن الفَرس الذى يسقط من ارتفاع ثـــلاث أذرع أو أربـــع يجوز أن تنكسر عظامـــه ، بينما الكلب لا يُصاب بـــأى أذى ، وكذلك القـــط الـــذى يسقط من ارتفـــاع ثمـــانى أذرع ، أو عشر أو الزنبور الذى يسقط من ارتفاع برج ، أو النملة إذا سقطت من القمر ؟ وكما أن الحيوانات الضعيفة القامة أقوى وأشد نسبيا من الحيوانات البدينة ، كذلك النباتات الصغيرة أقـــدر عـــلى المقاومة : فإن سنديانة طولها مائتا ذراع لا يمكنها أن تنمّى فروعهـــا بنفس النسبة التى بها تفعل السنديانة الصغيرة ، والطبيعة لا يمكنهـــا أن تعطى الفرس قامة عشرين فرسا ، كما لا يمكنها أن تعطى المارد قامة عشرة رجال ، إلا إذا عدلت نسب جميع الأعضاء ، وخصوصـــا العظام ، بحيث يكون حجمها أكبر من الحجم الذى تتطلبـــه نســـبة الأبعاد . والرأى الشائع ، الذى يعزو إلى الآلات الكبرى نفس درجة المقاومة التى يعزوها إلى الآلات الصغرى ، هو رأىٌ بيّنُ البطلان » .

جاللبو ، من كتاب : « الأقوال » **Discorsi**

(١٤)

(سنة ١٦٣٣ — ١٦٤٢) .

جالليو جاليلاى يعيش في بيت ريفى بالقرب من فيرنتسه ، وهو سجين محاكم التفتيش حتى وفاته .

كتاب « الأقوال » ،

من عام ١٦٣٣ حتى عام ١٦٤٢

بقى جالليو سجين الكنيسة حتى وفاته

قاعة كبرى ، وفيها منضدة ، وكرسى من الجلد وكرة أرضية . جالليو ، وقد صار شيخا هرما ، نصف أعمى ، يقوم بتجارب دقيقة بواسطة كرة من الخشب ، ومجرى من الخشب منحنى الشكل. وفي الدهليز ، يجلس راهب يراقبه . يقرع الباب . الراهب يغدو لفتح الباب ويُدْخِل فلاحا يحمل أوزتين منتوفتى الريش . فرجينيا ، وقد صار عمرها الآن حوالى الأربعين سنة ، تخرج من المطبخ) .

الفلاح : كلفونى بأن أحمل اليك هذا .

فرجينيا : من الذى أرسل بها ، أنا لم أوص على إوزّ .

الفلاح : قالوا لى ان الذى بعث بها عابر طريق .

(يخرج : فرجينيا تتطلع في الاوزتين بدهشة .

الراهب يأخذهما من يديها ويفحصهما بارتيـــاب.
ثم ، وقد اطمأن ، يعيدهما اليها ، وهى تحملهما
الى جاليليو في القاعة الكبرى وهى تحملهما مـــن
عنقيهما) .

فرجينيـــا : عابر طريق قد أتى بهذه الهدية .

جاليليـــو : ما هـــى ؟

فرجينيـــا : ألا تراهما فعـــلا ؟

جاليليـــو : لا . (يقترب) اوز : هل معهما بطاقة تحمل اسما؟

فرجينيـــا : لا .

جاليليـــو : (وقد أخذ منها احدى الاوزتين) : ثقيلة . عندى شهية لقطعة منها .

فرجينيـــا : ليس من الممكن أن تكون جائعا . اذ تناولـــت عشاءك منذ قليل . وماذا في عينيك بعد ؟ كان من المفروض أن تراهما دون أن تتحرك من المنضدة .

جاليليـــو : أنت في الظـــلام .

فرجينيـــا : أنا لست في الظـــلام .

(تأخذ الاوزّتين)

جاليليـــو : ضعى فيهما صعتراً وتفاحا .

فرجينيـــا : (مخاطبة الراهب) : لابد أن يذهب أحد لاحضار الطبيب ، فان أبى لم يستطع رؤية الاوزتين وهـــو عند منضدته .

الراهب : سأطلب أولا اذنا من مونسنيور كربولا . انه يريد أن يكتب بنفسه .

فرجينيا : لا . لقد أملى عليّ كتابه ، وأنت تعرف ذلك جيدا. وقد استلمت الصفحتين ۱۳۱ ، ۱۳۲ ، وهما الأخيرتان في الكتاب .

الراهب : انه ثعلب عجوز .

فرجينيا : هو لا يفعل شيئا مخالفا للتعليمات . وتوبته نصوح مخلصة ، وأنا متنبهة له . (تعطى الراهب الاوزتين الراهب) قل لهم في المطبخ يشووا الكبدة ، مع تفاحة وبصلة . (تعود الى القاعة الكبرى .) والآن سنوجه اهتمامنا الى عيوننا ، ونرتب كرتنا ونملى جزءا صغيرا من رسالتنا الأسبوعية الى سيادة كبير الأساقفة .

جاليليو : لست أشعر بأننى على مايرام . الأفضل ان تقرأى عليّ بعضا من شعر هوراس .

فرجينيا : في الأسبوع الماضى قال لى المونسنيور كربولا — ونحن ندين له بالكثير ، مثلا الخضروات التى أرسلها الينا منذ مدة — قال ان رئيس الأساقفة يسأله في كل مرة هل أعجبتك المسائل والاقتباسات التى بعث بها اليك ؟

(تجلس لتكتب تحت املائه)

جاليليو : أين وصلنا ؟

فرجينيا : القسم الرابع : « وفيما يتعلق بموقف الكنيسة

أمنا المقدسة ، من الاضطراب الذى حدث في ترسانة البندقية ، أؤيد كل التأييد الموقف الذى اتخذه الكردينال اسبولتى تجاه تمرد الحبالين . . »

جاليليو : هذا هو . (يملى) : « أؤيد كل التأييد الموقف الذى اتخذه الكردينال اسبولتى Spo etti تجاه تمرد الحبالين ، وهو أن الأفضل توزيع الحساء عليهم باسم المحبة المسيحية ، من زيادة أثمان حبال السفن والحبال الخاصة بالنواقيس . خصوصاً أن الحكمة تقضى بتقوية الايمان في نفوسهم ، لا الشراهة والجشع . لقد قال القديس بولس : « المحبة قادرة على كل شئ . . » فما رأيك في هذا ؟

فرجينيا : هذا رائع ، يا أبى .

جاليليو : ألا تعتقدين أنهم قد يتنسمون في هذا شيئا من التهكم ؟

فرجينيا : لا . سيسر المطران كل السرور . انه يحب الأشياء الملموسة .

جاليليو : أنت قادرة على الحكم . وماذا بعد هذا ؟

فرجينيا : حكمة رائعة : « حينما أكون ضعيفا ، هنالك أكون قويا »

جاليليو : لا شرح .

فرجينيا : لماذا ؟

جاليليو : وماذا بعد هذا ؟

فرجينيا : « حتى نستطيع أن ندرك أن محبة المسيح تفوق كل معرفة » . (الرسالة الى أهل أفسوس، الاصحاح الثالث ، الآية ١٩ .)

جاليليو : وأشكر لنيافتك بوجه خاص اقتباسك الرائع من الرسالة الى أهل أفسوس . وقد هزتني الى أن أجد في كتاب « الاقتداء بالمسيح » وهو كتاب لامثيل له ، الحكمة التالية (يقولها عن ظهر قلب) : « من يَبْلُغْه الكلام الأزلي لا يَضَعْ بَعْدُ أسئلة لاجدوى منها » . هل في استطاعتي بهذه المناسبة ، أن أتحدث عن حالتي الخاصة ؟ انهم لايزالون يأخذون عليّ أنني سبق لي أن ألفت كتابا في الأجرام السماوية بلغة الشارع . ولم أكن أقصد من هذا أبدا أن أقترح أو أؤيد أن تكتب الكتب المتعلقة بموضوعات أهم بآلاف المرات ، مثل موضوعات اللاهوت ، بلغة صانعي المكرونة . وحينما يحتجون بأن المبرر لاستخدام اللغة اللاتينية في الطقوس والشعائر الدينية هو كون هذه اللغة لغة عالمية ، مما يمكّن كل الشعوب من فهم القداس ، فانه يبدو لي أن هذه الحجة ليست وجيهة تماما ، لأن الساخرين ، وهم لا يعوزهم القول ، يستطيعون حينئذ أن يعترضوا قائلين ان النص لايفهمه أي شعب في هذه الحالة . أما عن نفسي ، فيطيب لي أن أتخلى ، فيما يتعلق بالأسرار المقدسة،

عن الوضوح المريب . ولاتينية منبر الوعظ ، وهى تحمى الحقائق الازلية للكنيسة من استطلاع الجهلاء ، تبعث الثقة لو كان أبناء الطبقات الدنيـا ، حين يصيرون قساوسة ، ينطقونها بنبرات اللهجـة المحلية . لا ، اشطبي هذا .

فرجينيـا : كل هذا الموضع ؟

جاليـو : ما يأتى بعد : « صانعى المكرونة » .

(يقرع الباب . فرجينيا تمضى الى الدهليز . الراهب يفتح . يدخل اندريا سارتى ، وقد صار الآن رجلا يناهز الاربعين) .

اندريـا : مساء الخير . أنا على وشك مغادرة ايطاليا لأتابـع أبحاثى العلمية في هولنده ، وقد طلبوا الى أن أزوره في اثناء مرورى لأزودهم بأخباره .

فرجينيـا : لست أدرى هل يريد أن يراك . انك لم تحضر أبدا .

اندريـا : اسأليـه .

(جاليو قد تعرف الصوت . يبقى جالسا ، بغـير حراك . فرجينيا تأتى اليه)

جاليـو : أليس هو اندريا ؟

فرجينيـا : نعم . هل ينبغى طرده ؟

جاليـو : (بعد لحظة صمت) : أدخليه .

(فرجينيا تُدْخِل اندريا)

فرجينيا : (تخاطب الراهب) : انه ليس خطرا. كان تلميذا له. واليوم صار خصما له.

جاليلو : يا فرجينيا، اتركيني وحدى معه.

فرجينيا : أريد أن أسمع مايقوله.

(تجلس)

اندريا : (ببرود) كيف حالك ؟

جاليلو : اقترب. ماذا جرى لك ؟ حدثني عن شغالك. قيل لى انه ينصبّ على علم المائيات.

اندريا : كلفنى فابرتسيوس من امستردام بالسؤال عن صحتك.

(صمت)

جاليلو : صحتى جيدة. وأنا محاط بالعناية والاهتمام.

اندريا : سأكون سعيدا حين أخبرهم بأنك في صحة جيدة

جاليلو : فابرتسيوس سيكون سعيدا حين يعلم ذلك. وتستطيع أيضا أن تخبره أنني أعيش في راحة مقبولة. فبفضل عمق توبتى استطعت أن أظفر برضا ورعاية المشرفين علىّ، حتى انهم أذنوا لى بمواصلة نشاطى العلمى، في حدود معقولة وتحت مراقبة الكنيسة.

اندريا : هكذا اذن! ونحن أيضا علمنا أن الكنيسة راضية عنك. خضوعك التام أنتج أثره. وبحسب ما يؤكدون، فان المشرفين عليك قد لاحظوا

برضا بالع أنه منذ خضوعك لم ينشر في ايطاليـــا كتاب واحد يؤيد الأفكار الجديدة .

جاليــو : (وهو يصغى باهتمام) : لكن مع الأسف توجد بلاد تفلت من حماية الكنيسة الساهرة . وأخشى أن تستمر النظريات المدانة في أن تجد في تلك البـــلاد من يرعونها ويسندونها .

اندريــا : في تلك الدول أيضا حدث رد فعل ، فرحت بـــه الكنيسة ، وكان ذلك نتيجة لتبرئك من نظرياتك .

جاليــو : صحيح ؟(صمت) هل لديك أخبار عن ديكارت؟ وهل لديك أخبار عن باريس ؟

اندريــا : نعم . لما علم ديكارت بتبرئك من نظرياتــك ، بادر فأخفى رسالة عن الضوء ، خبأها في درج .

(صمت طويل)

جاليــو : أنا مهموم بشأن بعض العلماء من أصدقائى الذيـــن جررتهم في طريق الضلال . هل بعـــد تبرئى عادوا الى آراء أكثر صوابا ؟

اندريــا : عزمت على الذهاب الى هولنده ، كى أستطيـــع مواصلة أبحاثى . لا يعطى التلميذ اذنا لم يحصل عليه الأســتاذ .

جاليــو : فاهـــم .

اندريــا : عاد فدرتسونى الى صقل العدسات ، في محـــل لا أدرى مكانه في ميلانو .

جاليليو : (ضاحكا) : انه لا يعرف اللاتينية .

(صمت)

اندريا : وفوبجنسيو ، راهبنا الصغير ، تخلّى عن البحث وعاد الى حظيرة الكنيسة .

جاليليو : هذا حسن . (صمت) المشرفون عليّ يحسبون أنني على وشك الشفاء الروحى . وأنا أتقدم فيه أكثر مما كان يُتوقع .

اندريا : آه !

فرجينيا : الحمد لله !

جاليليو : (بلهجة خشنة) : اذهبي وانظرى ماذا حدث للاوز ، يا فرجينيا .

(فرجينيا تخرج غاضبة . الراهب يكلمها وهى مارة)

الراهب : هذا الشخص لا يعجبنى .

فرجينيا : انه ليس خطرا . وأنت قد سمعت بنفسك . (وهى ذاهبة) وصلنا جبن ماعز طازج .

(الراهب يخرج معها)

اندريا : سأسافر طول الليل ، وذلك لأعبر الحدود غداً عند الفجر . هل أستطيع الرحيل ؟

جاليليو : لست أدرى لماذا جئت ، ياسارتى . ألتشيع الاضطراب في نفسى ؟ انى أعيش بتحوط ، وأفكّر بتحوّط منذ أن جئت إلى هنا وكفانى ما وقعت فيه من نكسات .

اندريـــا : لا أريد أن أعكر عليك هدوءك ، يا سيد جالليو .

جالليـــو : بربريني سمّى هذا نوعا من الجرب . وهو نفسه ليس بريئا منه تماما . عدتُ الى الكتابة .

اندريـــا : آه ؟

جالليـــو : فرغت من كتاب : « الأقوال » .

اندريـــا : وكيف ؟ المحاورات المتعلقة بفرعي المعرفة الجديدين : الميكانيكا ، وسقوط الأجسام ؟ هل هي هنا ؟

جالليـــو : أوه ، انهم يعطونني ما أكتب به . والمشرفون عليّ ليسوا بلهاء . انهم يعلمون أن الرذائل المتأصلة لا تمحى في يوم وليلة . وهم يحمونني من النتائج الوخيمة ، وذلك بأخذ الصفحات كلما فرغت منها ، وحفظها في مكان أمين .

اندريـــا : يا الهـــي !

جالليـــو : هل قلت شيئا ؟

اندريـــا : يا الهـــي !

جالليـــو : هل قلت شيئا ؟

ندريـــا : انهم يجعلونك تحرث في البحر . يعطونك ما تكتب به ، لكن من أجل أن يخرسوك . كيف يتسنى لك ان تكتب أوليس أمامك من هدف غير هذا ؟

جالليـــو : أوه ، أنا أسير عاداتي !

اندريـــا : كتاب « الأقوال » بين أيدي الرهبان ! بينمـــا

أمستردام ولندن وبراج في أشد الحاجة اليه !

جاليـــو : انني من هنا أسمع فابرتسيوس يبكى ، مطالبا بحقه في رطل اللحم ، وهو آمن في هولنده .

اندريــا : معنى هذا ضياع علمين جديدين !

جاليـــو : انه هو وبعض الآخرين سيهتزون جزعا حينمـا يعلمون أنني خاطرت بالبقايا الضئيلة الباقية مــن راحتى من أجل عمل نسخة منه ، من وراءظهرى ، مستنفدا آخر بريق من نور الليالى المضيئة في هــذه الأشهر الأخيرة .

اندريــا : عندك نسخة ؟

جاليـــو : غرورى قد منعنى حتى الآن من تدميرها .

اندريــا : وأين هى ؟

جاليـــو : « اذا تسببت عينك في الخطيئة فاقلعها » . أيا مــن كان مؤلف هذه العبارة ، فانه كان أعلم مــنى بأمور الراحة العقلية . وأظن أنه من الجنون المطبق أن أسلمها الى أيد أخرى . ومادمت أنا قد كنـت عاجزا عن الكف عن العمل العلمى ، فــلا بأس عليك أنت من الانتفاع بها . النسخة مخبأة في الكرة الأرضية . فاذا كنت تنوى حملها الى هولنـــده فعليك أن تتحمل وحدك كل المسئولية . وعليك أن تقول حينئذ انك اشتريتها من شخص اطلــع على النسخة الأصلية في الديوان المقدس .

(يذهب اندريا لاستخراج النسخة من الكــــرة الارضية) .

اندريــا : كتاب « الاقوال » (يتصفح المخطوط ، ويقــرأ بصوت عال :) « غرضي هو أن أنشئ علمـــا جديدا كل الجدة ، يتناول موضوعا قديما جــدا ، هو الحركة . وقد اكتشفت – بفضل التجارب – بعض خواصها التي تستحق أن تعرف » .

جاليلــو : كان لابد من تمضية وقتي في شيء .

اندريــا : سيكون أساسا لفزياء جديدة .

جاليلــو : خبئه في ثيابك .

اندريــا : ونحن الذين ظننا أنك خُنْتَ ! وأعلى الأصــوات هجوما عليك كان صوتي .

جاليلــو : كان ذلك أمرا طبيعيا . لقد علمتك العلم ، غــير أني أنكرت الحقيقة .

اندريــا : هذا يغير كل شيء . كل شيء تماما .

جاليلــو : صحيح ؟

اندريــا : كنت . . تخفي الحقيقة . لكن عن العدو . في ميدان الأخلاق ، وفي سائر الميادين ، ، كنت أنــت متقدماً علينا بعدة قرون .

جاليلــو : وَضّح هذا ، يا اندريا .

اندريــا : كنا ، مع رجــل الشارع ، نقول : « سيموت ولكن لن يتبرأ من مذهبه » . ثم جئت وقلــت :

«تبرأت ، ولكنى بقيت حياً » . قلنا : « يداه قذرتان » ، لكنك أَحببْتَ : « أن تكون قذرةً أفضل من أن تكون فارغة »

جاليليو : أن تكون قذرة أفضلُ من أن تكون فارغة . هذا ينبئ عن روح عملية . وهذا يشبه ميولى . العلم الجديد يقتضى أخلاقا جديدة .

اندريا : كان من الواجب ان أكون أول من يعرف هذا . لقد كان عمرى الحادية عشرة لما أن بعثتَ إلى مجلس شيوخ جمهورية البندقية العدسة التى اخترعها غيرك . وشاهدتك تستخرج من هذه الآلة . نتائج خالدة . وأصدقاؤك هزوا رؤوسهم لما انحنيت أمام طفل فيرنتسه : لكن العلم كسب بذلك جمهورا . وفي ذلك الوقت أيضا كان الأبطال يثيرون فيك الضحك . كنت تقول : « انى أنزعج من الناس الذين يتألمون » . « الشقاء ينتج عن سوء التقدير » ، « أمام العقبات أقصر طريق بين نقطتين يمكن أن يكون الخط المنحنى » .

جاليليو : أتذكر ذلك .

اندريا : ولما استحسنت — في سنة ٣٣ — أن تتبرأ من نقطة في مذهبك تتميز بالشعبية ، كان واجبا علىّ أن أحزر أنك ستتخلص فقط من معركة سياسية لاأمل في الأنتصار فيها ، ابتغاء جعل المهمات الحقيقية في العلم تتقدم . .

جاليلـيو : وهذه المهمات هي . . .

اندريـا : دراسة خواص الحركة ، والحركة أُمّ الماكينات ، والماكينات هي وحدها القادرة على جعل الأرض قابلة للسكنى الى الحد الذى معه يمكن الاستغناء عن السماء .

جاليلـيو : آه ، هكـذا !

اندريـا : لقد فزت بالفراغ اللازم لتأليف كتاب علمـى كنت وحدك القادر على تأليفه . فلو أنك انتهيت على النار ، في هالة من نار ، لكان الآخرون هم الذين كسبوا .

جاليلـيو : وهم الذين كسبوا . ولا يوجد عمل علمى يستطيع انسان بمفرده القيام به .

اندريـا : اذن لمـاذا تبرأت من مذهبك ؟

جاليلـيو : تبرأت لأنى كنت أخاف من الالآم البدنية .

اندريـا : ليس هذا صحيحا .

جاليلـيو : لقد أرونى أدوات التعذيب .

اندريـا : لم يكن ذلك منك اذن نتيجة حسابٍ قدّرته ؟

جاليلـيو : لا .

اندريـا : (بصوت قوىّ) : ليس للعلم غير قانون واحد ، هو : الاسهام في العلم .

جاليلـيو : واسهامى قد قدّمته . فمرحبا بك في النهر ، أى أخى في العلـم ، وابن عمى في الخيانـة . أتأكل

السمك ؟ عندى سمك . والرائحة الكريهة لاتنبعث من سمكى ، بل منّى أنا . أنا أبيع بأبخس الأثمان، وأنت المشترى . من يقاوم عندما يرى الكتـــاب، هذه السلعة ؟ سيتدفق الماء في فمك ويغرق اللعنات. وقحبة بابل الكبرى ، البقرة القاتلة ذات الغلالـــة القرمزية ، تفتح ساقيها ، واذا بكل شىء قد تحول وتغيرّ . ليتقدس اسم جماعتنا المحتالة ، غاســـلة العار ، والخائفة من الموت .

اندريـــا : الخوف من الموت أمر انسانى . وضروب الضعف الانسانى لاشأن لها بالعلم .

جاليـــو : هذا غير صحيح ! يا عزيزى سارتى ، حـــتى في الحالة التى أنا فيها ، أشعر بأنى لا أزال قادرا على أن أبين لك بايجاز ماله شأن وماليس له شأن بهـــذا العالم الذى أســـلمت أنت اليه روحـــك وبدنك . (لحظة صمت قصيرة . جاليو يضع يديـــــه متقاطعتين على بطنه متخذا موقف الأستاذ) . في ساعات فراغى ، وما أكثرها ، راجعت حالـــتى من أولها الى آخرها ، وفكّرت في الحكم الـــذى سيطلقه عليها العالم العلمى الذى أعد نفسى لم أعـــد أنتسب اليه . وحتى تاجر الأقمشـــة مضطر ليس فقط أن يشترى بثمن رخيص ويبيع بثمن غـــال، بل وأيضا ان يعمل على أن تستطيع تجارة الأقمشة أن تنمو وتتسع دون عوائق . ويبدو لى أن ممارسة العلم تتطلب لهذا الغرض شجاعة خاصة . ان العلم يعمل بواسطة معرفة يتم الحصول عليها بالشـــك .

والعلم وهو يزود الجميع بمعرفة عن جميع الاشياء يهدف الى أن يجعل من الجميع « شكاكا » . لكن الغالبية العظمى من الناس قد أبقتهم الأمراء، وكبار الملاك ، ورجال الدين في ضباب خدّاع من الخرافات والعبارات العتيقة التي تستر مؤامراتهم. وشقاء الغالبية قديم قدم الجبال ، ومنبر الكنيسة وكرسى الجامعة يعلنان أن هذا الشقاء لا يمكن أن يزول ، شأنه شأن الجبال . وأسلوبنا الجديد في . الشك بعث الحماسة في نفوس الجمهرة العظمى فانتزعوا من أيدينا التلسكوب (المقراب) وصوّبوه الى معذبيهم . والناس الأنانيون العنيفون ، الذين تملكوا ثمار العلم بشراهة ، شعروا في نفس الوقت بنظرة العلم الباردة مصوبة نحو شقاء جاثم منذ آلاف السنين ، لكنه مصطنع ، يمكن ازالته بازالتهم هم . فحاصرونا بالتهديدات والمناورات المفسدة ، التي لاتستطيع النفوس الضعيفة مقاومة اغرائها . لكن هل نستطيع أن نتخلى عن الجماهير ونبقى مع ذلك علماء ؟ ان حركات الأجرام السماوية صار من السهل ادراكها ، أما بالنسبة الى الشعوب فحركات سادتها بقي من المستحيل تقديرها. ولقد كسبنا الكفاح من أجل قياس السماء ، وذلك بفضل الشك ، ولكن كفاح ربات البيوت في ايطاليا من أجل قدح من اللبن سيضيع هباء باستمرار ، وذلك بسبب سذاجة الاعتقاد . والعلم ، ياسارتي ، يخوض كلا الكفاحين . والانسانية وهي

تتعثر في هذا السراب من الخرافات والعبارات العتيقة منذ آلاف السنين، ومن الجهل بحيث لا تنمي طاقاتها الخاصة تنمية عميقة، — هذه الانسانية لن لن تكون قادرة على تنمية طاقات الطبيعة التي اكتشفتموها. من أجل ماذا تعملون أنتم؟ أعتقد أن الغرض الوحيد من العلم هو العمل على تخفيف عبء الحياة الانسانية. لو اقتصر العلماء — بتخويف من السادة الأنانيين — على تكديس العلم من أجل العلم، فسيكون من الممكن تشويه العلم، وآلاتكم الجديدة لن تفيد الا في خلق متاعب جديدة. وربما استطعتم مع الزمن أن تكتشفوا كل ما يمكن اكتشافه، ومع ذلك فان تقدمكم لن يكون غير مواصلة للسير، تاركين الانسانية وراء ظهوركم بمسافات بعيدة. والانقطاع بينكم وبينها يمكن ذات يوم أن يصير من العمق بحيث تكون الصيحة أمام انتصار جديد جوابها هو صيحة فزع. بوصفي عالما كانت لدي امكانية فريدة. عشت في العصر الذي فيه وصل علم الفلك الى الساحات العامة. وفي هذه الظروف الخاصة، كان ثبات انسان واحد ربما أحدث اضطرابات هائلة. لو أنني أنا قاومت، لأمكن علماء الطبيعة أن يضعوا شيئا شبيها بقَسَم أبقراط، قَسَم الأطباء، أعني التعهد القاطع بعدم استخدام العلم الا في خير بني الانسان! لكن على حسب ما تجرى عليه الأحوال الآن، فان كل ما يمكن أن نرجوه هو الحصول

على جنس من الأقزام المخترعين ، يمكن أن ندفع لهم الأموال لعمل أى شئ . وفضلا عن ذلك ، يا سارتى ، صرت أعتقد اعتقادا جازما أننى لم أشعر أبدا بأننى في خطر حقيقى . وطول عدة سنوات كنت قويا قوة السلطة . ووضعت علمى بين يدى أساتذة كي يفيدوا أو لايفيدوا منه ، أو ليسيئوا استخدامه ، بحسب ما يخدم أهدافهم . (دخلت فرجينيا ، حاملة صحنا ، تتوقف .) لقد خنت واجبات مهنتى . ، وان رجلا صنع مثل صنيعى لايمكن قبوله بعد في جماعة رجال العلم :

فرجينيا : لقد قُبِلْتَ في جماعة المؤمنين .

(تقترب ، وتضع الصحن على المنضدة)

جاليليو : هذا صحيح . والآن علىّ أن أتناول الطعام . (اندريا يمد اليه يده . جاليليو يرى اليد ، ولكنه لايصافحه) أنت الآن أستاذ . فهل تخاطر بمصافحة يد مثل يدى ؟ (يذهب نحو المنضدة) . عابر مرّ من هنا وأرسل الىّ اوزتين . أنا دائما أحب أطايب الطعام .

اندريا : اذن لم يعد من رأيك أن عصرا جديدا قد بدأ ؟

جاليليو : بلى ! خذ حذرك تماما وأنت تخترق ألمانيا والحقيقة تحت ثيابك .

اندريا : (وهو غير قادر على الرحيل) : فيما يتعلق بتقديرك للمؤلف الذى تحدثنا عنه ، لا أستطيع أن

أقدم اليك جوابا . لكنى لا أستطيع أن أتصور أن تحليلك القاسى هو الكلمة الاخيرة .

جاليليو : شكرا ، يا سيدى .

(يبدأ في الطعام)

فرجينيا : (وهى تصطحب اندريا الى الخارج) : نحن لانحب زيارات معارفه القدماء ، لأنها تسبب له تهيجا .

(اندريا يخرج . فرجينيا تعود)

جاليليو : هل لديك فكرة عمن عسى أن يكون قد بعث بالاوزتين ؟

فرجينيا : من المؤكد أنه ليس اندريا .

جاليليو : ربما . كيف حال الليل ؟

فرجينيا : (وهى عند النافذة) صاف جدا .

★ ★ ★

(١٥)

(سنة ١٦٣٤ . كتاب « الأقوال » لجاليليو يعبر الحدود الايطالية)

يا أعزائى احفظوا ذى الخاتمة :
عبر العلم الحدود ، بينما
نحن طلاب المعارف
قد بقينا خلفها ــ أنا وهو .
فعلى نور العلوم ــ حافظوا !
من مزاياها استفيدوا ، واحذروا
سوء الاستعمال خوفا أن تصير
سَقَراً ، يُحرِقنا ، نُصهَر فيه
كُلّنا نُصهَر فيه أجمعين .

مدينة صغيرة على الحدود الايطالية . الصباح الباكر . بالقرب من حواجز المراقبة يلعب أطفال ، واندريا ، بصحبة حوذىّ ينتظر أن يفرغ حرس الحدود من فحص أوراقه . يجلس على صندوق صغير ويقرأ مخطوطة جاليليو . وفي الناحية الأخرى من الحدود توجد العربة) .

الأطفال (وهم يغنّون) :
ماريّا بقميصٍ وردى
جلست ، واللهِ ، على الصخر

فتلطخ بالزبل وبالوحــل
لكن شتاء مبــتّردا
جعل المسكينة تلبسه
أوْلى التلطيخُ من المِزَق

حارس الحدود : لماذا تغادر ايطاليــا ؟

اندريــا : أنا عــالم .

حارس الحدود : (مخاطبا الكاتب) : اكتب: « الغرض من السفر: عالم » . عليّ أن أفتش أمتعتك .
(يفتــش)

الطفل الأول : (مخاطبا اندريا) : يجب عليك ألا تبقى جالسا في هذا المكان . (يشير الى الكوخ الذى يجلس أمامه اندريا) . هناك ساحرة تسكن .

الطفل الثانى : هذا غير صحيح . مارينا العجوز ليست ساحرة .

الطفل الثالث : بلى ! انها تطير في الهواء ابان الليل .

الطفل الأول : ولماذا لايعطيها أحد في المدينة حتّى ولا قــدح لبن ، اذا لم تكن ساحرة ؟

الطفل الثانى : لكن كيف تستطيع أن تطير في الهواء ؟ لايوجــد انسان يستطيع ذلك . (مخاطبا اندريا) : هل يمكن هذا ؟

الطفل الأول : (من فوق رأس الطفل الثــانى) : هذا جوزبى: وهو لا يعرف شيئا عن أى شىء ، والدليل عــلى ذلك أنه لايذهب الى المدرسة ، وأنه ليست لـــه سراويل مقبولة .

حارس الحدود : ماهذا الكتـــاب ؟

اندريـــا : (دون ان يرفع عينيه) : هذا كتاب للفيلســـوف العظيم أرسطو .

حارس الحدود : (مرتابا) : من هذا الرجـــل ؟

اندريـــا : لقد مات منذ زمـــن .

(الأطفال يدورن حول اندريا سخريةً منه وهـــم يتظاهرون بأنهم يقرأون كتابا)

حارس الحدود : (مخاطبا الكاتب) : انظر هل في هذا الكتاب شيء عن الدين .

الـــكاتب : (يتصفح أوراق الكتاب) : لا أجد فيه شيئا .

حارس الحدود : الواقع أنه لافائدة في البحث هكذا . مايريدالانسان اخفاءه لايمكنه أن يعرضه هكذا . (مخاطبا اندريا :) عليك أن توقع على أننا فتشنا كل شيء .

(اندريا ينهض متّرددا ، ويتبع حارس الحدود الى داخل مركز الحدود ، وهو مستمر في القراءة)

الطفل الثالث : (مخاطبا السكرتير ، وهو يريه الصندوق) : هناك شيءٌ آخر ، ألا تراه ؟

الـــكاتب : لم يكن موجودا من قبل ؟

الطفل الثالث : العفريت هو الذى وضعه هناك . انه صندوق .

الطفل الثانى : لا . انه يخص المسافر .

الطفل الثالث : أنا لـــن ألمسه . لقـــد سحر خيول باسيّ Passi الحوذى . وأنا بنفسى نظرت من خلال الثقـــب

الذى أحدثته عاصفة الثلج في السقف ، وسمعت كيف كانت تسعل .

الكاتب : (وكان قريبا من الصندوق ، يتردد ويعود أدراجه) أمور عفاريت ، أليس كذلك ؟ على كل حال لانستطيع أن نفتش كل شيء . أين نذهب ؟

(يعود اندريا ومعه ابريق من اللبن . يعود إلي الجلوس على الصندوق ويستأنف القراءة)

حارس الحدود : (وهو يتبعه ومعه أوراق) : أغلق الصناديق . هل كل الأمتعة عُلّمت؟

الكاتب : كلها .

الطفل الثانى : (مخاطبا اندريا) : قل لنا ، وأنت رجل عالم : هل يمكن الانسان أن يطير في الهواء؟

اندريا : انتظر قليلا .

حارس الحدود : تستطيع أن ترحل . (أخذ الحوذى الأمتعة . اندريا يأخذ الصندوق ويستعد للرحيل .) قف ! ماذا في هذا الصندوق ؟

اندريا : (آخذا كتابه في يده) : كتب .

الطفل الأول : هذا صندوق الساحرة .

حارس الحدود : غير معقول . كيف تستطيع هذه المرأة ان توجد صندوقا ؟

الطفل الثالث : لان العفريت يساعدها .

حارس الحدود : (ضاحكا) : هـذا لا يخيل علينا هنا . (مخاطبا الكاتب :) افتح هذا . (فتح الصندوق . دمدمة :) كم عددها ؟

اندريا : أربعة وثلاثون .

حارس الحدود : (مخاطبا الكاتب) : كم من الزمن يستغرق فحص هذه ؟

الكاتب : (وقد بدأ يفحص دون انتباه) : كلها مطبوعة من قبل . ثم ان الأمر قد يؤخر افطارك ، ثم اذا كان عليّ أن أتصفح كل هذه الكتب ، فمتى أستطيع أن أذهب الى بيت باسى Passi الحوذى لأحصل المبلغ المتأخر عليه من العوائد ؟ سيباع بيته بالمزاد . . .

حارس الحدود : آه ، صحيح ، لابد لنا من العمال . (يضرب الكتب بقدمه .) أوه ، ماذا يمكن أن يكون فيها ؟ (مخاطبا الحوذى :) اكنس !

(اندريا يجتاز الحدود مع الحوذى الذى يحمل الصندوق . ولما وصل الى الجانب الآخر من الحدود ، وضع مخطوطة جاليلو في حقيبة سفره .)

الطفل الثالث : (مشيرا الي الابريق الذى تركه اندريا) : انظر !

الطفل الأول : والصندوق رحل . ها أنت ذا ترى أنه العفريت !

اندريا : (ملتفتا وراءه) : لا ، بل أنا . يجب أن تتعلم كيف تفتح عينيك . اللبن دفع ثمنه ، وكذلك

الابريق . انــه من أجـل المرأة العجوز . آه ، يا جوزبي ، لم أجب بعد على سؤالك . لايمكــن الانسان أن يطير في الهواء بواسطة عصا . لابد من آلة ، لكن هذه الآلة لم توجد بعد . ربما لن توجـد أبدا ، لأن الانسان ثقيل جدا . لكن لا أحد يدرى. ياجوزبي ، لا يزال علمنا قليلا ، ولا يزال يعوزنا الكثير . الواقع أننا الآن في البداية فحسب .

★★★

فهرست

★ ★ ★

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان انوى	القبَّرة (جان دارك)
٣	هال بورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيراس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	تيبرى مونييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة و غيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللامعقول
١٢/١	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) ستريندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الأب
١٣	نيقوس كازندزاكى	عطيل يعود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١٦/١	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
١٢/٢	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) ستريندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦/٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
٢٧/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكى خارديل بونثلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩/٢	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم انواع ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١/٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ.و.فيرمان	انتصار حورس
٣٣/٢	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قوافل السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٥ / ٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢ ١ - اوديب الملك ٢ - اوديب فى كولون ٣ - اليكترا
٣٦ / ١	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ١ ١ - اليكترا ٢ - لن تقع حرب طراودة
٣٧ / ١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ١ ١ - المغنية الصلعاء ٢ - الدرس ٣ - جاك او الامتثال ٤ - المستقبل فى البيض ٥ - الكراسى
٣٨	كويسر - تشيرشل - شاوب - بيرماتج	مسرحيات اذاعية
٣٩ / ٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل - ٢ ١ - روما لم تعد فى روما ٢ - المحراب المتوهج او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ - شيطانة الغابة ٢ - الخال فانيا المنتحا
٤١ / ٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة - ٢ ١ - مهاجر بريسبان ٢ - البنفسج
٤٢ / ١	لويجى براندللو	(من الاعمال المختارة) لويجى براندللو - ١ ١ - ديانا والتال ٢ - الحياة عطاء ٣ - لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ - ستفان « د » ٢ - منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٤/٤	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤
		١ ـ القرماء
		٢ ـ الأميرة البيضاء
		٣ ـ عيد الفصح
٤٥/٣ ـ	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣
		١ ـ انتيجونة
		٢ ـ اجاكس
		٣ ـ فيلوكتيت
٤٦/٢ ـ	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢
		١ ـ سدوم و عمورة
		٢ ـ مجنونة شايو
٤٧/٢ ـ	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢
		١ ـ ضحايا الواجب
		٢ ـ مرتجلة الما
		٣ ـ سفاح بلا كراء
٤٨/٢ ـ	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٣
		١ ـ طريق القمة
		٢ ـ العالم المكسور
٤٩ ـ	البى ـ شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى
		٢ ـ الطابعان على الالة
٥٠ ـ	ارمان سالاكرو	الارض كروية
٥١/٢ ـ	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) برنارد شو ـ ٢
		١ ـ السلاح و الانسان
		٢ ـ كانديدا
		٣ ـ رجل المقادير
٥٢/٢ ـ	هارولد بنتر	الحارس
٥٣ ـ	مارتنيس دى لاروزا	ابن امية او ثورة الموريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو باييخو	القصة المزدوجة للدكتور بالمى
٥٦	يوربيديس	● الكترا ● أورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٢ ١ ـ سجاناريل ٢ ـ المتحذلقات المضحكات ٣ ـ مدرسة الأزواج ٤ ـ الطبيب الطائر ٥ ـ غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	١ ـ المهرجون ٢ ـ قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	قصة حياة
٦٣	جون جي	أوبرا الصعلوك
٦٤	دينس ديدرو	الابن الطبيعي

العدد	المؤلف	
٦٥/٥	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥
		١ ـ رقصة الموت
		٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	وليم سارويان	١ ـ أيام العمر
		٢ ـ سكان الكهف
٦٧	آندريه شديد	١ ـ العارض
		٢ ـ بيرينيس المصرية
٦٨/٢	لويجي بيرندللو	(من الاعمال المختارة) بيرندللو ـ ٢
		١ ـ المعصرة
		٢ ـ أداء الأدوار
		٣ ـ أبو زهرة بفمه
٦٩	البير كامى	حالة طوارىء
٧٠/١	بروتولت برشت ـ ١	● حياة جالليو
		● طبول في الليل

الكويت	١٥٠ فلس	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بايا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١.٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

في هذا العدد

من الاعمال المختارة **برتولت برشت ـ ١**

يتضمن الجزء الاول من هذه الاعمال المختارة مسرحيتين تعدان من قمم انتاج برتولت برشت (١٨٩٨ ـ ١٩٥٦) المؤلف المسرحي والشاعر الالماني الذى يحتل مكان الصدارة فى المسرح العالمي المعاصر .

الاولى : « طبول فى الليل » (مثلت لأول مرة سنة ١٩٢٢ ، ونشرت سنة ١٩٢٣) وموضوعها مستمد من أوضاع المانيا غداة هزيمتها فى الحرب العالمية الاولى ، وما اعتمل فيها من كوارث سياسية واجتماعية ، وفيها يسخر المؤلف من هذه النزعات الثورية ويرى فيها مجرد أوهام رومنتيكية ، لأن من الصعب اصلاح المجتمع والعالم .

والثانية : « حياة جالليو » (مثلت لأول مرة سنة ١٩٤٣) وموضوعها جانب من حياة هذا العالم الفلكي العظيم الذى أثبت صحة نظرية كوبر نيقوس القائلة بأن الارض هي مجرد كوكب يدور حول الشمس وليست مركزا للكون كما كانت الكنيسة وعلم الفلك السابق يقرران . فاتهمته الكنيسة بالكفر ، وحوكم وأدين من جانب الديوان المقدس ومحكمة التفتيش ، والزم بأن يعلن بطلان نظريته ، التي رأت فيها الكنيسة مصدرا لافساد النظام الديني والاجتماعي . واضطر جالليو الى الاذعان ، ولم يكن عنده من الشجاعة ما يواجه به هذا السلطان الديني والسياسي . وعدل طوال ثماني سنوات عن متابعة أبحاثه ، ثم تابعها سرا وحكم عليه بتحديد اقامته فى بيته لباقي حياته . وبرشت يسخر من استسلام جالليو امام بطش السلطان ، ويصفه بأنه رجل يسعى للعيش الرغيد واشباع اللذات ، وليس رجل نضال وبطولة .